نصيحة الملوك

المنسوب لأبي الحسن الماوردي

تحقيق ودراسة

د. فؤاد عبد المنعم أحمد

كلية الشريعة - جامعة أم القرى

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

ت: ٤٨٣٩٤٧٢ إسكندرية

نصيحة الملوك

المنسوب لأبي الحسن الماوردي

تحقيق ودراسة وتعليق

دكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

كلية الشريعة - جامعة أم القرى

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث بالدين الأقوم والشرع الأحكم رحمـــة للعـــالمين ، وعلى آله وأصـــحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ٠

أمـــا بعـــد

فمن نعم الله وفضله علينا أن وفقنا منذ وقت مبكر فى حياتنا بمعايشة الامام الماوردى فقدمنا عنه دراسة متكاملة تضمنت معالم حياتـــه وعصره وتأثره به وتأثيره فيه كما عرضنا لأهم آثاره ومصنفاته وآرائه وأفكاره[١]٠

كما قمنا بتحقيق كتاب قوانين الوزارة ، وقد طبع أكثر من طبعة[٢]٠ كما حققنا كتاب الأمثال والحكم[٣] ،وقمنا بدراسة لكتاب (التحفة الملوكية فى الآداب السياسية) انتهينا فيها الى أن هذا الكتاب ليس للماوردى[٤] ٠

وقد وقفنا على مخطوط نصيحة الملوك منذ عام ١٩٧٥ م ، وشرعنا فى تحقيقه وفقا للمنهج الذى نتبعه فى تحقيقنا ، وهو تحقيق الكتاب بمؤلفات الكاتب نفسه ، وقد استغرق تحقيقه من جهدنا وقتا طويـــلا علـــى فترات متقطعة بقدر ما سمحت به ظروفنا ومشاغلنا وأعباؤنا بين القضاء والتدريس

---

(١) من اعلام الاسلام (ابو الحسن الماوردى) دراســـة مشـــتركة مع الاستاذ الدكتور محمد سليمان داود ، طبعـــة مؤسسة شـــباب الجامعـــة ، الاسكندرية ١٩٧٨ م ٠

(٢) الطبعة الثانية عام ١٩٧٨ م مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية

(٣) الطبعة الثانية عام ١٩٨٥م ، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية

(٤) مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية عام ١٩٧٧ م ٠

بالجامعات وقد ألقى المخطوط الضوء على كثير من الأمور التى نطمئن اليها — إلى حد ما — إلى هذا أن المخطوط نسب الى الماوردى فى وقت متأخر ونعد بمشيئة الله — ان جعل الله فى العمر بقية — بافراد دراســة فى كتاب خاص يتجاوز حجمه حجم هذا الكتاب المحقق نوضح فيــه على أن هــذا المخطوط قد نسب الى الماوردى وأنه ليس له ٠

وقد حصلنا على نسخة موضوع التحقيق من المكتبة الوطنية بباريس وتضمنها المجموع رقم ٢٤٤٧ ، وتقع فى ٩٦ ورقة وتم نسخها عام ١٠٠٧هـ ٠

وقد بذلنا جهدنا — قدر الطاقة — للحصول على نسخة أخرى للمخطوط فلم نوفــق ٠

ونسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجه الله فى سبيل العلم واعــلاء الحــق ٠

د٠ فؤاد عبد المنعم

الاسكندرية فى ٢ من ذى القعدة ١٤٠٦هـ
الموافق ٨ من يوليو ١٩٨٦ ميلادية ٠

بسم الله الرحمــن الرحيم

مقدمــة التحقيق والدراسة

حرصا على عدم التكرار فى مؤلفاتنا وتحقيقاتنا نحيــل فى ترجمــة الماوردى الى الدراسة التى كتبناها عنــه والى الكتب التى حققنــاها له — السابق الاشارة اليها — فضلا عن أن المخطوط ورد فى نهايته تعــريف بالمــاوردى ٠

ونركز فى هذه المقدمة على تقديم الدليل المقنع على أن كتاب نصيحة الملوك ليس للماوردى ٠

— وهناك أدلة كثيرة[1] وأقواها فى نظرى الفحص الموضوعى للاحكام الفقهية الواردة فى كتاب « نصيحة الملوك » بالمقــارنة لمــا هــو ثابت عن الماوردى فى كتبه الفقهية : الاقناع ، الاحكام السلطانية ، الحاوى[2] ٠

وحرى بنا أن نقدم لهذا البحث ببيان له لاهميته ٠ مع عرض لكتب المــاوردى الفقهية التى سنعتمد عليها ٠

أهميــة البحث :

يعد من الاخطاء العلمية نسبة الرأى الى غير قائلة ٠ وقد اعتمد على كتاب

---

(١) نسأل الله ان ييسر فى اخراجها فى مؤلف مستقل ٠

(٢) سنشير الى تفسير الماوردى عند عرضه للاحكام الفقهية محل الدراسة وان كان الملاحظ على الماوردى انه لا يعرض لاراء ائمة المذاهب وانما يعرض لاراء الصحابة والتابعين ، وفى بعض الاحيان يحيل الى أن المسالة خلافية وأن كتب الفقه أولى بها . انظر تفسير الماوردى ٤٦٤:١ فى شروط وجوب القطع مع ارتفاع الشبهــة ٠

« نصيحة الملوك » فى استخلاص بعض الآراء والاحكام وأسندت الى الماوردى حال كونها ليست له •

ففى رسالة « الفكر السياسى عند الماوردى »[٣] أعتمد على كتاب نصيحة الملوك فى أكثر من عشرين موضعا •

وذهب البعض فى تحقيق بعض مؤلفات الماوردى الى توثيقه بكتاب « نصيحة الملوك » ، ففى تحقيق كتاب « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » احالات للتوثيق الى عدة مواضع من كتاب نصيحة الملوك على الرغم من اختلاف الصياغة للشاهد فى الكتابين[٤] •

وكل من ترجم للماوردى من المحدثين أسند مخطوط باريس « نصيحة الملوك » للماوردى مثل بروكلمان ، وجورجى زيدان وخير الدين الزركلى ، ومصطفى السقا وعمر فروخ[٥] •

كما أن كل الرسائل العلمية التى تمت مناقشتها فى تحقيق ودراسة

---

(٣) للدكتور صلاح الدين بسيونى ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٨٣م،ص٣٦، ٨٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٠ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٤) حققه الدكتور محيى هلال السرحان ، طبعة دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١ انظر صفحات ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨، ٢٨٩

(٥) بروكلمان ١:٣٣٦ والملحق ١:٦٦٣ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢:٣٣٥ ، والاعلام ٥:١٤٦ ، ومقدمة أدب الدنيا والدين،الطبعة الرابعة، ١٠ ، وتاريخ الادب العربى لفروخ ٣:١٤١

أجزاء من كتاب الحاوى للماوردى ، عددت كتاب « نصيحة الملوك » ضمن كتبه[٦] .

حاجى خليفة ونصيحة الملوك :

لم نقف فيما اطلعنا عليـــه من كتب المـــاوردى أنه أشـــار الى كتاب نصيحة الملوك أو أستند اليه .

كما أن المصادر القديمة فى ترجمة المـــاوردى لم تشر الى هذا الكتاب ضمن كتبـــه .

ويبدو لنا أن أول من أشار اليه هو حاجى خليفة فقد قال : ان« نصيحة الملوك للماوردى فى معيد النعم ، ونقله بعضهم من الفارسية الى العربية وسماه « الدر المسبوك فى نقل نصيحـــة الملوك » أوله : « الحمـــد لله على أنعامه وأفضاله »[٧] .

وقد رجعت الى كتاب « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكى فلم أجـــد فيه اشارة الى كتاب النصيحة .

وتبين لى أن الافتتاحية التى أوردها حاجى خليفة تخالف الافتتاحية الواردة فى نصيحة الملوك .

---

(٦) انظر مثلا تحقيق كتاب الحدود من الحـــاوى الكبير ، نال به ابراهيم صندقجى ، درجة الدكتوراة فى الشريعة من جامعة أم القرى ســـنة ١٤٠٢هـ ج ١ :٥٢ ، ورسالة عامر بن سعد نورى فى تحقيق كتاب الرضاع وكتاب النفقات من الحاوى ، حصل به على درجة الدكتوراة فى الشريعة من جامعة أم القـــرى ١٤٠٤هـ — ١٤٠٥هـ جا ص ٤٧ .

(٧) كشـــف الظنون ٢ :١٩٥٨ .

فقد ذكر حاجى خليفة أن أوله « الحمد لله على أ نعامه وأفضاله » بينما الثابت فى نصيحة الملوك « بحمد الله نفتتح وعليه نتوكل وبه نستعين على كل مقصـــود » •

كما تبين أن الافتتاحية التى أوردها جاجى خليفة هى افتتاحية التبر المسبوك فى نصيحة الملوك [٨] للامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥هـ) •

ويبدو لنا أن حاجى خليفة رأى مخطوط باريس « نصيحة الملوك »مع مخطوط « معيد النعم ومبيد النقم » ولكنه لم يفحصه موضوعيا وأنه أخطأ والتبس فى الافتتاحية بذكر افتتاحية الملوك للغزالى

كتب المـــاوردى الفقهية :

من أهم كتب الماوردى الفقهية : الاقناع ، والاحكام السلطانية ، والحاوى الكبير ، وهذه الكتب نسبتها الى الماوردى ثابتة وقد اشـــارت مصادر التراجم وطبقات الشافعية اليها

وتمثل هذه الكتب آراء الماوردى واجتهاداته الفقهية ونعرف بهــده الكتـــب بايجـــاز :

الاقنـــــاع :

قام الماوردى بتأليف كتاب «الاقناع» بناء على طلب الخليفة القادر بالله (المتوفى ٤٢٢هـ) حيث طلب من كبار علماء المذاهب الاربعة أن يؤلف كل منهم مختصرا فى مذهبه • فألف الماوردى الاقناع فى أربعين ورقـــــة

---

(٨) انظر ص ٥ ، طبعة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٨م •

مختصرا فيه الفقه الشافعى ، واثنى عليه الخليفة القادر بقوله : « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » [٩] .

والاقناع يشتمل على الاحكام الفقهية مجردة من الدليل وكان موضع ثقة العلماء وتقديرهم [١٠] .

وحفظ الله لنا نسخة مخطوطة منه بمكتبة الاوقاب بحلب (ضمت لمكتبة الاسلا حاليا) وقد تبين لنا وجود سقوط فى بعض الجزاء منها [١١] .

الاحكـــام السلطانيـــة

ألف الماوردى كتاب « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » بنــاء على طلب خليفة عصره ، ويبدو لنا انه هو الخليفة القادر بالله . وقد كانت هذه الاحكام — على حد تعبير الماوردى — ممتزجة بالاحكام وكان يقطعهم عن تصفحها تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، فافرد لها الماوردى هذا الكتاب ممتثلا أمر من لزمت طاعته [١٢]. والكتاب يتضمن أصول التنظيم السياسى والادارى والمالى والحربى للدولة الاسلامية فى عصر الماوردى وقد اعتمد فيه الماوردى على الادلة من الكتاب والسنة وبين مذاهب الائمة كأبو حنيفة ومالك ، ولم يعرض للمذهب الحنبلى ، فكأنه يرى أن الامام أحمد بن حنبل

---

(٩) المنتظم لابن الجوزى ١٩٩:٨ ، معجم الادباء ٥٤:١٥ ، ٥٥

(١٠) انظر : المجموع شرح المهذب للنووى ، مطبعة الامام ٣٩٤:١ ، ٤٩٩، ٩١:٢ ، ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٤١:٣ وفتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى طبعة ١٣٥٧ جـ ١ ص ٥١ .

(١١) المخطوط يحمل رقم ٦٧٥ وقام بنشره الشيخ خضر محمد خضر عن مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م .

(١٢) الاحكام السلطانية ، طبعة بيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣ .

محدثا لا فقيها (١٣) ، ولعل هذا هو أحد الاسباب القوية التى دفعت بالفقيه الحنبلى أبا يعلى الفراء (المتوفـى ٤٥٨هـ) الى كتابة كتـاب الاحكـام السلطانية مبينا رأى الامام أحمد ليكن تحت بصر خليفة عصره ليتسنى للامام معرفة ماله منها فيستوفيه وما عليه فيوفيه وصولا الى العـدل فى القضاء والتنفيذ وتحريا للنصفة فى أخذه وعطائـه .

الحـــاوى (١٤) :

الحاوى ، وهو شرح مختصر المزنى ، قال الماوردى فى مقدمتـه ، « لما كان أصحاب الشافعى — رضى الله عنه — قد اقتصروا على مختصر

---

(١٣) لم يعرض الماوردى للمذهب الحنبلى فى اى من مؤلفاته الفقهية بمـا فيه الحـاوى الكبير ، والواقع أن الماوردى لم يكن موفقا لان المذهب الحنبلى له أصوله التى يعتمد عليها وتميزه عن غيره من المذاهب وهى :

١ — الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ، فمتى وجد نصا فى المسـالة أفتى بمقتضـاه دون الالتفات الى ما خالفه ولو كان المخالف من كبار الصحابة .

٢ — فتوى الصحابى عند عدم النص ، فاذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف لها مخالفا منهم ، لم يتجاوزها الى رأى آخر ، دون أن يدعى أن ذلك اجماعا بل يقول تورعا : ما يفيد أنه لا يعلم شيئا يعارض هذه الفتوى .

٣ — اذا تعددت الاراء من الصحابة فى الامر الواحد ، كان يلجأ الى اختيار أقربها من الكتاب والسنة ، بمعنى انه لا يخرج عن رأى من هذه الاراء ، وكان يتوقف احيانا عن الفتوى اذا لم يجد مرجحا لاحد تلك الاراء .

٤ — الاخذ بالحديث المرسل او الضعيف مرجحا على القيـاس ، ما دام ليس هناك اثر آخر يدفعه ، ولا قول صاحب ولا اجماع على خلافه .

٥ — اذا لم يجد شيئا مما تقدم من الاصول الاربعة السـابقة لجـأ الى القياس فاستعمله للضرورة .

اعلام الموقعين لابن القيم ١:٢٣ .

(١٤) قال السبكى بعد ان أورد الرواية القائلة بانه لم يظهـر شـيئا من مصنفات الماوردى فى حياته : « لعل هذا بالنسبة الى « الحاوى » والا فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيرا وعليه خطه ، ومنه ما اكملت قراءته عليه فى حيـاته » . طبقات الشافعية الكبرى ٥:٢٦٩ .

أبى ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى — رحمه الله — لانتشار الكتب المبسوطة عن فهم المتعلم واستطالة مراجعتها على العالم حتى جعلوا المختصر أصلا يمكن تقريبه على المبتدى واستفاؤه للمنتهى ، وجب صرف العناية اليه ، وايقاع الاهتمام به • ولما صار مختصر المزنى بهذه الحال من مذهب الشافعى لزم استيعاب المذاهب فى شرحه واستيفاء اختلاف الفقهاء المتعلق به ، وان كان ذلك خروجا عن مقتضى الشروح التى تقتضى الاقتصار على ابانة المشروح ليصح الاكتفاء به والاستغناء عن غيره •

وقد اعتمدت بكتابى هذا شرحه على أعدل شروحه ، وترجمته (بالحاوى) رجاء أن يكون حاويا لما أوجبه بقدر الحال من الاستيفاء والاستيعاب فى أوضح تقسيم وأصح ترتيب وأسهل مأخذ » (١٥) •

ويقع الكتاب على حد قول الماوردى فى أربعة آلاف ورقة (١٦) وقد بسط الماوردى فيه الفقه الشافعى عارضا فيه فقه الصحابة والتابعين وفقه أئمة المذاهب — عدا المذهب الحنبلى — مع بيان الادلة ونقضها وترجيح المذهب الشافعى •

والكتاب مخطوط يقع فى عشرين جزءا (١٧) ويتضمن الفقه الاسلامى

---

(١٥) الجزء الاول من الحاوى ، مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعى ، دار الكتب المصرية ق ١ •

(١٦) المنتظم لابن الجوزى ١٩٩:٨ ، ومعجم الادباء تحقيق مرجليوت ٤٠٨:٥ •

(١٧) يكاد الكتاب انجز تحقيقه ودراسته فى رسالات علمية للدكتوراة والماجستير فى كلية الشريعة جامعة الازهر ، ولجامعة ام القرى ، تحقيق كتاب الزكاة للشيخ ياسين محمود الخطيب ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م وتحقيق كتاب (الحج) الشيخ غازى طه (دكتوراه) ، ومن كتاب النكاح الى =

كله بداية بكتاب الطهارة وانتهاء بكتاب العتق وقد قال عنه ابن خلكـــان : « لم يطالعه أحد الا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة فى المذهب » .

الكافى شرح مختصر المزنـــى

وحرى بالاشارة أن كتاب الحاوى غير كتاب الكافـــى شرح مختصر المزنى الذى أشار اليه السبكى فى طبقاته عندما ترجم لشبيب بن عثمـــان بن صالح الرحبى فقال : « ورأيت لشبيب فوائد عامتها من كتاب الكافـــى فى شرح مختصر المزنى لابى الحسن الماوردى صاحب الحاوى » (١٨) وهذه العبارة تفيد أن الكافى غير الحاوى ، والكافى من الكتب الفقهيـــة المفقودة التى لم تصل الينـــا .

= كتاب الصداق الشيخ عبد الرحمن اليمانى « دكتوراه » ومن كتاب البيوع الى كتاب الرهن الشيخ محمد فضل مصلح الدين « دكتوراه » ، وقد اشرنا من قبل الى كتاب الحدود حققه ابراهيم صندقجى دكتوراه ، وكتاب القراض من الحاوى عبد الوهاب السيد باخى « ماجستير » أكتوبر ١٩٧٩ ، المساواة والمزارعـــة يوسف حسين حسن ، وكتاب التفليس عبد الفتاح محمـــود ادريس ، وكتاب الصيد والذبائح مصطفى بن حاج اسماعيـــل ، عام ١٩٨٠ ، وكتاب الحـــوالة والضمان عبد العزيز الرشيد محمد ، وكتاب الوكالة لزين ابراهيم .

(١٨) طبقات الشافعية الكبرى ٨:٥ .

بحـــث مقـــــارن

بيــن الاحكــام الفقهيــة الــواردة فى كتــاب النصيحــة

وكتب المــاوردى الفقهيـــة

نخصص هذا المبحث لبعض الاحكام المالية والجنائية الواردة فى كتاب نصيحة الملوك مع مقارنتها بما هــو ثابت عن الماوردى فى كتبـه الفقهية الاخـــرى •

وسنقتصر على المسائل الاتيــــة :

١ ــ سهم المؤلفة قلوبهم كمصرف من مصارف الزكـاة •

٢ ــ مقدار ما يعطى للعاملين على الزكـاة •

٣ ــ مــدى تخميس الفـــىء •

٤ ــ حــد الســـكر •

٥ ــ قدر نصاب القطــع فى السرقـــة •

ونعرض لكل منهــا فى مطلـــب

المطلـــب الاول

سهم المؤلفـة قلوبهـــم

يرى صاحب كتاب النصيحة أسقاط سهم المؤلفة قلوبهم كمصرف من مصارف الزكاة فقال : « والسنة فى صدقة السوائم والعشور والاخماس وكل ما فى باب الصدقات أن تقسم هذه السهام المذكورة الا سهم المؤلفة قلوبهم لان الله أغنى عنهم ورفعهم بعز الاسلام وظهور الحق .. » (١)

وهذا القول يناقض ويخالف ما هو ثابت عن الماوردى فى كتبه الفقهية جميعا اذ يرى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق .

فقال فى الاقناع (٢) : « أن من مصارف الزكاة سهم المؤلفة قلوبهم ، وهم الذين فى تألفهم قوة للمسلمين وأضعاف للمشركين ، فيدفع اليهم من سهمهم ما يكون به تألفهم » .

وأوضح فى الاحكام السلطانية أن سهم المؤلفة قلوبهم لاربعة أصناف :

أ ـ صنف يتألفهم لمعونة المسلميـن .

ب ـ صنف يتألفهم للكف عن المسلميـن .

جـ ـ وصنف يتألفهم لرغبتهم فى الاســلام .

ء ـ وصنف لترغيب قومهم وعشائرهم فى الاســلام .

فمن كان من هذه الاصناف الاربعة مسلما جاز أن يعطى من سهـم المؤلفة من الزكاة ، ومن كان مشركا عدل به عن مال الزكاة الى سهم المصالح من الفيء والغنائم (٣) .

---

(١) ق ٧٤ / أ من المخطوط وانظر النص المحقق ص ٣١٧ .

(٢) ص ٧١ .

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٢٣ .

وبسط المسألة فى الحاوى وبين أن القائلين باسقاط سهم المؤلفة قلوبهم هما من الائمة : أو حنيفة ومالك ثم أفصح عن رأيه وفصله فقال : « وجملة ذلك أن مالكا وأبا حنيفة أسقط سهم المؤلفة قلوبهم بقوة الاسلام واستعلاء أهلــــه .

وسهم المؤلفة قلوبهم باق أهله الله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وتألف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، مسلمين ومشركين .. وفى جواز تألف المشركين بعد وفاته قولان :

أحدهما : يجوز اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم مع قولــه تعالى (والمؤلفة قلوبهــم) .

والقول الثانى : لا يجوز لان الله تعالى قد أعز الاسلام وأهله بمــا اعطاهم من قوة وزادهم من قدرة عن أن يتألفوا بأموالهم مشركا .. فاذا قيل : لا يجوز أن يتألفوا بمال لما جعل الله نقل أموالهم للمسلمين ولــم يجعل لهم فى أموال المسلمين حقا منعوا ذلك من أموال الصدقات وغيرها .

واذا قيل بجواز تألفهم جاز اذا قصد فيه نفع أن يعطوا مع الغنــاء والفقر لا من أموال الصدقات التى جعلها الله نقلا للمسلمين ولكن من سهم المصالح العامة وهــو خمس الخمس من الفىء والغنيمة المعــدة لمصالــح المسلمين عامـــة ...

وأما الضرب الثانى من المسلمين الــذى لم يختلف قول الشافعــى فى جواز تألفهم فهم أربعــة أصنــاف :

أحدهما : أن يكون من أعراب أو غيرهم من المسلمين فى طرف بــلاد الاسلام بازاء مشركين لا يقاتلونهم على الاسلام الا بمال يعطونه امـا

لفقرهم أو لضعف نيتهم ، وفى مسير المجاهدين اليه مشقة عظيمة والتزام مال جزيل .

والصنف الثانى : أن يجوز من ذكرنا أزاء قوم مرتدين لا يقاتلونهم على الردة الا بمال اما لفقر واما لضعف نية وفى تجهيز الجيش اليهم مؤونة ثقيلة .

والصنف الثالث : أن يكونوا بازاء قوم بغاة وهذه حالهم معهم .

والصنف الرابع : أن يكونوا بازاء قوم مانعى الزكاة ولا يقاتلونهم على بذلها الا بمال .

فهؤلاء الاصناف الاربعة يجوز تألفهم بالمال لما فى تألفهم من معونة المسلمين ونفعهم والذب عنهم (٤) .

ويتضح لنا من هذا العرض لمؤلفات الماوردى أنه يرى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق على خلاف الوارد فى نصيحة الملوك .

---

(٤) الحاوى ج ١١ ق ١/٢٧٣ — ١/٢٧٦ مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعى دار الكتب المصرية ، وفى نفس المعنى مع ايجاز تفسير الماوردى ج ٢ ص ١٤٧ .

المطلـــب الثانـــى

مقـــدار مـــا يعطـــى للعامليـــن علـــى الزكـــاة

قال صاحب النصيحة « ويعطى العاملون — على الزكاة — مقـــدار الكفاية ، ولا يحل من الصدقات لال الرسول ﷺ ولا لغنى موسر ، ولا ملك مقتـــدر » (١) .

فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجرة مساوية لعملهم فهى ليست صدقة ، ولذا يعطى العامل الغنى حال كون الصدقـــة لا تحل لغنى مـــوسر .

ويرى الماوردى فى كتبه الفقهية أن العاملين على الزكاة يعطون أجور أمثالهم صدقـــــة .

فقال فى الاقناع « والعاملين عليها — كمصرف من مصارف الصدقات — وهم المتولـــون جبايتهـــا وتفرقتهـــا ، فيدفع اليهم منها قـــدر أجـــور امثالهـــم » (٢) .

وأوضح فى الاحكام السلطانية « سهم العاملين عليها فقال : هم صنفان أحدهما ، المقيمون بأخذها وجبايتها .

والثانى : المقيمون بقسمتها وتفريقها من أمين ومباشر ، ومتبـــوع وتابع ، وجعل الله أجورهم فى مال الزكاة لئلا يؤخذ من أرباب الامـــوال

---

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / أ ، والكفاية لغة هى كل شىء ساوى شيئاحتى صار مثله . وكفى الشىء « يكفى » كفاية فهو كاف اذا حصل به الاستغناء عن غيره . المصباح المنير ص ٥٣٧ .

(٢) الاقناع ص ٧١ .

سواها ، فيدفع اليهم من سهمهم قدر اجور امثالهم ، فان كان سهمهم منها أكثر رد الفضل على باقى السهام ، وان كان أقل تممت أجورهم من مـال الزكاة فى أحد الوجهين ، ومن مال المصالح فى الوجه الاخـر » (٣) .

وبسط المسألة فى الحاوى وعرض لوجهة نظر الاحناف ورد عليهم .

فقال « أول سهم يبدأ بقسمه سهم العاملين عليها لامرين أحدهمـا أنه يستحق على عمل فصارت كالمعاوضة وغيره مواساة .

والثانى : أنه مقدر بأجورهم من غير زيادة ولا نقصان فهـو قـدر حقهم ، أو يكون أكثر من أجورهم فيعطوا منه قدر أجورهم ويرد الباقى على سهام أهل السهمان بالسوية أو يكون أقل من أجورهم فيجب أن يتـم لهم أجـورهـم ....

قال : العاملون على الزكاة هم صنف من أهل السهمـان يعطـون أجورهم منها صدقـــة .

وقال أبو حنيفة : هو أجرة وليس بصدقة لانهم يأخذون مع الغنـى ولو كانت صدقة حرمت عنده على الاغنياء .

وهذا خطأ لان الله تبارك وتعالى قال « انمـا الصدقـات للفقـراء والمساكين والعاملين عليهـا ... » فلم يجز أن يزال عن الصدقة حكمها باختلاف المتلكيـن .

ولان النبى ﷺ منع ذوى القرى من العمل عليها لتحريم الصدقـات عليهم ، ولو خرجت عن حكم الصدقة الى الاجرة ما منعهم منهـا .

---

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٢٣ .

وليس ينكر أن تكون الاجرة صدقة اذا كانت مأخوذة من مال الصدقة

فاذا ثبت هذا فان كان العاملون عليها مستأجرين بعقد اجارة لـــم يجز أن يكون المسمى فيه من الاجرة أكثر من أجور أمثالهم ، كما لا يجوز فى المستأجر على أموال الايتـــــام •

وان لم يسم فليس له أكثر من أجرة المثل ، وان لم يكونوا مستأجرين بعقد كان لهم أجرة المثل لمن استهلك عمله بغير عقد وذلك يختلف بقـرب المسافة وبعدها وقلة العمل وكثرته [٤] •

يتضح لنا من هذا العرض أختـلاف رأى صاحب النصيحة عن رأى الماوردى ، فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجـرة مساوية لعملهم ولا تعد صدقة بينما الماوردى يرى أنهم يعطون أجور أمثالهم صـــدقة •

---

(٤) الحاوي الكبير جـ ١١ ق ٢٨٧ / ب ، ق ٢٩٢/ب •

المطلب الثالث

مدى تخميس الفىء

يرى صاحب النصيحة أن الغنيمة والفىء كان فى عهد النبى ﷺ فيئان ويرى أن الفىء لا يخمس على حين أن الماوردى يفرق فى الاسم بين الفىء والغنيمة ويرى أن فى الفىء والغنيمة الخمس .

قال صاحب النصيحة : « وأما الغنيمة والفىء فقد كان فى عهد النبى ﷺ فيئان :

أحدهما ، للنبى ﷺ خاصة ، ولم يوجف المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من بنى النضير وأهل فدك ، فكان ذلك للرسول ﷺ خاصة الا أن النبى عليه السلام لم يبين به دارا ولم يشتر به عقارا ، ولم يتمتع به فى الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته وقوت عياله ويجعل الباقى منها فى نوائب المسلمين وحوادث أمر الدين والاخر ، هو ما يفىء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمة أو جزية أو خراج بنى تغلب ، فهو يعطى منه ذوى القربى وهو عندنا قرابة النبى ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقى فى نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأعطيات الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم ، فان فضل شىء من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل ... » [1]

والماوردى ينتقد القول بأن الغنيمة فىء فى عهد النبى ﷺ ويقول : الغنيمة من الغنم ، والغنم المستفاد بغير بدل ، فكل ما أخذ من المشركين قهر القتال بايجاف خيل أو ركاب سمى غنيمة لاستفادته بغير بدل .

---

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / أ ، أنظر النص المحقق ص ٣١٨ .

والفيء : هو الرجوع ، ومنه قوله تعالى (حتى تفيء الى أمر الله)(٢) أى ترجع ...

والفيء : كل ما أخذ من المشركين عفوا بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب وسمى فيئا لرجوعه الى أولياء الله تعالى وأهل طاعته بعد خروجه عنهم الى أهل أعدائه وأهل معصيته ويقول الاصل فى الغنيمة قول الله تعالى : (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)(٣) .

والاصل فى الفيء قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القربى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى)(٤) .

وقال : ان أوجه الافتراق بين الفيء والغنيمة أن لكل واحد منهما اسم يختص به (٥) .

والفيء عند الماوردى يخمس بينما صاحب النصيحة يرى أن الفيء للرسول ﷺ خاصة وما بقى منه بعد قوته وقوت عياله جعله فى نوائب المسلمين أى أن الفيء لا يخمس فى حياته أو بعد وفاته .

قال الماوردى فى الاقناع : كل ما أخذ من المشركين بغير ايجاف خيل ولا ركاب من خراج أرض أو جزية رقبة أو مال صلح أو عشور تجارة أو تركة ميت لم يخلف وارثا فجميعه فيء ويصرف خمسة فى أهل الخمس كالغنيمة (٦) .

---

(٢) الحجرات : مدنية من الاية ٩.
(٣) ٨ الانفال : مدنية : الاية ٤١ .
(٤) ٥٩ الحشر : مدنية : الآية ٧
(٥) الحاوى ج ١١ ق ١٧٩ ، ١/١٨٤ .
(٦) الاقناع ص ١٧٩ .

وأكد هذا فى الاحكام السلطانية وانتقد رأى أبى حنيفة : القائل : لا خمس فى الفىء • فقال : ونص الكتاب يمنع مخالفته [٧] لقول الله تعالى : (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) •

وبسط الماوردى المسألة فى الحاوى — كتاب تفريق الخمس فعرض للاراء المختلفة — وناقش رأى أبى حنيفة وانتهى الى تأييد رأى الشافعى [٨] •

فقال : « وخمس الفىء والغنيمة مقسوم على مذهب الشافعى على خمسة أسهم كان لرسول الله ﷺ فى حياته سهم يصرف بعده فى مصالح المسلمين •

وسهم لذوى القربى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب باق لهم ما بقوا وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لبنى السبيل •••

وقال أبو حنيفة — يقسم الخمس (فى الغنيمة) على ثلاثة اسهم سهم اليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم بنى السبيل وأسقط منها سهم رسول الله ﷺ وسهم ذى القربى •

وقال مالك : يصرف الخمس مع أربعة أخماس الفىء فى وجوه المصالح •

ويبين الماوردى وجهة نظره ورد على أبى حنيفة فقال :

والدليل على أن سهم رسول الله ﷺ ثابت فى رواية محمد بن جبير

---

(٧) الاحكام السلطانية ١٢٦ ، ١٢٧ •

(٨) الحاوى جـ ١١ ق ٢١٥ — ١/٢١٧

ابن مطعم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « مالى مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود فيكـــم » .

فدل رده على ثبوته ـ وأن تغير حكمه ـ لا على سقوطه .

والدليل على أن سهم ذى القربى ثابت يستحق مع الغنى والفقر لقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) فأضاف الخمس الى خمسة أصناف بلام التمليك وجمع بيهم بواو التشريك فاقتضى الظاهر تساويهم فى جميع الاوصاف التزاما بأمــر الله تبارك وتعالى ، وهو حينما وصفهم بذى القربى دل على استحقاقهم باسم القرابة لا الفقر قال تعالى (فآت ذى القربى حقه والمسكيــن وابن السبيــل)

(سورة الاسراء : من الاية ٢٦) .

ويختار صاحب نصيحة الملوك التفضيل فى العطاء من الفىء فقال :

وسن رسول الله ﷺ التفضيل فى العطاء والتسوية تارة ، على ما أوجبته الحال وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسويـــة .

وكان عمر وعثمان يفضلان على مقدار البلاء فى الاسلام والغناء عنه ومواجب الاحوال ثم كان على يرى التسوية .

والتفضيل عندنا هو الاختيار وهو أشبه بكتاب الله عز وجل (٩) لان الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه)

(الايتان ٩٥ ، ٩٦ من ســورة النســاء) .

وقال : (قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون) (الايــة ٩ مــن ســورة الزمــر) .

---

(٩) نصيحة الملوك ق ٤ / ب ، أنظر النص المحقق ص ٣٢١ .

بينما يرى الماوردى التسوية فى العطاء .

قال فى الاقناع : « ويسوى بين المقاتلة فى العطاء ، وان تفاضلوا فى الغنـــاء » (١٠) .

وفى الاحكام السلطانية يبين لنا الماوردى أن القائلين بالتفضيل هم : ابو حنيفة وفقهاء العراق ، وأن القائلين بالتسوية هم : الشافعية ومالك فقال : « ولما أستقر ترتيب الناس فى الداووين على قدر النسب المتصـــل برسول الله ﷺ فضل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الاسلام والقربى من رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية بينهم فى العطاء ولا يرى التفضيل بالسابقة ، كذلك كان رأى على رضى الله عنه فى خلافته وبه أخذ الشافعى ومالك .

وكان رأى عمر رضى الله عنه التفضيل بالسابقة فى الاسلام ، وكذلك كان رأى عثمان رضى الله عنه من بعده ، وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق .

ولما ناظر عمر أبا بكر حين سوى بين الناس : فقال : أتسوى بيـــن من هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح خــوف السيـــف .

فقال أبو بكر رضى الله عنه « انما عملوا لله ، وانما أجورهم علـــى الله ، وانما الدنيا بلاغ » (١١) .

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة أن الفـــىء لا يخمس ، كما يرى التفضيل فى الاعطاء ، وهو يخالف رأى الماوردى بـــأن الفىء يخمس وأن الاعطاء بالتسويـــة .

---

(١٠) الاقنـــاع ١٧٩ .

(١١) الاحـــكام الســـلطانية ٢٠٠ ، ٢٠١ .

المطلب الرابع

حد السكر

يرى صاحب كتاب النصيحة أن حد السكر هو ثمانين جلدة فقال :
« وأجمعت الامة على جلد السكران بثمانين » (١) .

وهذا يناقض ما هو ثابت عن الماوردى .

قال فى الاقناع « ومن شرب خمرا أو نبيذا مسكرا حد أربعين بالثياب والايدى ، وحثى على رأسه التراب وبكت .

فان رأى الامام أن يبلغ بحده ثمانين اذا تهافت فيه فعل » (٢) .

فرأى الماوردى أن الحد هو أربعين وان للامام ان يصل به تعريزا الى ثمانين .

وأكد ذلك فى الاحكام السلطانية فقال : (والحد أن يجلد أربعين بالايدى وأطراف الثياب ويبكت بالقول الممض والكلام المراد للخبر المأثور فيه .. ويجوز أن يتجاوز الأربعين اذا لم يرتدع بها الى ثمانين جلدة فان عمر رضى الله عنه حد شارب الخمر أربعين الى أن رأى تهافت الناس فشاور الصحابة فيه ، وقال : أرى الناس قد تهافتوا فى شرب الخمر فماذا ترون ؟ فقال على ــ رضى الله عنه ــ أرى أن تحده ثمانين لانه اذا شرب الخمر سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى فحده ثمانين حد الفرية ، فجلد فيه عمر بقية أيامه والائمة من بعده ثمانين فقال على ــ رضى الله عنه ــ ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد

---

(١) ق ٧٧ / ١ ، النص المحقق ص ٣٢١ .
(٢) الاقناع ص ٧٠ .

فى نفسى منه شيئا ألحق قتله الا شارب الخمر فانه شىء رأيناه بعــــد رسول الله ﷺ فان حد شارب الخمر أربعين فمات منها كانت نفسه هدرا ، وان حد ثمانين فمات ضمنت نفســه » (٣) .

ويتضح من هذا القول أن حد السكر عند الماوردى أربعين جلـــدة ويجوز زيادته الى ثمانين من باب السياسة الشرعية .

وفى كتاب الحاوى بيان كاف وشاف ووافى لهذه المسألة ، فهو يعرض للاراء المختلفة ثم ينتصر لرأى الشافعى قال : « قد أختلف الفقهــاء فى مقدار حد الخمر :

فذهب الشافعى الى أن حد الخمر أربعين لا يجوز أن ينقص منهــا ، وما زاد عليها الى ثمانين تعزير يقف على اجتهاد الامام لا يزيد عليهــا ويجوز أن ينقص عنهـــا .

وقال مالك وأبو حنيفة وسفيان الثورى : حد الخمر ثمانون كالقذف لا تجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها استدلالا برواية شعبة عن قتادة أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحـــو الاربعين وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أخف الحدود ثمانون فأخذ بها عمر فصار اجتهاد الصحابة موافقا لفعل الرسول لان الاربعين بالجريدتين ثمانون » .

ورد الماوردى هــذا الرأى وقـــال :

دليلنا قول الشافعى أخبرنا الثقة عن معمر عن الزهرى عــن عبــد الرحمن بن أزهر قال : (أتى النبى ﷺ بشارب . فقال : أضربوه ، فضربوه

---

(٣) الاحكام السلطانية ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

بالايدى والنعال وأطراف الثياب وحثوا عليه التراب ثم قال : بكتوه ،ثـم أرسلـــه) •

وما رواه حصين بن المنذر ، أبو ساسان ، أن الرقاشى قال : (شهدت عثمان بن عفان وقد أتى بالوليد بن عقبة ، فشهد عليه حمران بن أبـان (مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه) ورجل آخر ، شهد أحدهما أنه شرب الخمر ، وشهد الاخر : أنه تقيأها فقال لعلى : أقم عليه الحد فقال « على » للحسن : أقم عليه الحد فقال الحسن : ول حارها من تولى قارها (أى ولى صعبها من تولى سهلها) فقال « على » لعبد الله بن جعفر أقم عليه الحد ، فجلد عبد الله بالسوط وعلى يعد ، فلما بلغ الاربعين قال عثمان حسبك :

جلد رسول الله ﷺ أربعين جلدة ، وجلد أبو بكر أربعين جلدة ، وجلد عمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب الـى » •

قال الماوردى : هذا نص من وجهتين :

أحدهما : ما أخبر عن رسول الله ﷺ من اقتصاره على الاربعيـن

والثانى : أخبار بأن كل من العددين سنة يعمل بها ويصح التخبير فيهـا •

وقال فى أدلة الحنفية ومن تابعهم :

لو كان فى حد الخمر نص ما أجتهد فيه ولعملوا فيه على النقل وتحمل الرواية بجريدتين ونعلين ، على أن أحدهما بعد الاخرى لان الأولـى تقطعت فأخذ بالثانيـة •

وأن قياسهم على االقذف مردود ، لان السبب يوجب الحد ، فوجب أن يختص بعدد لا يشاركه فيه ، كالزنا والقذف فان قيل : وجب أن لا يقدر بأربعين كالزنا والقذف فالرد : الحدود موضوعة على الاختلاف فى المقدار

لاختلافها فى الاسباب فجاز لنا اعتبار بعضها ببعض فى التفاضل ولم يجز لهم اعتبار بعضها ببعض فى التماثـل .

ولان الحدود تترتب بحسب اختلاف الإجرام ، فما كان جرمه أغلظ كان الحد فيه أكثر ، لان الزنا لما غلظ جرمه بالاشتراك فيـه غلظ حـده ، والقذف لما اختص بالتعدى الى واحد كان أخف من الزنا ، والخمـر لما اختص بواحد لم يتعد عنه ، ووجب أن يكون أخف من القذف (٤) .

ويتبين لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة فى حد السكـر يخالف رأى الماوردى فى كتبه الفقهية ، اذ يرى صاحب النصيحة أن الحـد ثمانين باجماع الامة بينما يرى الماوردى أن الحد أربعين ويجوز زيادتـه الى ثمانين تعزيـرا .

---

(٤) كتاب الحدود من الحـاوى تحقيـق ودراسـة ابراهيم صـندقجى ج ٣ : ١١٣٠—١١٣٦ .

المطلب الخامس

قدر نصاب القطع فى السرقة

يرى صاحب النصيحة : أن السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا أنه سرق ما تبلغ قيمته عشرة دراهم من حرز [١] .

فقدر النصاب لديه عشرة دراهم ، وهذا يخالف ما هو ثابت عند الماوردى فى كتبه الفقهية جميعا .

قال فى الاقناع : « ومن سرق ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار من غالب النقود الجيدة من حرز مثله ولم يكن له شبهة فى الحرز ولا فى المال ولا فى المالك قطعت يده اليمنى من الزند وحسمت بالدهن الحار » [٢] .

فنصاب السرقة الموجب للقطع لدى الماوردى هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار .

وقد أكد الماوردى ذلك مع بيان اختلاف الفقهاء فى كتابه الاحكام السلطانية فقال : « واختلف الفقهاء فى قدر النصاب الذى تقطع فيه اليد .

فذهب الشافعى الى أنه مقدر بما تبلغ قيمته ربع دينار فصاعدا من غالب الدنانير الجيدة .

وقال أبو حنيفة : وهو مقدر بعشرة دراهم أو دينار ولا يقطع فى أقل منه ...

وقدره مالك بثلاثة دراهم ... » [٣]

---

(١) نصيحة الملوك ق ٢/٧٧ وانظر النص المحقق ٣٣٢ ، ٣٣٣

(٢) الاقناع ص ٦٧ .

(٣) احكام السلطانية ص ٦٠ .

ويتضح من ذلك أن القائلين بان قدر نصاب القطع فى السرقة عشرة دراهم هور أى فقهاء الحنفيــــة •

وقد عرض الماوردى — فى الحاوى — رأى أبى حنيفة مبينا وجــه الخلاف مع الشافعى ثم رد رأى الاحناف فقال : قال أبو حنيفة وأصحابه : يقطع فى عشرة دراهم فصاعدا وان سرق من غيرها قــوم بهـــا •

فصار مخالفا للشافعى من وجهين :

أحدهما : فى القـــدر

والثانى . فى جنس ما يقــع بــه التقويم •

استدلالا برواية زفر بن الهذيل عن الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لا قطــع الا فى عشرة دراهـــم » •

وروى مجاهد وعطاء عن أيمن عن النبى ﷺ أنه قال « ادنى ما يقطع فيه السارق ثمن المجنـــ وكان يقوم دينـــارا » •

ورد الماوردى على ذلــك فقــال :

ودليلنا عموم قول الله ســبحانه وتعالى (والســارق والســارقة فاقطعوا أيديهما) (المائدة : من الاية ٣٨) • الا ما خصه الدليل والاجماع

وروى عن الشافعى ، وعن سفيان ، وعن الزهرى ، وعن عائشـــة رضى الله عنها ان النبى ﷺ قال : « القطع فى ربع دينار فصاعــدا » •

وروى عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعــدا » وهذا أوكد ، لانها اضافــة الـــى سماعهـــا •

وروى عن الشعبى عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ انه قـــال : « قطع فى مجن قيمته خمسة دراهم » .

وروى ابن عمر ان النبى ﷺ قطع سارقا سرق من صفة النساء (أى الموضع المختص بهن فى المسجد) ترسا قيمته ثلاثة دراهم [٣] .

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى الماوردى فى قدر نصاب السرقـــة الواجب فيه القطع هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار فصاعدا بينما رأى صاحب « نصيحة الملوك » أن قدر النصاب فى السرقة هو عشرة دراهم أى دينار ، وهو رأى أبى حنيفة وأصحابـــــه .

---

(٣) كتاب الحدود من الحاوى جـ٢ ص ٤٥٥ وما بعدها .

لمـن نصيحـة الملـوك ؟

لا نستطيع أن نجزم باسم صاحب كتاب « نصيحة الملوك » ويبدو لنا من دراسه وتحقيق الكتاب أنه من وراة الحديث ،فقد ذكر أكثر من خمسة أحاديث بلفظ روينا [1] .

كما أن صاحبه يحاول الجمع بين الشريعة والفلسفة ومن أقوالـه « الاقتداء بالله فى أفعاله ... وهو مع ذلك حد من حدود الفلسفة ومعنى من معانى الحكمة » [2] .

ويبجل علماء الكلام ويراهم الذابين عن أصول الدين [3] ويستند الى علماء المعتزلة كعمرو بن عبيد ، والجاحظ [4] . كما أن صاحب النصيحة حنفى المذهب — فى الغالب — كما هو ثابت من الاحكام الفقهية التى أوردهـا فى كتابـه .

وان الاحداث والوقائع التاريخية الواردة فى الكتاب تقف تقريبا عند منتصف القرن الرابع الهجرى .

كما أن صاحب النصيحـة قد عرض للدولة الســامانية فى خراسـان ووصف الامير الماضى وصف معاصر له بأن قال « كان من ابناء الدنيا » [5]

فصاحب « نصيحة الملوك » من رواة الحديث ، يقول الشعر ويميـل الى المتكلمين ، ومن المنتمين الى المذهب الحنـفى غالبـا ، عاصر الدولة السامانية أو كان قريبا منها .

---

(١) أنظر ق ٢/أ ، ٥٩/أ ، ٩١/أ ، وأنظر النص المحقق ص ٤٣، ٢٦٢ .
(٢) أنظر نصيحة الملوك ق ٣٥/ب ، وانظر ص ١٧٠ .
(٣) النصيحة ق ١٥/ب ، وانظر ص ٩٣ .
(٤) النصيحة ق ٤٢/ب ، وأنظر ص ١٩٩ .
(٥) نفس المصدر ق ١٩/ب ، وانظر ص ١٠٧ .

وبتتبع كتب التراث السياسى فى القرن الرابع والخامس وبتطبيق هذه المعالم عليها يبدو لنا أن « نصيحة الملوك » لاحمد بن سهل ، وكنيته أبو زيد البلخى ، لانه من أهل بلخ فيها ولد ، وبها مات سنة ٣٢٢ هـ عن سبع وثمانين سنة ، وكان بارزا فى كل فن وان كان قليل الشعر ، وله كتاب « السياسة الكبير » « والسياسة الصغير » وأدب السلطان والرعية ، وسلك فى مصنفاته طريقة الفلاسفة الا أنه كان بأهل الادب أشبه ، وكان على صلة بوزير نصر بن أحمد الساماتى ، وكان أبو زيد البلخى محدثا ، وذكر فى مجلس البزار (محدث بلخ ومفتيها فى عصره) فأثنى على عقيدته، وقرر أن كتبه على كثرتها لا تتضمن خروجا على العقيدة على الرغم أنه معدود من الفلاسفة(٦) ، ويذكر فى طبقات فقهاء الحنفية(٧) .

منهج التحقيق

قمنا بتخريج الايات القرآنية والاحاديث النبوية وتوضيح الغامض والغريب من الالفاظ اللغوية كما حاولنا أن نبرز أوجه الاختلاف مع الماوردى من خلال شواهد الكتاب .

وقمنا بوضع عناوين فى كل باب وفصل تعاون على جمع أفكار الكتاب.

كما قمنا باعداد فهارس شاملة للكتاب تيسيرا للرجوع اليه والانتفاع الكامل به .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكون علما نافعا وعملا متقبلا .

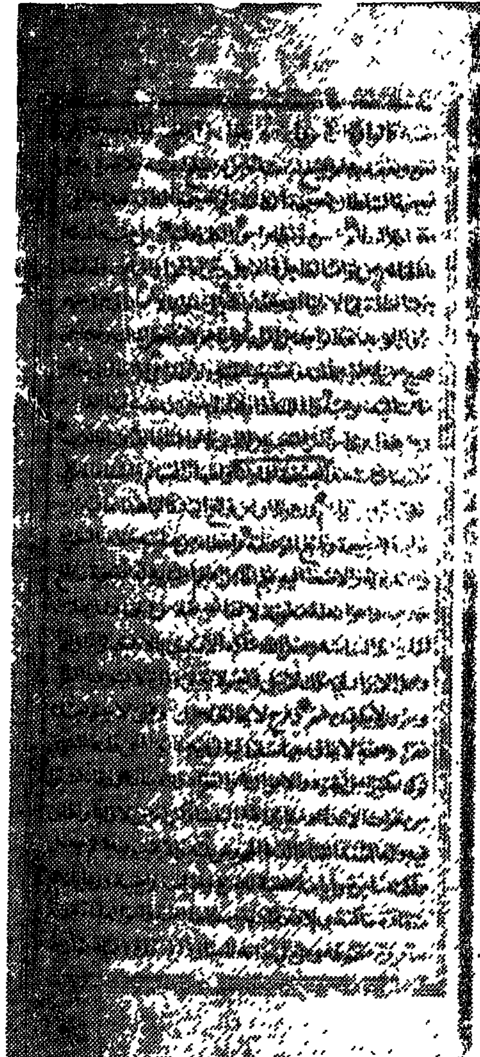
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(٦) معجم الادباء ١ : ١٤١ — ١٥٢ ، والوافى بالوفيات ٦ : ٤٠٩ — ٤١٣ .

(٧) الطبقات السنية فى تراجم الحنفية ، لعبد القادر التيمى المصرى (المتوفى ١٠٠٥ هـ) تحقيق د . عبد الفتاح الحلو ، دار الرفاعى ، الرياض ١ : ٣٥٩ .







الاصول والقسمين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نصيحة الملوك

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بحمد الله نفتتح ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين على كل مقصود ، وإياه نسأل التوفيق والتسديد .

ونقول : إن مما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعد ما علمنا من حث الله — جل ذكره — العقلاء من عباده على طلب الأجر ، وركب فى طبائع الفضلاء من المحبة لبقاء الذكر ، قول الله — جل وعز — : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[1] . وقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [2] .

ثم ما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال : « من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » [3] .

ثم ما روينا عنه أنه قال : « إنما الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وجماعتهم » [4] .

---

(١) ٣/ آل عمران : مدنية / ١٨٧ .

(٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٥٩ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٠١:١ ، سنن ابى داود ٣٢١:٣ ، سنن الترمذى ٣٢٤:٤ ، سنن ابن ماجه ٩٨:١ ، مسند الامام أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر ٥:١٤ رقم ٧٥٦١ .

(٤) المعجم الكبير للطبرانى ٥٣:٢ .

وروى عن جرير بن عبد الله [٥] ، قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم » [٦] .

فالملوك أولى الناس بأن تهدى اليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ إذ كان فى صلاحهم صلاح الرعيه وفى فسادهم فساد البريه، ولذلك ما كان الملوك الاولون يقولون : صلاح الوالى خير من خصب الزمان [٧] .

وقالوا : من غش الإمام فقد غش العامه وان ظن أنه للعامة مناصح [٨]

وكانوا يقولون : لم ينصح عملا من غش عامله [٩] .

وقال جليل من الحكماء : يجب من حق الله تبارك وتعالى على المرء : التوحيد والطاعة ، ومن حق السلطان : الود والنصيحة .

وكان يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد خان (٢ / ب) نفســه [١٠] .

---

(٥) هو جرير بن عبد الله بن جابر ، صحابى جليل ، أسلم فى السنة التى قبض فيها النبى ﷺ ، وقد وجهه النبى الى ذى الخلصة (بيت فيه صنم لخثعم) ليهدمها ، ومات جرير سنه احدى وخمسين ، وقيل : سنة أربــع وخمســين . الطبقات الكبرى ٦ : ٢٢ ، الاستيعاب ١ : ٢٣٧ ، أسد الغابة ١ : ٣٣٤ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٧٤ .

(٦) سنن النسائى ٧ : ١٤٧ .

(٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ٥٣ .

(٨) نفس المصــدر ٧٥ .

(٩) نفس المرجــع ٧٥ .

(١٠) العقد الفريد ١ : ٧ ، نهاية الارب ٦ : ١٠ ، كليلة ودمنه ٧٥ .

قالوا : وكان كسرى أبرويز[١١] يقول : من لم يصلح لملكه مع تعلق ضره ونفعه به لم يصلح لنفسه ، ومن لم يصلح لنفسه فلا خير فيه[١٢] .

ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة ، وفي نصيحة الكافة هداية الى مصلحة العالم بأسره ، ونظام أمور الكل بجملته ، وعلى حسب ذلك يرجو باذلها من ثواب العاجل والآجل وجزاء المحيا والممات . ولهذا ما جرت العادة في الأنبياء أن يبعثهم الله الى ملوك الأمم أو الى جماعتهم دون الواحد بعد الواحد من أفراد رعاياهم ، لان شخص الملك وحده يفي بجميع من في ضمن مملكته وتحت سياسته ، ولأن الراعى اذا مال الى مذهب مالت اليه الرعية ، والملك اذا زهد في سيرة زهدت فيها العامة ، وعلى هذا جرى أمر أكثر المتنبئين[١٣] الذين راموا فساد الدنيا والدين فكتبنا كتابنا هذا نصيحة للملوك واظهارا لمحبتهم ، وإشفاقا على أنفسهم ورعاياهم ، ورجونا أن من وقع اليه كتابنا هذا بما فيه من صادق النصيحة وبليغ الموعظة ، وأعطاه من عنايته حظه بالنظر فيه ، والتدبر له ، والاصغاء اليه ، علم أنا من أعظم أوليائه له نصيحة ، وأبلغ خدمه وأعوانه له معونة ، لأنها نصيحة من قبلها وعمل بها من الملوك والساسة وصل الله ملكه الأمدى بالأبدى في دار القرار ومحل الابرار في ملك لا يبلى ونعيم لا يفنى ، ولذة لا يشوبها ألم ، وسرور

---

(١١) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، عامل رعيته بالعنف ، وقتل قتلة أبيه ، وأمسك عن الانفاق ، وغزا الشام وبلغ مصر ، وحاصر ملك الروم بقسطنطينية ، وطالت مدته حتى ضجر الناس فخلعوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، وسملت عيناه ، وقتله ابنه شيرويه . المعارف لابن قتيبة ٦٦٥ .

(١٢) أخلاق الملوك للجاحظ تحقيق العطوى ١٠٠ .

(١٣) المتنبئون : أدعياء النبوة . تاج العروس ١: ١٢٢ .

لا يكدره غم ، وفرح لا يخالطه حزن ، وغنى لا يخشى بعده فقرا ، وصحة لا يخاف معها سقما ، ينال فيه غاية المنن [١٤] • وكنة المشتهى ، ثم كفاه كثيرا من الجنود والاعوان والقواد والفرسان ، ووقاه كثيرا من معـــرات [١٥] الاعداء ، ومكائد أهل البغضاء ، وكثر له من الاولياء ، وأطلق فيه ، ولـــه ، ألسنة الثناء والدعاء المحروض عليه[١٦] والمرغوب فيه •

ثم جعل مملكته عامرة ، وأيامه غضـــة ناضرة ، وخواصه راضيـــة ، ورعياه منقادة ساكنة ، وبلاده هادئة ، وسبلها آمنه ، وأمواله داره ، وأعداؤه مقهورة مقموعة ، وعزه فى حياته ناميا ، وذكره بعده باقيا ، ثم أزاح (٣/أ) عنه فضول الاشغال ، وطرح عنه فوادح الاثقال ، فان أخطأه فى دنياه حظ يتمناه ، وفاته بعض ما يهواه ، عوضه الله عنه ما هو أجل قدرا ، وأعظـــم خطرا ، وأوفى وأهنى وأكثر وأسنى ، وعدا من الله حقا ، وقولا صدقـــا ، والله لا يخلف الميعاد •

على أن لا ننفرد فى كتابنا بآرائنا ، ولا نعتمد فى شىء نقوله على هوانا دون أن نحتج لما نقوله فيه ونذكره بقول الله — جلّ وعز — المنزل فى كتابه وأقاويل رسوله ﷺ المروية فى سننه وآثاره ، ثم سير الملوك الاولين والائمة الماضين والخلفاء الراشدين ، والحكماء المتقدمين فى الامم الخالية والايام الماضية ، اذ كان هؤلاء أولى بالتقليد فيما قالوا ، والاتباع فيما نسبـــوا والاقتداء بهم فيما مثلوا •

---

(١٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب : غاية المنى •
(١٥) المعرات : ما يصيب الانسان من مكايد الاعداء •
(١٦) هكذا فى الاصل ، والاصوب : المحرض عليه •

ورأينا أن نجمع ما قصدنا جمعه من ذلك فى عشرة أبواب :

الباب الاول : فى الحث على قبول النصائح .

الباب الثانى : فى الإبانة عن جلالة شأن الملك والملوك ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من الخلال التى تشاكل منازلهم وتضاهى مراتبهم .

الباب الثالث : فى الخلال التى من جهتها يعرض الفساد فى الممالك والملك .

الباب الرابع : فى فصول من المواعظ التى ينتفع بها ، ويعالج بها قساوة القلوب ويتداوى بها من أمراض الأهواء وأسقام الشهوات .

الباب الخامس : فى سياسة النفس ورياضتها .

الباب السادس : فى سياسة الخاصة من الاهل والولد والقرابة والخدم والجند .

الباب السابع : (٣ / ب) فى سياسة العامة وتدبير أهل المملكة .

الباب الثامن : فى تدبير الاموال ، جمعها وتفريقها .

الباب التاسع : فى تدبير الاعداء .

الباب العاشر : فى تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير مما يجرى بيانه على أيدى الملوك ، مما يكرهه كثير من العلماء والعقلاء .

الباب الاول

الحث على قبول النصائح

واذ قد ذكرنا ما يجب على أهل العلم ، والعقل ، والديانة ، والفضل ، الذين يوصون على أنفسهم ، وأمر الله ، وفرائضه ، وأحكامه ، ومواجبه من نصيحة الملوك والائمة وبينا أن ذلك مما يجمع نصيحة الكافة ، ويستصلح بها [1] الخاصة والعامة ، وأوضحنا أن الله بعث أنبياءه ، وأمر بها [2] أولياءه ، وحث عليه علماء بريته ، وحكماء خليفته فائتمروا به ، وانتهوا اليه ، وقدمنا أن أحق من يهدى اليه النصائح ، ويتخول بالمواعظ الملوك ، بأن به أنهم أحق الناس بقبول النصيحة ، وسماع الموعظة لخلال عدة :

[علل نصح الملوك] :

أولها : أن يترفعوا به عن مشاكلة أهل الغباوة والجهالة ، وسوء النشوء والعادة ، الذين لا يميزون بين منافعهم ومضارهم ، ولا يفرقون بين محامدهم ومذامهم ، وعن مرتبة من يستحوذ عليه شهواته ، ويغلب عليه هواه حتى يرين [3] على قلبه (٤ / أ) ويكون من الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، وإن ذلك مما يجب على ذوي الهمم البعيدة ، والانفس الابية أن يترفع ويسمو بهمته عنه .

(١ ، ٢) هكذا بالاصل والاصح (به) .

(٣) يرين : اي يصير كصدأ على جلاء قلوبهم فيعمى عليهم معرفة الخير من الشر . تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٣ .

والثانية . أن يرغبوا فى نتائج النصائح ، فان النصيحة هداية الى سبل الرشاد ، وتبليغ الى نيل السداد ، وذلك مما يحمد عاجلته وآجلته ، وأولاه وآخرتـــه •

والثالثة : أنهم أكثر الناس أشغالا ، وأعظمهم أثقالا ، وأبعدهم عـــن ممارسة أمورهم بأنفسهم ، ومشاهدة أقاصى أعمالهم بأعينهم ، وليس كل مستعان به يعين ، ولا كل وال يستقل بما يلى •

والرابعة : أنهم أبعد الناس من مجالسة العلماء ، وحضـــور مجالس الزهاد والواعظين والفقهاء ، الذين بهم تشحذ العقول ، وتبصر العيون • ويذكر بالغبن،[٤] فهم عنه محجوبون،وعن مفاوضتهم ممنوعون مشغولون•

والخامسة : أنهم أبعد الناس من الاتعاظ بالموعظة ، والانقياد للتذكرة والقبول للنصيحة اذا خالف أهواءهم ، لأنهم أو عامتهم يغزوهم[٥] العـــز والثروة ، والامن ، والمقدرة ، والجرأة ، والمتعة ، والسرور ، واللذة • وهذه كلها خلال تؤدى الى قساوة القلوب والانفة من تعلم العلوم ، وان كان فيها نجاحهم ، والاستنكاف من الاتعاظ ، وان كان فيه صلاحهم •

والسادسة : أنهم أقل الناس حظا من النصحـــاء المحضين ، والأوداء المشفقين ، لأن أكثر من يحتوشهم[٦] من وزرائهم وأعـــوانهم وندمائهم لا يكلمونهم إلا بما يوافق أهواءهم ، ولا يستقبلونهم إلا بما يطابق آراءهم

---

(٤) فى الاصل بالغين ولا يستقيم بها المعنى •

(٥) يغزوهم : يدخلهم ويتغلغل فيهم •

(٦) يحتوشهم : بمعنى من يحيطون بهم ويجعلونهم وســـطهم • المعجم الوسيط ج١ ص ٢٠٦ •

مخافة على مهجهم ، وتحصينا لدمائهم ، واستدرارا لمطامعهم ، وضنا بمراتبهم ، ولان أكثر من يلزم سددهم ، ويحضر أبوابهم ، ويتصرف فى حدمتهم طلاب الدنيا ، وبائعو حطادها ، يميلون معها اذا مالت ، ويزلون بها اذا زالت ، وليس من حق النصيحة متابعة الهوى ، ولا من خاصة الحق موافقة الشهوات،وكيف يكون كذلك والله جل وعز – يقول:(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) (٧) ويقول الرسول ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل » (٨) . وكانوا يقولون : « آفة الرأى الهوى » (٤ / ب) وقالوا : « انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه فى المهالك » (٩) . وقال بعض العلماء المتقدمين : « وعلى العاقل أن يعلم أن الرأى والهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويف الرأى واسفاف الهوى ، فيخالف ذلك ، ويلتمس أن لا يزال(١٠) هواه مسوفا ورأيه مسعفا » . ولهذه العلل ما لا يعدم الملوك من ينصحها ، ويستقصى لها فى أبواب الدخل والخرج ، والتفريق والجبايات والنفقات ومن يدلها على عاجل مرافقها ، وينصح لها فى مكايدة أعدائها ، ومنابذة مخالفيها ، وقل من يجد من ينصحها فى دينها ، ويبصرها مذام أمورها ومحامدها ، ويذكرها بعاقبتها ، وينهى اليها أخبار ضعاف الرعية ، وسوء أدب الخاصة والحاشية، وظلم ذوى الجاه والمقدرة لذى الخمول والضعة ، ولهذه العلة ما وضع

---

(٧) ٢٣ المؤمنون : مكية الآية ٧١ .

(٨) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى فى الكامل عن جابر . ضعيف الجامع الصغير جا ص ١١٥ .

(٩) النص لدى الماوردى : أدب الدنيا والدين وينسب الى الشعبى ص٩٣

(١٠) هكذا بالاصل ، والاصح : الا يزال ، بحذف النون .

كثير من غش الوزراء فى أس الملك ، أن الملك لا ينبغى أن يكون كاتبا لأن الكتابة صناعة ، ولا أن يكون حاسبا لان الحساب مهنة . حتى قالوا : لا يجب أن ينظر فى العلم والفقه ، ويبحث عن اختلافات الناس ليعرف الخطأ من الصواب من مذاهب الملة ، فان ذلك مما ينفر عنه العامة ، ويفرق عليه قلوب الرعية ، وحتى قالوا : لا يجب أن يكون الملك بطلا مقاتلا ، فإن ذلك من أعمال الاساورة (١١) ، وان الملك اذا ألجىء الى القتال بنفسه فقد هلك وأنه ما دام له جنده فليس له أن يخاطر بنفسه ، ولانه ما دام باقيا لا يعوزه من يقاتل عنه ، ويبذل مهجته دونه ، واذا ذهبت نفسه لا يعنى عنه جمعه ولا ينفع بجيشه . فى أمور كثيرة من مثل هذا ، اذا فكر فيها العاقل ، ونظر فيها المميز ، علم أنها من وضع الغاشين من الوزراء والاعوان الذين لم يألوا أن يخلو الملك من كل فضيلة ، ويعرى عن كل منقبة ومعرفة حتى يكون كالاسير المكبول ، والذليل المقهور فى أيديهم ، يفعلون بأملاكه وأملاك رعيته ما شاءوا ، ويديرون فى المملكة ما أرادوا ، ويبدعون فى الملة من الاهواء المضلة والاحكام الجائرة ما رأوا . ولم يتبعوا سير الملوك الحزمة ، والساسة الكملة كانوا على وجه الزمان ثم نظروا الى من برز منهم بالفضل وحاز (٥/أ) قصب السبق ، علم أنهم لم يبلغوا غاياتهم ، ولم يدركوا نهاياتهم (ولم يدركوا) (١٢) الا بفضل العقل والتمييز والحكمة والتدبير ثم باليقظة الدائمة ، والعناية الشديدة ، والرياضة الكثيرة ، حتى فاقوا

(١١) الاساورة : للرماة الحاذقين والاصل اساورة الفرس : قوادها وكانوا رماة الحدق . اساس البلاغة ص ٤٦١ .

(١٢) كذا فى الاصل والمعنى يستقيم بدونها .

أقرانهم وراقوا[١٣] أكفـــاءهم فى الملك ، ومضت أيامهم حميدة ، وبقيت آثارهم عتيدة . وسنذكر فى مواضعه من الكتاب ما يحضر من بالغ حكمهم، ومحاسن آثارهم ، ونافع مواعظهم ، ما يكون على ما ذكرناه شاهدا ، وعلى ما سطرناه دليلا ، بعون الله وحوله .

[تقــريب الملوك لنصحائهم]

وقد كان من الملوك الحزمة والخلفاء والائمة كثير ممن خالــف هذه السيرة ، وتنكب هذه الطريقة ، فكان أحب الناس اليهم أصدقهم عن عيوبهم وأقربهم منهم أنصحهم لهــم ، وأجبهم عندهم من نبههم علــى عيوبهم ، وبصرهم بذنوبهم ، يتواصون باجتنــاء النصائح ، وقبــول المواعــظ ، ويشترطون فى عهودهم معرفة النصح من الغش ، والناصح مــن الغاش . وممن يجب أن يقبل ، وكيف يجب فيها أن يعمل .

وقد كان من آثار ملوك العجم وما أحيى من آرائهم ، ووصفوه فى كتب لبنيهم[١٤] أن قالوا : « أخلق الناس بالتورط والندم أعطاهم للنصحاء » وقالوا : « اتخذ من علمائك ونصحائك مرآة لطباعك وفعالك ، كما تتخــذ للصورة وجهك الحديد المجلو ، فانك الى صلاح طباعك وأفعالك أحوج منك الى تحسين صورتك ، والعالم الناصح أصدق وأعوز من الحديد المجلو »[١٥]

وجمع ذلك النبى ﷺ فى قوله : « المؤمن مرآة أخيه المؤمن »[١٦] .

---

(١٣) راق عليه : اى زاد عليه فضلا — تاج العروس ج٦ ص ٣٦٣ .

(١٤) غير واضحة فى الاصــل .

(١٥) مختار الحكم ٣٣٥ ، سراج الملوك ٧٣ ، ومــع اختــلاف يسير فى المصباح ١: ٢٥٧ .

(١٦) صحيح ، أخرجه البخارى فى الادب المفــرد ٢٣٩ ، والطبرانى فى مكارم الاخلاق ٩٢ ، والقضاعى فى مسند الشهاب ١: ١٠٥ ، ١٠٦ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ٢: ٦٣٢ .

[من نصائح الحكام والحكماء]

وقد قال أردشير [١٧] فى عهده الجليل الخطر ، العظيم القدر ، الذى جعله دستور الملك : « وفى الرعية ضرب أتوا الملوك من أبواب النصائح ، والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس ؛ فأولئك اعداء الناس واعداء الملوك ومن عادى الملك وجميع الرعية فقد عادى نفسه » [١٨] .

وقال فى فصل آخر : « وفى الرعية ضرب آخر تركوا الملوك من قبل أبوابهم وأتوهم من قبل وزرائهم ، فليعلم الملك أنه من أتاه من قبل بابه فقد آثره بنصيحته إن كانت عنده ، ومن أتاه من قبل وزرائه فهو مؤثر للوزير على الملك كل ذلك ضنا بالنصيحة وحثا للناس عليها » [١٩] .

وقال سابور بن أردشير [٢٠] فى عهده لابنه : (٥/ب) « واحذر أن تكون معروفا عند وزرائك بالسرور بالمتابعة لك على هواك أو أن يظهر لك إيثار لمن فعل ذلك منهم ، وتفضيل له على من سواه ، فيلتمسوا الحظوة لموافقتك على ما فيه ضياع عملك وهلاك رعيتك ، فان ذلك من اشد الأمور مخوفا لنصائح الاعوان ، وأكثرها ضررا على الملوك ، وانما جل حاجة الملك الى وزرائه ليبصروهم ما عسى أن يخفى عليهم ، والاستماع بمشوراتهم

(١٧) هواردشير بن بابك ، اول ملوك الفرس الساسانية ، وازال ملوك الطوائف ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وستة اشهر . المعارف ٦٥٣ ، العبر ١ : ٢٥٣ .

(١٨) عهد اردشير ٧٧ .

(١٩) نفس المصدر ٧٥ .

(٢٠) هو ثانى ملوك الفرس الساسانية ، ودام ملكه احدى وثلاثين سنة وستة اشهر . المعارف ٦٥٤ .

وآرائهم ، فاذا كان الرأى معطلا مرفوضا ، وهوى الملك مقتدى به متبوعا فأهون بمنفعتهم ، وأقلل بغنائهم » .

قال : « وقد كان بلغنا ممن مضى من الملوك أشد التوقى لذلك ، وأبلغ النهى عنه حتى لربما أظهر بعضهم لوزرائه الهوى فى الامر الذى يعرف خطأه وصوره ارادة امتحانهم ، وتكشيف نصحائهم فمن وافقه منهم اجتنى[٢١] ذلك فيه ، وعاقبه عليه بالتجهم والجبة [٢٢] ، ومن أبى الا لزوم الصواب حفظ ذلك له وأثابه عليه » .

قال بعض الحكماء : لا يمنعنك صغر شأن أمرىء من اجتباء [٢٣] ما رأيت من رأيه صوابا والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريما ، ولا تحقرن الرأى الجليل ان أتاك به الرجل الحقير ، فان اللؤلؤة النفيسة لا يستهان بها لهوان غائصها الذى استخرجها .

وقال أرسطاطاليس [٢٤] : استعن بمن نصح لمن يقدمك .

وكان أمير المؤمنين عمر يقول : رحم الله امرأ اهدى الينا مساوئنا .

وقال النبى ﷺ : « من غشنا فليس منا » [٢٥] .

---

(٢١) اجتنى : عرف .

(٢٢) الجبة : المقابلة بما يكره . المعجم الوسيط ١٠٦:١ .

(٢٣) اجتباء : اختيار وتفضيل .

(٢٤) هو أرسطوطاليس بن نيقوماخس ، صاحب كتب « السياسة » و « المنطق » وغيرها ويعرف لدى المفكرين العرب (بالمعلم الاول) لانه أول مؤسس لعلم المنطق ، وتتلمذ على يد افلاطون ، وكان يقول : الحق أولى بالمحبة من افلاطون ، وكان مستشار الاسكندر ، ومات بعده . طبقات الامم ٢٦، ٢٧ ، طبقات الاطباء ٨٤ — ١٠٧ ، نزهة الارواح ١٨٨ — ٢٠٥ .

(٢٥) صحيح ، سنن الترمذى ٦٠٦:٣ ، المستدرك ٩:٢ ، مسند الشهاب ١ : ٢٢٨ .

ولجلال شأن النصيحة ما كانت حكماء العرب تقول: أخوك من نصحك، وقالوا : انصح أخاك فان قبل والا فغشه ، فقيل وكيف أغشه ؟ قال : اسكت عن نصيحته . فجعلوا السكوت عن النصح عقوبة للمنصوح على ترك قبوله وكذلك ما قال الشاعر .

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح أرخص ما يباع ويوهب

فهذا هـــذا .

ثم ان كل ما نزل الله فى الكتاب والجرى على لسان رسوله وأمر بأخذه واتباعه ، ثم ما تواصى به الحكماء سلفهم لخلفهم ، وأولهم لآخـــرهم من حكمة بالغة أو كلمة نافعة ، أو موعظة شافية أو هداية مرشدة ، فانما هى نصيحة ، ولذلك ما كانت الرسل عليهم السلام تقول لاقوامهم وتكرر عليهم (٦/أ) (نصحت لكم) ، (وانصح لكـــم) (وأنا لكم ناصح أمين) (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم) فكان أهل الدين والعقـــل والعلم والفضل يقبلونها بالشكر بقلوبهم ، ويجرونها على ألسنتهم ، ويخلدون رسومها فى دواوينهم وكتبهم ، ويمدحون قائل النصيحة على مر الايام ، وقد كان كثير من الخلفاء اذا أحسوا من أنفسهم بعجب أو قطاظـــة أو تيـــه أو قساوة سألوا العلماء أن ينصحوهم ويعظوهم ، فقد بلغنا عن أبى جعفـــر المنصور [٢٦] أنه قال لسفيان الثورى [٢٧] عظنى وأوجز ، فقال : يـــا أمير

---

(٢٦) هو عبد الله بن محمد العباسى ، ولد سنة ٩٥هـ ، وبويع بالخـــلافة ١٣٦هـ ، كان له مقة وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل فى البخل . الفخرى فى الاداب السلطانية ١٤١ ، ١٤٦ ، دول الاســـلام ١:٩٣ ، وتاريخ الخلفاء ٢٥٩ .

(٢٧) يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث ، نشأ فى الكوفة وتعلم وله مصنفات منها : الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث ، مات سنة ١٦١ هـ . فهرست ابن النديم ٣٢٨ ، حلية الاولياء ٦:٣٥٦ ، دول الاسلام ١:١٠٩ ، ولشـــيخ الاسلام الدكتور عبد الحليم محمود ترجمة وافية عنه .

المؤمنين أرأيت إن احتبس عليك بولك فلم ينفتح دون أن تفتديه بجميع ملكك ؟ قال : كنت أفتديه بجميع ملكي • قال : فما تصنع بملك هذا قدره ؟ ! [٢٨]

ولقد دخل عمرو بن عبيد [٢٩] على أبي جعفر فقال له : عظني ، فوعظه بكلام طويل افتتحه بأن قال : ان هذا الامر لو كان يدوم لمن كان قبلك لم يصل اليك ، فان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها • واعلم أنه واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر ، وأن أمة محمد خصماؤك يوم القيامة ، فان الله لا يرضى منك الا بما ترضى لنفسك ، وأنك لن ترضى لنفسك الا بأن يعدل عليك ، وأنه لا يرضى منك الا بالعدل على الرعية ، وان وراء بابك نيرانا تأجج من الجور [٣٠] في كلام له طويل ، وعتاب بينهما كثير •

وقال هارون الرشيد [٣١] لابن السماك [٣٢] : أعظني • فقال : اعلم أنك

---

(٢٨) تنسب هذه المقالة لابن السماك في موعظته للرشيد ، الكامل في التاريخ ٥:١٣٣ •

(٢٩) يكنى أبا عثمان ، زاهد متكلم ، ولد سنة ٨٠هـ ومات ١٤٤هـ • المعارف ٤٨٣ •

(٣٠) ورد النص في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، المحاسن والمساوىء ٢:٢٨ •

(٣١) ولد عام ١٤٩ هـ بالرى ، وهو خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وكان عالما بالادب والحديث والفقه ، مات سنة ١٩٣ هـ ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة . دول الاسلام ١:١٢١ ، تاريخ الخلفاء ٢٨٣—٢٩٧

(٣٢) هو محمد بن صبيح السماك ، يكنى أبا العباس ، من متقدمي الزهاد ، توفي بالكوفة ١٨٣هـ . حلية الاولياء ٨:٢٠٣ ، الطبقات الكبرى الشعراني ١:٥٢

لست[٣٣] أول خليفه يموت ، فقال : زدنى ، فقال : لو لم يمت من كان قبلك لم يصل اليك ما أنت فيه ، فقال : زدنى فأنشأ يقول :

أتطمع أن تخلد لا أبالك … أمنت يد المنية أن تنالك
أما والله إن لها رسولا … به لو قد أتاك لما أقالك
كأنى بالتراب عليك يحثى … وبالباكين يقتسمون مالك
ألا فاخرج من الدنيا سليما … ورج من المعاش بما رجا لك
فلست مخلفا فى الناس شيئا … ولست مزودا إلا فعالك[٣٤]

وكذلك كان الملوك الاولون ، فكان الاسكندر [٣٥] كثيرا ما يسأل الحكماء أن يزودوه فى سفره ما يستعين به على ملكه ، ودائما ما يكتب الى أرسطا طاليس (٦ / ب) أستاذه ، فيكتب اليه بالمواعظ ، ويهدى اليه النصائح وسنذكر فى مواضعها من كتابنا من مواعظه له ، ونصائحه إياه . فكان مما كتب مما يقربه الى خالقه وينفعه فى معاده : « يا اسكندر ، لا تمل الى ما يبيد ويكون بقاؤه قليلا ، أطلب الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى

---

(٣٣) ليست : ساقطة من الاصل .

(٣٤) هذه الابيات من شعر أبى العناهية . ديوانه ١٨٩ ، ١٩٠ ووردت فى بهجة المجالس ٢:٣٣٧ .

(٣٥) الاسكندر المقدونى ، وهو ابن فيلبس ، اشهر قائد حربى فى العالم القديم ، ولد بمدينة « بلا » سنة ٣٥٦ق.م ، وتعلم على يد أرسطو ، ويعرف لدى المسلمين « ذو القرنين » لانه بلغ قطرى الارض : مشرقها ومغربها ، وملك خمس عشرة سنة ، وأفضى الملك اليه وله ست وثلاثون سنة . التنبيه والاشراف ٩٨ ، دائرة المعارف القرن العشرين ١:٣١١ — ٣٢٥ و ٧:٧٧١ ، الكامل فى التاريخ ١:١٥٩ ، ١٦٢ .

لا تتغير ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء الذى لا يضمحل » [٣٦] وقال : « عجبت ممن استقر قلبه فى الدنيا وهى دائمة الصرم [٣٧] ، لا يعتبر بالملوك الذين شرفوا وفازوا وتأكد فخرهم ، وكم عساك تعيش يا اسكندر» وقال، « اجعل العقاب بين ناظريك ، وفكر فيما وهب الله لك من النعم ، لا فخر فيما يزول ولا غنى بعد أن لا يلبث ، أقنع تستغن ، لا تظلم [٣٨] على الدنيا فانك قليل البقاء فيها » ، مما لو تتبعناه فى أخبار الملوك والائمة فى هذا الباب لطال به الكتاب ، وانما أردنا مما أردناه أنه لما كان غرضنا فى كتابنا هذا امحاض [٣٩] النصيحة ، والصدق فى الموعظة لم تأمن أن يكون فيه بعض ما يخالف رأى المائلين الى الشهوات والمستهترين باللذات من ذوى الممالك والولايات فتمجه أسماعهم ، وتنبو عنه قلوبهم ، وليس يجوز لمن رغب فى النصيحة أن يعرضها على هواه ، بل يجب أن يعرضها وهواه جميعا على الحق ، وما يوجبه العقل ، فما قبلاه قبله ، وما رداه رده ، فربما يكون الثقيل [٤٠] على الطبع المكروه فى القلب أحمد عاقبة ، وأروح آخرة ، وأوفر

---

(٣٦) السياسة فى تدبير الرئاسة تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٧٩ بلفظ « فازهد فى قليل تظفر بكثير ، ولا تمل الى ما يسر وفقده قريب ، واطلب الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى لا تضمحل ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء الذى لا يتغير » وبنصه فى طبقات الاطباء جـ١ ص ٩٨ ، نزهة الارواح جـ١ص٢٠٠

(٣٧) الصرم معناها « صرم » بمعنى قطع . المعجم الوسيط ١:٥١١ .

(٣٨) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا أنها : لا تقبل .

(٣٩) امحاض : اسداء النصح الصادق .

(٤٠) هكذا فى الاصل ، ونرى الاصح أن تكون (الاقبال) .

أجرا ، وأحسن ذكرا ، يقول الله جل ذكره (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)(٤١) .

ويقول : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)(٤٢) .

(٤١) النساء : مدنية ١٩ ، وفى الاصل « عسي »
(٤٢) ٢ / البقرة : مدنية ٢١٦

البـــــاب الثـــانى

في فضائل الملوك فى علو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتـلاب الفضـائل واجتناب الرذائل

أما تفضيل الله عز وجل الانسان على سائـر الحيوان ، وتفضيـل الحيوان على النوامى[1] والجماد ، وتسخير الله جل ذكره للانسان جميع ما فى العالم من سمائه وأرضه ، وما بينهما من عظام خليقتـه ، وأجناس بريته ، فشىء لا ينبغـى أن يعرض فيه بين أهل العقول شك ، ولا تنازع ، ولا مرية ، ولا دافع لمشاهدة (٧/ أ) الجميع إياه ، ومعاينة الجمهور له ، واتفاق العقلاء عليه ، لقول الله جل ذكره : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه)[2] . وقوله : (وسـخر لكم الشمس والقمـر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعـدوا نعمة الله لا تحصوها)[3] . وقوله : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[4] ثم فضل الله جل ذكره الملوك على طبقات البشر تفضيل البشر على سائـر أنواع الخلق وأجناسه ، لجهات كثيرة ، ودلائل موجودة ، وشواهد فى العقل والسمع جميعا حاضرة معلومة ، منها :

(١) النوامى : النباتات . أساس البلاغة ص ٩٩١ .
(٢) ٤٥ الجاثية : مكية ١٣ .
(٣) ١٤ ابراهيم : مكية ٣٣ ، ٣٤ .
(٤) ١٧ الاسراء : مكية ٧٠ .

[عــلو مرتبــة المــلوك]

ان الله جل وعز اكرمهم بالصفة التى وصف بها نفسه فسماهم ملوكا وسمى نفسه ملكا ، فقال : (ملك يوم الدين) (٥) وقال : (فتعالى الله الملك الحق)(٦) وقال فيما وصف به ملوكُ البشر : (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا)(٧) وقال : (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا)(٨)• وقال فى المعنى أثناء الذى يستحق الانسان أن يسمى ملكا إياهم، واصطفائه لنفسه وامتداحه به : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)(٩)• وقال : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)(١٠) وقال : (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) (١١) وقال : (وآتيناهم ملكا عظيما) (١٢) • فآتاه الله من هذه الصفة مثل ما آتاه من الاسم الذى رضيه لنفسه ، وامتدح به الى خلقه ثم من عليهم به ، وأبان فضلهم فيه فقال : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) (١٣) • فليس أحد فى حكم هذا اللفظ أولى بالفضـــل ، ولا أجزل قسما ولا أرفع درجة من الملوك ، اذ كان البشر مسخرين لهم وممتهنين

---

(٥) ١ الفاتحة : مكية ٤

(٦) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٦ و ٢٠ طه : مكية ١١٤ .

(٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٤٧ .

(٨) ٥ المـــائدة : مدنية ٢٠ .

(٩) ٤٠ غافر : مكية ١٦ .

(١٠) ٣ آل عمران : مدنية ٢٦ .

(١١) ٢ البقرة : مدنية ٢٥١ .

(١٢) ٤ النساء : مدنية ٥٤ .

(١٣) ٤٣ الزخرف : مكية ٣٢ .

لخدمتهم ، ومتصرفين[١٤] فى أمرهم ونهيهم .

ومنها : أن الله جعل الملـــوك خلفاءه فى بلاده ، وأمناءه على عبـــاده ، ومنفذى أحكامه فى خليقته ، وحدوده فى بريته ، وكذلك ما قيل : (السلطان ظل الله فى الارض)[١٥] لأن من حقه أن يحتذى مثاله فيها ، ويحيى رسومه فى سكانها ، هذا مع أنه جعلهم عمار بلاده ، وسماهم رعاة عباده ، تشبيها لهم بالرعاة الذين يرعــون السوائم والبهائم ، تمثيـــلا (٧ / ب) لرعاياهــم بالاضافة اليهم بها ، ولهذا المعنى سماهم الحكماء « ساسة » اذ كان محلهم من مسوسيهم محل السائس مما يسوسه من البهائم والدواب الناقصـــة الحال ، من القيام بأمـــور أنفسها ، والعلم بمصالحها ومفاسدها ، وسموا أفعالهم الخاصة بهم سياسة ، ولذلك ما كانت الامـــم الماضية فى الايـــام الخالية ، والعرب الخاصة تسميهم « أرباب الارض » ، والارباب : مطلقا ومقيدا ، لانهم كانوا يتوقعون منهم ، ويرجون من قبلهم أن يقوموا لهم ، وفيهم من تنفيذ أحكام الله ، وامضاء حدوده ، واقامة فرائضه وسننه ، وفى النظر فى مصالحهم ، وحوائجهم ، ومضارهم ، ومنافعهم ، فى الشاهد مقام الرب الذى لا سبيل الى ادراكه ومشاهدته تبارك وتعالى ، وبهذا الاسم ما

---

(١٤) فى الاصل مسخرون ، وممتهنون ، ومتصرفون .

(١٥) مطلع حديث ضعيف بلفظ « السلطان ظل الله فى الارض ، يأوى اليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، ومن اكرم سلطان الله فى الدنيا اكرمه الله يوم القيامة » رواه ابن النجار عن أبى هريرة . ضعيف الجامع الصغير ٣:٢٣٩ ، وقد أخرجه القضاعى عن عبد الله ابن عمر بلفظ « السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مسلم » مسند الشهاب ٢:٢٠١ رقم ٣٠٤ وقال فيـــه الالبانى : موضوع . سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢:٦٩ رقم ٦٠٤ .

خاطب النابغة[16] النعمان بن المنذر[17] حيث يقول :

ستبلغ عذرا او نجاحا من امرىء　　الى ربه رب البرية راكع[18]

وقال عدى بن زيد :[19]

وتفكر رب الخورنق اذ　　أشرف يوما وللهدى تفكير[20]

واجلاله حال الملوك ما سمى أهل اللغه الملك « رأسا » اذ جعلوا محله

(١٦) النابغة الذبيانى : زياد بن عمرو ، وينتهى نسبه الى سعد بن ذبيان بن بغيض ، ويكنى ابا امامه ، شاعر جاهلى من الطبقة الاولى من اهل الحجاز ، توفى نحو ١٨ قبل الهجرة . الاغانى ١١ : ٣ ، نهاية الارب ٣ : ٦٢ ، خزانة الادب ٢ : ١٣٥ ، والاعلام ٣ : ٩٢ .

(١٧) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس اللخمى ، وكنيته ابو قابوس ، من اشهر ملوك الحيرة فى الجاهلية ، توفى نحو ١٥ قبل الهجرة . الكامل ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ .

(١٨) اورده ابن السكيت المتوفى ٢٤٤هـ بلفظه عدا كلمة (ستبلغ) فقد وردت بلفظ (سيبلغ) . ديوان النابغة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٢٣٧

(١٩) عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادى التميمى : شاعر ، من دهاة الجاهليين ، كان قرويا ، من اهل الحيرة ، فصيحا ، يحسن العربية والفارسية والرمى بالنشاب ، وهو أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، تزوج هند بنت النعمان بن المنذر ، وقتله النعمان فى سجنه بالحيرة نحو ٣٥ قبل الهجرة . الشعر والشعراء ج١ ص١١٢ ، الاغانى ٢ : ٩٧ ، وخزانة الادب ١ : ٣٨١ ، والإعلام ٥ : ٩

(٢٠) ورد البيت لدى الطرطوشى فى سراج الملوك

وتبين رب الخورنق اذ فكر　　يوما وللهوى تذكير

وقارن الاغانى ٢ : ١٣٩ ، واللسان ١١ : ٣٦٦ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ١٤٢ ، والشعر والشعراء ص ١١٢ ، والخورنق : بنية بناها النعمان لبعض اولاده الاكاسرة ، وهى معربة من « الخرنكاه » وهو موضع الشرب ، المعرب ١٧٤ ، وشفاء الغليل ٧٧ .

من رعيته محل الرأس من البدن ، وكل الاعضاء مسخرة له ، ومهيأة لحمله ، ولأنه لا بقاء للجسد الا به ، ولا قوام له الا معه ، ولأنه العضو الذى يتجمع فيه الحواس الذى لا بقاء للحيوان إلا به ، ولا فرق بينه وبين الموت والجماد إلا من جهتها ، وهو معدن العقل والتمييز الذى فضل الله الانسان به على جميع الحيوان . فقال فيه الشاعر(٢١) وهو يمدح حميد بن عبد الحميد (٢٢) .

والناس جسم وامام الهدى رأس وأنت العين فى الراس

وقال آخر :

لو صلح الرأس واستقام اذن قام على العدل كل أساس

وقال بعض الفضلاء من ملوك الهند فى عهد له إلى ابنه: « اعلم يا بنى أن وصيتى هذه اياك ، وعهدى هذا اليك بمثال رجل حى قائم (٨ / أ) فرأسه أنت أيها الوالى ، وقلبه وزيرك ، ويداه أعوانك ، ورجلاه (٢٣) رعيتك ، والروح الذى تقوم به عدالتك ، فصن هذا الرجل صيانتك نفسك ، فاستصلح أوصاله كاستصلاحك أعضاء جسدك » .

ولجلالة شأن الملك ما سمى فى الدين واللغة سلطانا ، والسلطان فى اللغة : هو الحجة ، قال الله عز وجل : (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)(٢٤) . وقال : (لأعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو

---

(٢١) الشاعر هو على بن جبلة ، الملقب بالعكوك ، كان ضريراً ، مات سنة ٢١٣هـ . انظر فى ترجمته : الشعر والشعراء ٨٦٨ ، الاغانى ١٨: ١٠٠ — ١١٤ تاريخ بغداد ١١: ٣٥٩، والبيت من ديوانه ٧٤ كما ورد فى الشعر والشعراء ٨٦٨ ، والاغانى ١٨: ١١٣ .

(٢٢) هو حميد بن عبد الحميد الطوسى ، من كبار قواد المأمون كان جبارا فيه قوة وبطش وكان المأمون بندبه للمهمات ، مات سنة ٢١٠ هـ . النجوم الزاهرة ٢: ١٩٠ .

(٢٣) فى الاصل (يده ورجلاه) والصواب ما ذكرناه .

(٢٤) ٣٧ الصافات : مكية ١٥٦ ، ١٥٧ .

ليأتينى بسلطان مبين)[٢٥] . فجعل الله تبارك وتعالى العادلين من الملوك حجة على خلقه ، وكذلك ما صرفت الامامية[٢٦] ما روى عن النبى ﷺ « أن الارض لا تخلو من حجة »[٢٧] .الى الامام المعصوم الذى يدعونه ويلهجون بذكره ولجلالة حال الملوك ما سمى المسلمون السلطان الاجل فى الاسلام إماما ، لانه ممن يجب أن يؤتم به ، ويقتدى به فى فعله ، ويؤتمر له بأمره.

فهذه المعانى الجليلة ما تدل عليه الاسامى الشريفة التى خصت بها الملوك وان كنا أخبرنا أن نعبر فى كتابنا هذا من هذه الأسامى كلها بالملك ، اذ هو الاسم الاشهر الاعم ، والأجزل الامحض .

ومن جلالة شأن الملوك وفضائلهم على الرعايا وطبقات الناس أن كل من تحت يدى الملك من رعاياه ، وان كانوا مناوعيه فى الصورة ، ومشابهيه فى الخلقة ولم يتكلف هو اقتناءهم ولا شراءهم — فان محلهم منه فى كثيرمن الجهات محل المملوكين ، ولذلك ما قال الله جل وعز فى قصة سبأ:(إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم)[٢٨] . لان (ملك يملك) فى أصل اللغة من الملك لا من الملك ، ولانهم بأجمعهم ينقسمون قسمين : بين من محله منه محل المادة ، وبين من محله منه محل الآلة،فهو يستعملها

(٢٥) ٢٧ النمل : مكية ٢١ .
(٢٦) الامامية هم الذين قالوا بالنص الجلى على امامة على رضى الله عنه وكفروا الصحابة . الجرجانى : التعريفات ص ٣١ .
(٢٧) هذا القول (لعلى بن أبى طالب) رضى الله عنه بلفظ (اللهم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة) . حلية الاولياء ج١ ص ٨٠ .
(٢٨) ٢٧ النمل : مكية ٢٣ .

فى مادته على ما يريده ويهواه ، ويحبه ويراه ، ثم يخرج له صورة عمـله على مقدار حذقه بالصناعة ، واصابته فى الغرض والنية .

[طاعـة الرعية للملوك]

هدا ما أخذ الله على كافه الخلق من حسن الطاعة للامام العـادل ، والملك الفاضل ، وصدق المؤازرة والتعظيم له ، وترك الخلاف عليه ما أطاع الله ولزم فرائضه وحدوده (٨/ب) فقال : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم)[٢٩] . وقال النبى ﷺ « أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم)[٣٠] ، وقال : « من سـعى الى سلطان لبذله أذله الله »[٣١] . فهذا قليل من كثير مما أبان الله به مـن فضائل الملوك ، وعلو منازلهم ، وارتفاع مراتبهم ، وجلالة أقدارهم،وبعد أخطارهم ، وجليل نعم الله عليهم ، وفنون أيادبه لهم ، فالواجب فى جميع أبواب القضايا ألا يكون أحد أشكر لله ، وأحسن قياما بأداء فرائضـه ، وأوامره ، ورعاية لمـا استرعى ، وحفظا لما استحفظ منهم ، إذ كان هذا هو

---

(٢٩) ٤ النسـاء : مدنية ٥٩ .

(٣٠) أخرجه البخارى عن أنس بلفظ « اسمعوا واطيعوا ، وان أستعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » والزبيبة : مثلا فى سواد رأس الاسود ، وجعوده شعره . تيسير الاصول الى جامع الاصول ٣٦:٣ ، صحيح البخارى ٧٨:٩ كما أخرجه الامام أحمد وابن ماجه . صحيح الجامع الصغير ٣٣٠:١ ، سنن ابن ماجة ٩٥٥:٢ .

(٣١) أخرجه البزار عن حديفة بلفظ « ما من قوم مشوا الى السـلطان ليذلوه الا اذلهم الله قبل يوم القيامة » . ورجاله رجال الصحيح خلا كثير بن أبى كثير التيمى وهو ثقة . مجمع الزوائد للهيمى ١١٦:٥ وأخرجه الترمذى رقم٢٣٢٥ عن أبى بكره بنص « من أهان سلطان الله فى الارض أهانه الله تعـالى » وأبو داود الطيالسى ٢٦٢٠ ، ورواه أحمـد فى مسنده ٤٢:٥ و ٤٨ـ٤٩ ، ومسند الشهاب ٢٥٩:١ . وقال الالباني : حديث حسن صحيح الجامع الصغير ٢٦١:١

المعهود من أفعالهم بمن ملكهم الله أمورهم من عبيدهم وخدمهم ، ولانهم اذا ذكروا نعم الله — عز وجل — على أضعف خلقه ، واحسانه على أقل خطرا ، ولا بالاضافة اليه قدرا ، مع أنهم اذا أعطوهم ، أعطوهم مال غيرهم عبيده نعمة لم يجدوا لاحسان خلق بعضهم الى بعض فى جنبه وديعة عندهم أو أشركوهم فى سلطان من سواهم عارية فى أيديهم ، بل أعطوهم سريع الزوال قريب الاضمحلال ، والذى ربما ضرهم ولم ينفعهم ، ربما يكون هلاكهم دنيا ودينا ، وآخرة وأولى ، ثم لم يرضوا مع ذلك منهم الا أن يكون كل ما كانت نعمهم عليه اكثر وأياديهم لديه أظهر ولهم أشكر ، والى طاعاتهم أسرع ، ثم يكون أعظم عندهم بلاء ، وأحسن بحقوقهم قياما ، وعلى أوامرهم ونواهيهم محافظة ، ورأوا مع ذلك أن من قصر فى شىء منه أو غير أو بدل أو كفر نعمة أو غمط[٣٢] صنيعه كان قد استحق منهم المقت والحرمان والعقوبة والخذلان ، ولا سيما من أصر ، على ذلك اصرارا ، وأتى المعصية جهارا ، وهذا ميزان يجب على العاقل أن يزن كثيرا مما يقع بينه وبين خالقه به ، ومثال ينبغى أن يحتذى عليه ، واذا كان هذا فى الشاهد على ما ذكرنا ، ومعاملتهم من تحت أيديهم على ما بينا .

[طاعة الملوك لله سبحانه]

وجب عليهم اذا ذكروا نعم الله عليهم ، وآلاءه لديهم فى تفخيم شأنهم ، واعزاز سلطانهم ، وتفويضه اليهم سياسة (٩ / أ) عباده ، وعمارة بلاده ، وندبه اياهم الى ملك الابد ، والنعيم السرمد مع عامة نعمه التى لا تحصى عددا ، وخاصتها التى لا توصف عظما ، أن يخافوا

---

(٣٢) غمط : احتقر ، واستصغر . اللسان مجلد ٢ ص ١٠١٨ .

عاقبة الكفران وجزاء العصيان • هذا ومن الواجب على من يرغب فى الزيادة ويطمع فى الاهمال والمدة ، ويتمنى حسن التوفيق والمعونة فى العاجل ، وحسن المثوبة فى الآجل ، أن يدأب ويجتهد فى الشكر والطاعة ، ويجتنب الكفور والمعصية ، فان جزاء الشكور الاحسان والمزيد ، وجزاء الكفور العقاب والتنكير ، والخذلان والتعيير • هذا الذى يلزم العارفين بالله ، ويجب على المقربين به والذاكرين لآلائه ، والمعترفين بحق كتابه وآياته ، فان الله — جل وعز — يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)[٣٣] • ويقول : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٣٤] • ويقول : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور)[٣٥] •

[واجب الملك حيال نفسه]

ثم ما يجب على الملك من غير هذا الطريق أن يكون أشد الناس ترفعا عن الدناءة ، وتنزها عن الخساسة ، وتعاليا عما يشين العرض ، ويفسد المروءة ، ويؤذن بخراب المملكة ، ويبقى قبح الأحدوثة ، وما يخل بجلالة[٣٦] المكانة ، ورفع المنزلة ، وأن يختار من السنن أشرفها ، وأعلاها ،

---

(٣٣) ١٤ ابراهيم : مكية ٧ •

(٣٤) ١٣ الرعد : مدنية ١١ •

(٣٥) ٣٤ سبأ : مكية ١٦، ١٧ — والخمط : شجر لا شوك له ص ١٥٩ — والاثل : شجر ثابت الاصل ص ١٠ — والسدر : شجر قليل الغناء عند الاكل ص ٢٢٧ من المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى •

(٣٦) فى الاصل بخلالة •

ويرتاض[٣٧] من الافعال بأرفعها ، وأسناها ، ثم يرتكب كثيرا من المؤلم المكروه[٣٨] ، ويجتنب كثيرا من الملذ المحبوب ، لينال السيرة التى تساكل رتبته ، وتضاهى منزلته . وقد قال أردشير : « اعلموا أن دولتكم تؤتى من مكانين : أحدهما ، غلبة بعض الامم المخالفة لكم . والاخر ، فساد أدبكم »[٣٩] ، ثم من الواجب على الملك الفاضل ، والسائس العادل ألا يكون على أحد من رعيته ولا ممن فى ضمن مملكته وجمله حاشيته ، فى تحسين أدبه ، وقمع شهواته المفسدة الضارة ، أقدر منه على نفسه ، فان من عجز عن سياسة نفسه ، وتقويم أخلاقها ، كان خليقا أن يكون عن تقويم غيره أعجز ، ولا يكون الانسان قادرا على نفسه ما لم يقدر على تغليب العقل على الطبع ، والرأى على الهوى ، بل يحكم العقل على (٩ / ب) الطبع ليختار ما يدل عليه العقل على ما يميل اليه الطبع ، ويؤثر ما يشير اليه الرأى على ما يصبو اليه الهوى ، ثم يقابل بمحاسنه مساوئه ، وبمحامده مذامه ، حتى يعود نفسه الامور الفاضلة ، ويروضها الرياضة المحمودة ، ويكتسب الخلال التى تشاكل حاله ، والافعال التى تشاكل[٤٠] مرتبته ، ولان يثقل هذا عليه فى جنب ما يرومه من فضلة العاجل والآجل ، ويقصد من تقديم الاجر وتخليد الذكر ، فان من المتقرر فى العقول والمتمكن عن النفوس الا ينال المعالى الا بتجرع المكاره ، ولا يدرك أطراف الفضائل الا بتحمل المشاق .

---

(٣٧) يرتاض : يتعود .

(٣٨) ارتكاب المؤلم المكروه يقصد به الافعال المؤلمة التى تكرهها النفس ولكن يتقرب بها الانسان الى ربه .

(٣٩) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٥٨ .

(٤٠) تشاكل : تتشابه وتناسب .

قال الله — جل وعز — : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) [٣٨]

وقال : (ان الله اشترى مـن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بـأن لهم الجنـة) [٣٩] .

وقال الرسول ﷺ : « حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات » [٤٠].

وقال عمرو بن عبيد [٤١] : لقد رضت نفسى رياضة لو اردتها علـى ترك الماء لتركته .

وقد كان غلب على المأمون [٤٢] أمير المؤمنين شهوة « الطوين » [٤٣] فكان يأكله كثيرا ، واجتمع الاطباء يعالجونه بكل علاج ، ويحتالون له بكل حيلة ، فلم يصبر عنه ، فدخل عليه ثمامـة بن اشرس [٤٤] ورآهم عنـده يتشاورون فى أمره ، ويتوامرون [٤٥] فى علاجه . فقال : يا أمير المؤمنين ، فأين عزمة من عزمات الخلافة ؟

فقال المأمون : قوموا فقد كفيتم العلاج ، ولم يعد الى ذلك .

---

(٣٨) ٣ آل عمران : مدنية ٩٢ .

(٣٩) ٩ التوبة : مدنية ١١١ .

(٤٠) صحيح ، اخرجه مسلم عن أنس بن مالك وأبى هريرة . صحيح مسلم ٤:٢١٧٤ حديث رقم ٢٨٢٢ سنن الترمذى ٤: ٦٩٣ رقم ٢٥٥٩ .

(٤١) فى الاصل (عبيد الله) والصواب ما ذكرناه ، وسبق ترجمته ص ٢٧

(٤٢) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن ابى جعفر المنصـور ، وكنيته أبو العباس ، ولد سنة سبعين ومائة ، وتولى الخلافة ١٩٨هـ ، كان ذكيا محبا للعلم فيه دهاء وسياسة مات فى رجب ٢١٨ هـ . تاريـخ الامـم والملوك ٨:٦٤٦ ، الكامل ٥:٢٢٧ ، دول الاسلام ١:١٣٢ .

(٤٣) غير واضحة فى الاصل ، ولعلها نوع من الطعام .

(٤٤) وكنيته أبو معن ، من كبار المعتزلة ، كان له اتصال بالرشـيد ثم المأمون ، وكان ذا نوادر وملح ، مات سنة ٢١٣هـ . تاريخ بغداد ٧:١٤٥ ، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٧٣ ، ٢٧٢ .

(٤٥) يتوامرون أى يصدرون الاوامر فى علاجه .

ولا شيء أغلب على قول الناقصي العقول والحزم من افراط الحب عشقا ، وقد قال فيه أحد من جربه ، وأكثر القول فيه ، والوصف له :

الحب ظهر أنت راكبه   فاذا صرفت عنانه انصرفا[٤٦]

وقال آخر :

قد عذب الحب هذا القلب ما صلحا

فلا تعدن ذنبا أى يقال صحا

بقية فى لتقوى الله باقية

ولو لم أكن كحريص لم يدع مرجا[٤٧]

وقال آخر :

لعمرى لقد أوفيت همى من الهوى

على الشيب الا أن مركبه صعب

(١٠ / أ)

تقاربت حتى قيل لى هكذا الهوى

وباعدت حتى قيل ما هكذا الصب

وانى لسلم للهوى غير أننى

لنفسى فيما لا يحل لها حرب[٤٨]

وقال الآخر فى المعنى الاول :

---

(٤٦) المعنى المراد ان ذا الارادة يتحكم فى عواطفه وحبه .

(٤٧) المعنى المراد انه يترك لقلبه العنان فى الحب طاهرا ثم بكبح بالتقوى جماحه .

(٤٨) المعنى المراد انه يمارس حبه حلالا ، ثم يقاوم نفسه ويحاربها فى غير الحلال .

فان عليـــات الامـــور مشــــوبة

بمســـتودعات فى بطـون الاساود[٤٩]

وقال آخـر :

لن يبلـغ المجـد أقـوام وان كـرموا

حتى يذلوا — وان عـزوا — لاقـوام

ويشتموا فـترى الاكـوان مشرقـة

لا عفـو ذل ولكن عفـو أحـــلام[٥٠]

وقال أحد الملوك : طلاب العلى بركوب الغرر[٥١] .

وقال أبو تمـام[٥٢] فى المعتصم يذكر مساعيه فى غزو الروم وتحمله ما تحمل من المشـاق فى فتح عمورية[٥٣] .

خليفـة الله كافا الله سـيفك عـن

جرثومة [٥٤] الدين والاسـلام والحسب

---

(٤٩) نسبه الثعالبى الى كلثوم بن عمرو (العتابى) فى التمثيل والمحاضرة ٨٣ وفى الابجار والاعجاز ١٦٩ . والاساود : جمع أسود ، وهو أخبث الحيات. والمراد من البيت : أن المعالى مقترنة بالمخاطر .

(٥٠) نسبهما القالى لابن عائشة . ذيل الامالى ٤٧ ، وجمهرة الامثال ٢٣٠:١ ونهاية الارب ٥٤:٦ ، وأدب الدنيا والدين تحقيق السقا ٢٤٥ دون نسبة وفى هذه المصادر « الالوان مسفره » بدلا من « الاكوان مشرقة » . والمعنى المراد أن المجد لن يصل لقوم حتى يصبروا على أذى من دونهم حلما وعفوا .

(٥١) الغرر : الخطر . اللسان المحيط ٩٧٢:٢ .

(٥٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى ، ولد بسوريا ١٨٨هـ ، وكان أبوه نصرانيا فأسلم هو ، ورحل الى مصر ، واستقدمه المعتصم الى بغـداد ، وقدمه شعراء وقته ، مات ٢٣١هـ . نزهة الالباء ١٢٣ ، ١٢٤ ، وفيات الاعيـان ٣٣:١ — ٣٤١ ، النجوم الزاهرة ٢٦١:٢ ، والوحشيات لابى تمام ١٧٠ .

(٥٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ بسبب أسر العلوية واستصراخها) معجم البلدان ٧٣:٣ ، مراصد الاطلاع ٣٨٢:٢ .

(٥٤) جرثومة الشيء : أصله . تاج العروس ٢٢٦:٨ .

بصرت بالراحـه الكبرى فـلم ترهـا

تنـال الا عـلى جسر من التعـب

فبان بهذه الاخبار المأتورة ، والايات المسطورة ، والابيات السائرة المشهورة ، أن الفضائل لا تدرك الا بمجاهدة الطبع ، والحمل على البـدن والنفس فى قمع الشهوات الموبقة ، والاهواء المخلقـة[٥٥] للاعـراض أو الاديان ، وان أكثر ما يشق على الانسان تركه وفراقه من الافعال المذمومة لحاجات وشهوات ومنشؤها سوء العادات ، مستولد من امراج[٥٦] النفس واهمال الطبع ، وأن من اراد الانتقال من مـذموها الى محمـودها ، ومن مستقبحها الى مستحسنها كان منه ممكنا وعليه قادرا ، ومن تعـود الخير سهل عليه اتيانه ، ومن تعود الشر صعب عليه الانتزاع منه ، وما أحسن ما مدح به العطوى[٥٧] آل برمك[٥٨] حيث يقول فيهم :

ان البرامـكة الكـرام تعـودوا

فعـل الجميـل معـودوه الناسـا

كانوا اذا غـرسـوا سقوا واذا بنوا

لم يوهنـوا لبنـاهم أسـاسـا

---

(٥٥) المخلقة من أخلق بمعنى ابلى وأهلك . أساس البلاغة ٢٤٨ .

(٥٦) امراج النفس : ترك النفس على غير ضبط .

(٥٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن ابى عطية ، من شعراء الدولة العباسية كان مولده ومنشأه بالبصره ، وكان معتزليا ، مات نحو ٢٥٠هـ . لسان الميزان ٥:٢٤٧ ، ٢٨٥ ، والاعلام ٧:٦١ .

(٥٨) أسرة أصلها من مجوس بلخ ، تولت الوزارة فى العصر العباسى ، واشتهرت بالسياسة والتدبير والعلم والكرم ، وأول من وزر من آل برمك«خالد» وزر للسفاح ثم لابى جعفـر المنصـور ، وولده يحيى بن خالد للرشيد ، وكان معلمه وقد سـجنه ومات ١٩٠هـ . الوزراء والـكتاب ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٧ ودول الاسـلام ١:١٢١ .

واذ هم صنعوا الصنائع فى الورى

جعلوا لها طول البقاء لباسا[٥٩]

وقال آخر :

(١٠/ب)

تعودت مس الضر حتى ألفته

وأسلمنى مر الليالى الى الصبر

ووسع صدرى للاذى كثرة الاذى

وقد كنت أحيانا يضيق به صدرى[٦٠]

وكانت العرب تقول : « الخير عادة والشر لجاجة »[٦١] . وتقول : « العادة أملك بالارب »[٦٢] وقال كثير من الحكماء : « العادة طبيعة خامسة »[٦٣] .

واذا كان هذا على ما بينا ، فلا أحد أحق باختيار المحامد وتعودها من الملوك ، لانه لا يكون مؤديا حق جلالته ، وعارفا بفضل منزلته ، حتى يترك كثيرا من شهوات النفس ، ولذات البدن ، فى جنب الفضائل التى يجب عليه حيازتها ، فيختار الشكر على الكفر ، والتدين على التهتك ، والعلم على

---

(٥٩) شعر العطوى جمع وتحقيق محمد جبار المعبيد ، مجله المورد . المجلد الاول ، العدد الاول والثانى وقد أورد الزوزنى فى حماسة الظرفاء ١٩٩:٢ ، ٢٠٠ البيت الاول والثالث .

(٦٠) البستان لابى العتاهية . ديوانه تحقيق شكرى فيصل ١٧٥ .

(٦١) أورده ابن ماجة عن معاوية عن رسول الله ﷺ سنن ابن ماجة ٨٠:١ رقم ٢٢١ والطبرانى فى الكبير ٩٠٤:١٩ ، الحلية ٢٥٢:٥ ، ومسند الشهاب ٤٧:١ وقال الالبانى : حديث حسن . صحيح الجامع الصغير ١٣٧:٣ رقم ٣٣٤٣ واللجاجة : اللزوم والمواظبة . مختار الصحاح ١٥٤ .

(٦٢) مروج الذهب ٢٧:٢ .

(٦٣) ذكره المسعودى بلفظ العادة هى الطبيعة الثانية ج٢ : ٢٨ ، وورد بلفظه كحكمة للاطباء لدى الثعالبى . التمثل والمحاضرة ١٧٩ .

الجهل ، والعقل على الحمق ، والشجاعه على الجبن ، والجود على البخل والصبر على الجزع ، والحمد عى الذم ، والحلم على الطيش ، والرزانة على الخفة ، والصدق على الكذب ، والتواضع على التكبر ، والعـدل على الجور ، والصواب على الخطأ ، والحزم على التهور وأمثالها . فان لـكل شيء من المدام ثمرة مذمومه ، ولكل شيء من المحامد عاقبة محمودة .

فيجب على من أحب الخير ، أن لا يفعل الا الخير ، ومن كـره الشر أن يتجنب الشر ، مع أن من ارتكب المخازى من الامراء والمذام من الملوك كان فى ملكه كالمزوق المفتعل وكالمستعار المموه ، وحق للملك الفاضـل أن يترفع عن هذه الدنية ، ويتنكب هذه الرذيلة ، ولا يرضى أن يكون حظه من حلالته أن يسمى بالاسم الحسن الشريف ، ويشتهر بالفعل السيء القبيح فانه اذا فعل ذلك ، كان كالمتشبع بما لا يملك . وكلابس ثوبى زور ، فمـا أبلغ فى هذا المعنى قول القائل حيث يقـول :

اذا ركبـوا الاعواد(٦٤) قالوا فأحسنوا

وما خـير قـول لا يصـدقه فعـل

ولقد بلغنا : أن عبد الملك بن مروان(٦٥) خطب يوما بمكة ، فلما صار الى موضع العظة ، قام اليه رجل من الصوجان(٦٦) فقال : مهلا ! مهـلا !

---

(٦٤) ركبوا الاعواد : بقصد اعتلوا المنابر .

(٦٥) عبد الملك بن مروان : أحد خلفاء بنى أمية ، كان عالمـا عاقلا قوى الهيبة شديد السياسة حسن التدابير للدنيا ، توفى عن ستين عاما فى سـنة ٨٦هـ . دول الاسلام ١ : ٦٠ ، ٦١ الفخرى فى الاداب السلطانية ١١٠ ، ١١٤ وتاريخ الخلفاء ٢١٤ — ٢٢٢ .

(٦٦) الصوجان (بالضم) اليابس الصلب . التكملة والذيل والصلة للصغانى جـ٢ ص ٦٦ والمراد رجل من البادية .

انكم تأمرون ، ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تنتهون ، أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فان قلتم اقتدوا بسيرتنا فأين وكيف، وما الحجة ؟ (١١/ أ) ومن النصير من الله فى الاقتــداء بسيرة الظلمــة الجورة الذين أكلوا أموال الله دولا(٦٧) ، وجعلوا عباد الله خولا(٦٨) ، وان قلتم أطيعوا أمرنا ، واقبلوا نصيحتنا ، فكيف ينصح غيره من يغش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عدالته ؟ وان قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام قــلدناكم أزمــة(٦٩) أمورنا ؟ وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أفصــح بفنون العظات ، وأعرف بوجوه اللغات منــكم ؟ فتلحلحوا(٧٠) عنها لهم ، والا فاطلقوا عقالها ، وخلوا سبيلها ، يبتدر اليهــا الذين شردتمــوهم فى البلاد ، ونقلتموهم فى كل واد ، أما لئن بقيت فى أيديكم لانقضــاء المــدة وبلوغ الغاية ، فان لكل قائم يوما لا يعدوه ، وكتابا بعده يتلوه(٧١) (لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) (٧٢) (وسيعلم الذين ظلمــوا أى منقلــب ينقلبون) (٧٣) ، ومما وجد فى كتاب (اسهامة) (٧٤) الملوك : « ليكن عملــك

---

(٦٧) دولا : الدولة اسم الشىء الذى بتداول بعينه . مفردات غــريب القرآن للاصفهانى ١٧٤ .

(٦٨) خولا : خدما . مختار الصحاح ٢٥١ .

(٦٩) أزمة أمورنا : أى قياد أمورنا .

(٧٠) تلحلحوا عنها : أى اتركوها .

(٧١) النص مع اختلاف يسير فى المصــباح المضىء ٧٠٢:٤ ، ومحــاضرة الابرار ١١٤:١ ، ١١٥ .

(٧٢) ١٨ الكهف : مكية ٤٩ .

(٧٣) ٢٦ الشعراء : مدنية ٢٢٧ .

(٧٤) (اسهامة) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا أنها (سياسة) .

أحسن من قولك ، فان حسن القول مفردا أغرى به ، وحسن العمل افـــراد البغية » [٧٥] .

ولقد قرأنا فى عهد لبعض ملوك الهند الى ابن له : « لا يريبك رأيك ، أنك اذا أحسنت القول دون الفعل ، فقد أبلغت الى السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك ، ويحقق سرك علانيتك » [٧٦] .

وقال زعيم الهند الذى يدعى (البد) : لن يبلغ ألف رجل من اصلاح رجل واحد — بحسن القول دون الفعل — ما يبلغ رجل واحد مـــن اصلاح ألف رجل بحسن الفعل .

وقد كان أمير المؤمنين علـــى رضى الله عنه يتعوذ من ألسنـــة تصف وقلوب تعزف[٧٧] وأعمال تخالف .

ولقد أفتتح بهذه المعانى أو عامتها سابور بـــن أردشير الملـــك عهده الجليل الخطر العظيم القدر فى بابه الى ابنه حيث قال : « أما بعد فانك قد وليت أمرا لا يفوقه أمر شىء من أمور الدنيا » ، وبلغت غاية ليس وراءها دجاز[٧٨] لاحد من الناس ، فاسم بنفسك الى ما يلائم الخطر الذىأصبحت عليه ، من خصال الفضل ، وتمسك من العدل بعصمة ، يصل لك ما أنت فيه من غضارة العيش ، وزهـــرته (١١/ب) بالنعيم الذى لا زوال له ، ولا انقلاب ،وتبقى لك حسن الاحدوثة ، اذ ودعت ما أنت بسبيله ، فانك موروث

---

(٧٥) قوانين الوزارة ٥٤ مع اختلاف .

(٧٦) فى وصية أرسطاطاليس للاسكندر (ضمن أثر أن لارسطو الفيلسوف فى العربية) ٣٦ ورد ما نصه « ولا يريبك رأيك أنك اذا أحسنت القول دون الفعل فقد أبلغت السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك وتحقق سريرتك علانيتك»

(٧٧) تعرف : عزف عن الشىء مله وزهد فيه . والمـــراد قلوب تزهـــد فى الخير .

(٧٨) مجـــاز : مكان .

ولا انقلاب ، وتبقى لك حسن الاحدوثة اذا أودعت ما أنت بسبيله مانك مورث ما أنت فيه ، ومسلو به ، وخارج منه الى ثواب ما تقدم لنفسك أو عقابه »

ووجدنا لبعض الحكماء من ملوك الهند فى عهده الى ابنه : « يا بنى ، انى قد وليتك من الامر جسيما ، وعصبته بك ، فخذ له سبله[٧٩] واقبله بقبوله ، ولا تكونن مسرورا ان كان منك لعاجل يقع ولا لنيل شهوة ، فان ذلك أوخم ما أنت نائل منه ، أو بذل ما أنت مصيب به ، فان نازعتك شهوتك الى تلك الامور فاتهمها أشد الاتهام ، وغالبها أشد المغالبة ، فان أظفرك الله بها دفع عنك شرها ، فليكن فرحك بذلك أشد بفرحك بمن ظفرت به من اعدائك فان فضل ما أنت تاركه لله من هواك على ما أنت مصيب من لذته وسروره كفضل ثواب الله أهل الجنة على ما تقسم للناس من معايشهم فى الدنيا .

ولقد أوجز عمرو بن عبيد حيث قال لأبى جعفر المنصور : « إن الله لم يرض أن يكون أحد من الناس فوقك ، فلا ترض أن يكون أحد أشكر له منك »[٨٠] .

ومما يجب على الملك أن يكون ما فيه من الفضل والشرف فى أفعاله وخصاله وعقله وكماله ، موازيا لكل نقصان فى رعيته ، لانه انما استرعيها ليرعاها ، واستحفظها ليحفظها ، وليسد خلتها ، ويجبر فاقتها ، ويدفع نقصان منقوصها ، ويستر عيب معيبها ، ويقيم متأودها[٨١] ، ويذب عن

---

(٧٩) غير واضحة فى الاصل .

(٨٠) ورد النص فى عيون الاخبار ١٠٦:١ منسوبا لشبيب بن شيبة فى قوله للمهدى وبلفظ (ان الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضى بأن يكون أحد اشكر له منك والسلام) ويشبهه فى البيان والتبين ١٠٠:٢ .

(٨١) تأود : مال وانحنى .

حريمها ، وينصف مظلومها من ظالمها ، ويحملها على شرائع دينها ، وفرائض ملتها ، وحدودها ، وأحكامها ، واذا كان هذا هكذا فكيف يكون سائسها الناقص الجاهل ، والظالم الغاشم أو المتهتك المضيع ، ومن يكون فى رعيته من هو أجمع لخصال الخير ، وأحرز لاسباب الفضل منه ؟ فكيف ينقاد له الفاضل المتدين ، والعدل المتثبت الا قسرا وأضطهادا وجبرا واضطرارا ، يتوقع زوال المحنة عنه بزواله ، ودفع الظلم عنه بارتفاعه ، واذا كان هذا هكذا كان ذوو الفضل من رعيته أعداءه ، وذو الفضائل من أهل ولايته أعوانا عليه ، وأخلق بمثل هذا الملك أن يكون سريع الزوال (١٢ / أ) وشيك الاضمحلال .

وقد قال أردشير الملك فى عهده : « اعلموا أن قتالكم الاعداء من الامم قبل قتالكم سوء الادب من النفس رعيتكم ليس بحفظ ، ولكنه اضاعة ، وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفة وأيده تعادية (٨٢) ونال فى فصل آخر : « اعلموا أنه ليس للملك أن يبخل ، لانه لا يقدر أحد على استكراهه ، وليس له أن يغضب ، لان الغضب (والقدرة) لقاح (السرف) والندامة . وليس له أن يلعب ،ولا يعبث ، لان اللعب والعبث من عمل الفراغ ، وليس له أن يفرغ ، لان الفراغ من أمر السوقه ، وليس له أن يحسد الا ملوك الامم على حسن التدبير ، وليس له أن يخاف لأن الخوف من المعوز ، وليس له أن يتسلط ان هو أعوز »(٨٣) .

---

(٨٢) عهد اردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٠ .

(٨٣) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٩ باستبدال لفظة (القدرة) بـ العداوة ، ولفظة (السرف) بـ الشر .

وقال الاسكندر الحكيم : « من عجز عن تقويم نفسه فلا يؤمن (من) لا يستقيم له »[٨٤] .

قال : « ودخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير[٨٥] فكلمه بشيء فغضب فضرب وجهه بالقضيب وأدماه ، فقال له الاسقف : ان شاء الامير أخبرته بما أنزل الله على لسان عيسى ، ولا يغضب ، » قال ، قل . قال : نجد فى التوراة لا ينبغى للامام أن يكون سفيها ومنه يلتمس الحكم ، ولا جائرا ومنه يلتمس العدل »[٨٦] .

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « وقد يجب على الملك أن يختص بأحسن الخواص ، وذلك أنه علم مشار اليه ، وغرض يقصد نحوه ، والآفة الصغرى فى الملك مقدارها غير صغير ، وكذلك الفضيلة فى الملك أضوأ وأطرى وأكثر مقدارا » .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

لا بد للشاة من راع يدبرها
فكيف بالناس ان كانوا بلا وال

وان أضيف الى الاذناب أمرهم
دون الرؤوس فهم فى حال اهمال[٨٧]

وقال آخر :

---

(٨٤) ابران لارسطو فى العربية ٣٦ مع تغيير طفيف ، ولفظة (من) ساقطة من الاصل .

(٨٥) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، ولد سنة ٢٦هـ ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير البصرة سنة ٦٧ ثم ولاه الكوفة ٦٨ ، وقتل سنة ٧١ . طبقات ابن سعد ١٨٢:٥ ، الكامل ٩:٤ ، تاريخ الطبرى ١٦٠:٦ نهاية الارب ٨٠:٢١ .

(٨٦) لباب الاداب ٧١ ، بهجة المجالس ٣٣٩:١ .

(٨٧) أوردهما الماوردى ونسبهما الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . تسهيل النظر ١٩٦ .

لا يصـلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهـالهم سـادوا[٨٨]

وكذلك ما قال بعض الشعراء فى بعض الملوك ورآه ركيكا متخلفا :

خنازيـر نـامـوا عـن المكرمـات
فأنبههم قـــدر لـــم ينـــم
فيـا قبحهـم فى الـــذى خـولـوا
ويـــا حسـنهم فى زوال انعـم[٨٩]

(١٢ / ب) وقال آخـر

اذا لم يكـن صدر المجـالـس سيـد
فـلا خيـر فيمـن صدرتـه المجالـس
وكم قائـل مالـى رأيتـك راحـــلا
فقلت له مـن أجـل أنـك فارس[٩٠]

(٨٨) البيت لصلاءه بن عمر بن مالك ، لقب بالافـوه الاودى ، لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان ، وهو شاعر يمانى جاهـلى . وورد البيت فى العقد الفريد ١:٦ ، المعمرون والوصايا ١٣١ ، روضة العقلاء ١٣١ ، الاحكام السلطانية ٥ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، البهجة ١:٣٥٢ ، المصـباح ١:٤٧٢ ، سهذيب الرياسة ٩٧ ، بدائع السلك ١٠٧ .

(٨٩) البيتان لـ (محمد بن محمد بن عـروس) شيرازى نزيل سمراء . كاتب وشاعر ، توفى ٢٨٠ هـ والبيتان (ىنسبان الى محمـود الوراق فى ديوانه ١٢٠) نقلا عن حماسة الظرفاء تحقيق محمد حبار المعيبد ٢:١٤٥ .

(٩٠) ورد فى التذكرة السعيدية ٣٤٦ دون نسبة .

وروى الاعمش[٩١] عن شقيق بن سلمه[٩٢] أنه قال له : يا سـليمان والله ما عند هؤلاء واحده من تنين : ما عنـدهم تقوى أهل الاسلام ، ولا احلام أهل الجاهلية . فكيف يعظم العلماء والحكماء من كان محله عنـدهم هذه المحال الموصوفة الا ضرورة واقتارا[٩٣] .

واذا قد وفينا هذا الباب حقه من الخطاب ، ودلنـا على ما ذكـرناه وأخبرنا به من كتاب الله وسنة رسوله وشواهد العقول وآثار الحـكماء ، فنحن خاتموها وصائرون الى الباب الذى يتلوه فى ترتيب أبواب الكتاب ، فنقول فيه ما يحضرنا بعون الله وتوفيقه .

---

(٩١) هو سليمان بن مهران الاعمش وكنيته أبو محمد الاسدى مولى بنى كاهل كوفى أصله من بلاد الرى ولد سنة ٦٠هـ وتوفى سنة ١٤٨هـ الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٦ ص ٣٤٢ ـ٣٤٤ المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٩٢) هو شقيق بن سلمة الاسدى ويكنى أبا وائل أمه نصرانية ومات فى زمن الحجاج ـ المعارف ص ٤٤٩ . الاستيعاب جـ٢ ص ٧١٠ .

(٩٣) اقتارا : من قتر : ضاق عيشه . المعجم الوسيط ٧٢١ .

الباب الثالث

الابانة عن الاسباب التى من جهتها يعرض الاختلال والفساد فى الممالك وفى أحوال الملوك

نقول ان أحوال الامم المعروفة أخبارها ، والممالك المشهورة آثارها ، والملوك المنقولة الينا وأوائل أيامها وأواخرها ، متقاربة متشابهة ، ولذلك ما روى عن نبينا ﷺ فيما وصف به حال أمته « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل حتى لو كان فيهم من دخل جحر ضب لدخلتموه »[١] ، وان كان الله قد خص هذه الامة بوجود الحق فيها الى يوم القيامة ، وجعل اجماعها حجة على مواضع اختلافها ما بقيت ، ووعدها النصر والتأييد الى آخر الزمان ، وتصرم[٢] مدة الدنيا .

الدين القويم أساس الملك

وكان مما جرت عليه أمور العالم ، واستمرت عليه عادات الامم ، أنه لم تكن مملكة الا كان أسها ديانة من الديانات ، وأصلها ملة من الملل ، عليها بنيت شرائطها وفروعها ، وجرت أحكامها ، وحدودها ، ولم يكن ديانة قديمة ولا حديثة الا كان أولها الدعاء الى معرفة الله جل وعز وتوحيده ،

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى بلفظ « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه » اللؤلؤ والمرجان ٧٢٤ وهداية البارى ١٣١:١ ومختصر صحيح مسلم ٢٩١:٢ وأخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة باختلاف يسير . سنن ابن ماجة ١٣٢٢:٢ .
والقذة : الريشة المقذوذة أى المحذوفة أطرافها . أساس البلاغة ٧٥٠ . والمراد كالسهام المتساوية .

(٢) انقطاع وانتهاء .

والترغيب فيما عنده للمطيعين المتدينين (١٣ / أ) من جزيل الثواب وكريم المآب ، والحث على التزود الى دار القرار والبقاء ، والتزهد فى دار النقلة والفناء ، حتى اذا خرج الآتى بشريعتها والواضع لاركان ملتها حقا كان ذلك أو باطلا من بينها ، وقع الاختلاف فيما بين أمته ، والتنازع فى أهل ملتــه ، فربما كان ذلك منافسه فى الرياسة ، وربما كان مخالفه فى الدين ، ثم لا يزال اختلافهم يحملهم على التعصب ، ويؤديهم الى التحزب ، ولا تزال الايام تتابع ، والامد يطول ، حتى يبعد بأصل الدين عهودهم ، وينسوا كثيرا مما ذكروا به ، وربما فتحت عليهم خزائن الدنيا فمالــوا اليها ، حتى صــارت مملكتهم على مر الايام دنيا تيه[٣] ، تتداولها أبدى أبنائها ، وسـسياستهم شهوانية ، تشح عليها أنفس طلابها ، ويتعادى عليها أربابها ، كما قد روى ذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه لمـا أتى بغنائم القادسية جعل يتصفحها ، وينظر اليها ، ويبكى . فقال له عبد الرحمن بن عوف : [٤] يا أمير المؤمنين هذا يوم فرح وسرور . فقال : أجل ولكن ما أوتى هذا قوم قــط الا أورثهم العداوة والبغضاء .

أسبــاب فسـاد الملك :

ثم ربما جعل الملوك ممالكها وراثة منهم يرثها الاخلاف الاســلاف والابناء الآباء والاصاغر الاكابر ، يعهد بعضهم الى ولده [٥] من غير أمتحان

(٣) دنيا تيه : دنيا ضياع وضلال . المعجم الوسيط ٩٢ .

(٤) عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشى ويكنى ابا محمد ، احد العشر المبشرين بالجنة واحد الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم توفى فى المدينة سنة ٣٢هـ . المعارف ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ٨٤٠ — ٨٥٠ .

(٥) فى الاصــل : والده .

له فى عقله ، ولا معرفة منه بفضله ، ولا وقوف على علمه بأمور الديانة التى هى أصل المملكة وأسها ، ولا استقــلال بأسبــاب الملك التى هي فروعهـا وحراسها ، فاذا وقع فيها الغر الممتحن بسكر الشباب والثروة ، وسكـر العز والمملكة والفراغ والقدرة،ورأى أن ليس فوقه يد قابضة،ولاعين راقبة ولا قوة قاهرة ، أمن حوادث الزمان ، واغتر بمساعدة الايام ، ولم يذكـره الأمن الخوف ، ولا الدولة الزوال ، ولا السلامة والصحة المرض والزمانة ولا العز الذل ، ولا الغنى الفقر ، ولا الظفر الخيبة ، فخال [٦] الدنيا كلهـا سرورا بحتا ، ولذة صرفا فاتبع فيها اللذات وآثر فيها الشهوات ، ونسى ما صنع الله بمن كان قبله من أمثاله ممن هو أشد (١٣/ب) منه قوة وأكبر جمعا ، وعمى عما يشاهده فى أيامه وساعاته من حوادث الزمان ، ونوائـب الليالى والايام ، ولم يذكر ما قاله الملوك الاولون : « من تاه فى ولايته ذل فى عزه » ،واذا صار لذلك صارت همته من الملك التمتع حلالا كان أو حراما، وبغيته من المقدرة التسلط والتطاول حقا أم باطــلا ، وأعرض عــن أحكام الدنيا جانبا ، وضرب عن حدود السياسة صفحا ، وصارت سياسته عبثا ، ورعايته لهوا ، ثم خلف ذلك فى عقبه ميراثا ، وفى أتباعه سنة ، وعند ذلـك يكثر فى رعيته الظالم والمظلوم ، والغاشم والمغشــوم واقتدوا بملوكهم فى امراج [٧] النفس فى لذاتها ، واتيانها هواها من الشهوات الحيوانية الصادة عن مواجب العقول ، وتفرقت عنه الاهواء ، واختلفت فيه الاراء ، فأمـا أبناء الدنيا والمؤثرون لها والحرصاء عليها فتقربوا الى الملوك بالنصائح التى

---

(٦) فخــال : فظن .

(٧) امراج النفس : تركها وتخليتها

لهم شطرها ، والمشورات التى لهم ثمرتها ، فكثر عند ذلك وزراء السـوء ، أعوان الظلمة ، فجرعوهم الغش فى طعم النصح ، وأروهم الضلال فى صورة الهدى ، وعرضوا عليهم الغى فى معارض الرشد ، وحجبوهم عن النصحاء الحكماء ، وحالوا بينهم وبين العلماء الفضلاء ، فضلوا وأضلوا ، وهلكـوا وآهلكوا ، فادا كانوا كذلك صار الحكماء ، والعلماء والبصراء ، بالمعيوب فى صورها ، والمذام بأعيانها ، بين ذليل مقموع ، ومطرود محجوب ، ومن بين متحرج تمنعه ديانته عن اتيانـه ، وحكيم يترفع عن صحبته ، وخائف يرى أنه أن واجهه فيما فيه صلاحه ونصحـه ، رقابله بما فيه نجاته ورشده ، عاقبه عليه أشد العقاب ، وعذبه آلام [8] العذاب ، لان الحق مر ، ونصح من ينهى عن الهوى ثقيل الا على العاقل الكامل ، والحازم الفاضل ، وكثير من هذه الابواب قد نال ملوك زماننا هذا من أهل ملتنا ، وولاة أهل قبلتنا .

فهذه كلها أبواب الفساد التى تعرض من جهة حب الرياسات والشهوات والتشاح [9] عليهـا .

وأما الباب الذى طريقه طريق الدين خاصة : فهو أن كلام كل كتاب ، وأخبار كل نبى لا تخلو من احتمال تأويـلات مختلفة ، لان ذلك موجود فى الكلام بنفس (١٤ / أ) طباعه ، ومعلوم أن الكلام كلما كان أفصح وأعرب وأحسن نظما وأبعد مخرجا ، كان أشد احتمالا لفنون التأويلات ، وضروب التفاسير ، ولا كلام أولى بهذه الصفات من كلام الله جل ذكره ، اذ كـان أفصح الكلام ، وأوجزه ، وأكثره رموزا ، وأجمعه للمعانى الكثيرة والاحرف

---

(٨) هكذا فى الاصل نرى الاصح : أذاقه آلام العذاب .
(٩) التشاح : التدافع والتزاحم .

اليسيرة ، وكان كتابنا الذى هو القرآن أولى الكتب وأخصها بهذه المعانى ، اذ كانت اللغة التى أنزل الله بها أفصح اللغات ، وكان كتابا جعل نظمه حجة على قومه ، وعلما لنبيه ﷺ ، ولابد فى الدين من وقوع الحوادث التى يحتاج الى النظر فيها ، والنوازل التى لا يستغنى العلماء عن استخراجها ، وعن خبر يشكل معناه ، وأثر تختلف التأويلات فى فحواه على مر الايام ، فاذا دفعوا اليه اختلفت الآراء فى المسائل ، وتفرقت الاهواء فى النوازل ، وصار لكل رأى تبع ، ومشرعون وأئمة ومؤتمون ، ثم مع طول الزمان ازدادت لها أنصار ومتعصبون ، وأعوان ومحامون ، فكان سببا لاختلاف الامم وانشقاق عصاها ولا يخلو دين من الاديان ، ولا ملة من الملل من منافقين فيها ، ومعادين لها ، فاذا وجدوها مختلفة متباينة متعادية ، أظهروا مكائدهم المضمرة ، ومطاعنهم المكنونة ، فدسوها فى مذاهبهم ، واخترعوا اختراعات كاذبة ، فوضعوها فى أخبارهم ، فافتتنت بذلك أعوانهم ، وفسدت أغمارهم [١٠] ، ثم قصدوا الملوك وهم أخلاء [١١] من علم الدنيا ، أعراض عن أصول الشريعة ، مترفون منغمون ، أهواؤهم التمتع باللذات ، وآمالهم مصروفة الى نيل الشهوات ، وهممهم الحرية والخلاعة ، والمروق عن الطاعة فزينوا عندهم الملاهى والملاعب ، وحرضوهم على أستعمال المزامير والمعازف والقوا اليهم ما يشين العرض ويخلق المروءة [١٢] ويفسد المملكة ، ويميت الديانة ، ويخالف بين أهواء الرعية ويغير أمارات الشريعة ، فقبلوها منهم لما وافق أهواءهم من الاستخفاف بالدين ، وطرح ثقله ، فاذا صار أمر الملوك

---

(١٠) الاغمار : غبر المجربين . أساس البلاغة ٦٨٦ .

(١١) والصحيح : خلو .

(١٢) يخلق المروءة : يبليها ويهلكها . المعجم الوسيط ٢٥١ .

وهم من يقتدى بأفعالهم ، وتقتفى آثارهم فى سيرهم ، كذلك جرى عليه خواصهم (١٤ / ب) وخدمهم ، ولكل خاص خاص ، ولكل مقتد مقتدى به، فعند ذلك تختلف السيوف [١٣] لان أهل الاديان يعتقدون الخروج على الملك واتباعه ، والسلطان وأتباعه ، ويستحلون ازالة يده ، وأهل الدنيا لا يرعون له حقا ، ولا يعرفون فيه منقبة لا يبلغونها بالتقدير فى أنفسهم،ولا يوجبون له طاعة تلزمهم ، بل يرون أن الملك قد صار من عز بز أو من غلب سلب فيكثر لذلك الخوارج ، وتخرب الممالك ، وتفسد الرعايا ، وتشيع المعاصى والفواحش ، وتكثر المؤن [١٤] ، واحتجج الملك العدد الكثير ، والعدة الوافرة ، ثم ربما ضاقت أموال المملكة عن مؤن الاعوان والحاشية ، فأدى ذلك الى تشغب الجند ، وتحزب آراء الاعوان ، ولا يبالى الملك أن يجحف بالرعية،ويحمل عليها،ولا تبالى الرعية أن تعين عليه،فان أطاعت طاعت منسورة مقهورة ، وان اضطربت وغلبت كانت عند الله وعند أهل الدين ، والعقل ، والرأى ، والفضل معذورة ، وعند أنفسها مشكورة مغفورة ، واذا زال ما يطمع فى الملك اعداؤه ، ويرغب فى أبطال الدين مخالفوه .

الراشدون وحماية الدين :

وعلى هذا جرت أحوال أمتنا مع نبينا ﷺ وبعده ، فان خلفاءه الراشدين كانوا لا يرون الخلافة الا لاحياء الدين ، ولا الامارة الا لاصلاح المسلمين ، وكانوا أهل رأفة بالمؤمنين ، سيرتهم العدل ، وقولهم الفضل ،

---

(١٣) تختلف السيوف : تقع الاضطرابات الداخلية .

(١٤) تكثر المؤن : يزداد الطلب على الاقوات . بتصرف من المعجم الوسيط ٢:٨٥٨ .

وقضاؤهم الحق ، وكلامهم الصدق ، وقد لبسوا المسوح والصوف ، وجردوا السيوف يضربون بها وجوه الكفار ، وأخذوا السياط يقمعون بها رؤوس الفجار ، حتى فتحوا الفتوح وهزموا الجيوش ، وقهروا الجبابرة ، وقتلوا الفراعنة ، وأظهروا نور الحق فى الغرب والشرق [١٥] ، ظاهرهم الخشوع وباطنهم الخضوع لله ، وبغيتهم الاخرة والاستخفاف بالدنيا جعلوها تحت أقدامهم ، اذ عرفوها حق معرفتها ، ووضعوها فى منزلتها ، كقول النبى ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة »[١٦] وقوله حين مر بمزبلة فقال: «ومن سره أن ينظر الى الدنيا بحذافيرها فلينظر الى هذه » ومر بشاة ميتة (١٥/أ) ملقاة فى مزبلة فقال: « ما ترون هذه هانت على آهلها حتى رموا بها ، للدنيا على الله أهون من هذه على أهلها [١٧] .

وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله : « انا لا نوليكم على أشعار المسلمين . ولا على أبشارهم ، وانما نوليكم لتقيموا فيهم الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن »[١٩] . وقال النبى ﷺ لعامل وقد رجع من ولايته بشىء طفيف ، فقال ، هذا أهدى الى : « ما بال أحدكم اذا وليناه أمرا من أمور

(١٥) هكذا بالاصل : والاصح بالمغرب والمشرق .
(١٦) اخرجه الترمذى عن سهل بن سعد . سنن الترمذى ٥٦٠:٤ كما اخرجه الطبرانى وابو نعيم . كشف الخفاء ٢٢٥:٢ ، كما رواه البزار . مجمع لزوائد ٢٨٨:١٠ .
(١٧) أخرجه احمد بن حنبل عن ابن عباس ، واسناده صحيح . المسند ١٩ كما رواه أبو يعلى والبزار . مجمع الزوائد ٢٨٧:١٠
(١٨) اشعار : ممتلكات المسلمين من الزروع والارض . المعجم الوسيط ٤٨٧:١ .
(١٩) النص فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨١:٣ مع اختلاف لفظى يسير وتاريخ الطبرى ج٤ ص ٢٠٤ .

المسلمين أن يقول هذا لكم ، وهذا أهدى الى ؟ ألا جلس فى حفش أمه فينظر هل يهدى اليه »[20] •

حتى خلف من بعدهم خلف رغبوا فى الدنيا ، وآثروها ، وسعوا لها وقدموها ، وتنعموا فيها ، واتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، وتركوا رعاياهم هملا ، الا من عصم الله منهم •

فهذه الخلال التى ذكرناها فى هذا الباب هى التى تخرب الممالك ، وتفسد الاديان ، وتطمع الاعداء فى الملوك ، وتخالف بين السيوف ، قد عددناها وذكرناها ، ولكل داء من هذه الادواء دواء يستشفى به ، ولكل فساد وجه صلاح يؤتى به ، وباب تحرز لمن أراد التحرز والاحتياط لمن مال الى التوفيق •

الملوك وسير السابقين :

أما ما ذكرنا من بعد عهد النبى ﷺ ، وأصحابه والصالحين فى صدر أمته ، حتى تأدى ذلك الى قساوة القلوب ، والاغترار بالدنيا ، والانخداع لها ، فان أخبارهم غضة طرية ، وان بليت أجسادهم فآثارهم حاضرة عتيدة ، وان غابت أعيانهم ، فينبغى للملك الحازم ، والسائس الصارم ،

---

(٢٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن أبى حميد الساعدى : ان رسول الله ﷺ استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله ، فقال يا رسول الله هذا لكم وهذا اهدى لى ، فقال له : « أفلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا » صحيح البخارى ١٦٢:٨ كما أخرجه مسلم بلفظ قريب ، مختصر صحيح مسلم ٩٠:٢ وأخرجه أبو داود أيضا جامع الأصول ١٢٤:٢ والحفش : البيت الصغير من بيوت الاعراب . المجرد للغة الحديث لعبد اللطيف البغدادى ٣٨٥:١ ، والمعجم الوسيط ١٨٤:١ .

أن يتعهد قلبه بسماع آثارهم ، وقراءة سيرهم وأخبارهم ، وهـدبهم ، ويتفكر فيما أقام الله جل وعز من دلائله الواعظة ، وأعلامه الشاهـدة فى أرضه وسمائه ، وفيمن كان قبله من الملوك الماضية ، ليعـرف بذلك حاله ، ويرى نفسه ، فانها قائمة نصب عينه ، تخاطبه وان لم تنطق ، وتعظه وان لم تسمع[٢١] ، وسنفرد للمواعظ بابا على أثر هذا ، ونذكر فيـه ما نظنه نافعا كافيا ان شاء الله .

الملك وأصحاب الأهـواء :

وأما دفع مضرة أصحاب الأهواء ، والطاعنين فى الدين ، والخادعين عنها بالحيل الغارة والأباطيل الخادعة ، فان التحرز منه النظـر فى كلام المتكلمين الذابين[٢٢] عن أصول الدين ، المتدربين بمناظـرة الملحـدين والمخالفين (١٥/ب) ، والجمـع بينهم ، والسماع منهـم ، والاستماع لتأويل الآثار ، وتفسير الأخبار ، ومعانى الآى ، فان من نظـر فى هـذه المعانى عرف فضل علوم الإسلام على سائر العلوم ، وقوة هذا الدين على سائر الأديان ، وفضل هذه التشريعة فى الحسن والقوة ، على كل شريعة ومـلة أنتسبت إليها أمة واعتزت[٢٣] إليها فرقة ، فان لم يحضر المتكلم الحاذق ، والعالم الصارم ، فقرأ كتبهم المؤلفة فى تأييد الدين ، وإظهار محاسنه ،

---

(٢١) فى الاصل : يخاطبه .. ينطق .. بعظـه .. يسمع ، والسـياق يقتضى ما ورد فى النص المحقق .

(٢٢) الذابين : المدافعين .

(٢٣) في الاصل : اعتزي ، والمعني : انتسب .

والتأويلات ، وعلل الاخبار ، وصرف بعض أوقات الفراغ ، والخلوة إليه، فان ذلك لا يعوز[٢٤] الملك إن أراده ، ولا يفوته إذا طلبه .

وأما غلبة وزراء السوء ، وطلاب الدنيا على الملك ، ونفور الحكماء والعقلاء منه ، فان وجه التحرز منهم ، إظهار الأمانة والعفة ، والعدل فى الرعية ، والشفقة عليها ، والرأفة بها ، وفتح أبواب النصائح فيها ، فانه إذا فعل ذلك أظهر كل منهم ما يوافق ميل ملكه ، ويقارب رأى رئيسه ، مؤمنا كان أو منافقا ، مخلصا كان أو مرائيا ، وأقبل عليه أهل الدين ، والحكمة ، والأمانة ، والخشية ، والصدق فى النية أقبالا ، وأتوه أجفالا[٢٥] ، فأشاروا عليه بالحق ، وهدوه إلى الرشاد ، ونهوه عن الفساد ، وأهدوا له النصائح ، وثنوه عن القبائح ، « فان السلطان سوق وانما يجلب الى كل سوق ما ينفق فيه »[٢٦] .

الملك ووحدة أمته :

وأما التحرز من اختلاف قلوب الرعية وتفرق أهواء العامة من جهة الدين ، فان وجهة التدبير فيه والترتيب على منازل مختلفة منها

أن يحمل الناس على ترك الخوض فيما يؤديهم إلى التفرق ، ويدعوهم الى التحزب ، فان ذلك هو أمر الله الذى أمر به عباده ، وسنة رسوله التى أكدها عليهم ، وسياسة الملوك الحزمة من قبله .

(٢٤) فى الاصل : يعـون .
(٢٥) المراد : سراعا . المعجم الوسيط ١ : ١٢٨ .
(٢٦) قاله أبو حازم لسليمان عبد الملك . عيون الاخبار ١:٢ ، العقد الفريد ١:٢٣ وينسب الى عمرو بن عبيد. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٩، وأورده الثعالبي قولا لابى الحسن أخي سيف الدولة . الايجاز والاعجاز ٢٣ .

قال الله جل وعز : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بيـن قـلوبكم فأصبحتم بنعمتـه إخـوانا)[٢٧] .

وقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفـوا من بعـد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)[٢٨] .

(١٦/ أ) وقال : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[٢٩] .

وفى آى كثيرة ينهاهم فيها عن التفرق والتحزب .

وقال النبى ﷺ : « رحم الله من ترك المراء ، وان كان محقا »[٣٠] .

وقال : « لا تختلفوا فى الصفوف فتختلف قلوبكم »[٣١] .

وقال أبو بكر الصديق[٣٢] — رحمة الله عليه — لسلمان الفارسى[٣٣] . فى كلام — وهو محق فيه — دع الكلام فانى أخاف أن يختلف أصحاب رسول

---

(٢٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٣ .

(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٥ .

(٢٩) ٦ الانعام : مدنية ١٥٣ .

(٣٠) أخرجه الترمذى وابن ماجة عن انس بلفظ«من ترك الكذب وهوباطل بنى له قصر فى ربض الجنه ، من ترك المراء وهو محق ، بنى له وسطها » سنن الترمذى ٣٥٨:٤ رقم ١٩٩٣ وسنن ابن ماجه ٢٠:١ رقم ٥١ . وقـد ضعفـه الالبانى . ضعيف الجامع الصغير ١٨٤:٥ رقم ٥٥٣١ .

(٣١) صحيح ، أخرجه النسـائى ٨٩:٢ ، ٩٠ ، مختصر سنن ابى داود للمنذرى ٣٣٢:١ رقم ٦٣٤ .

(٣٢) هو عبد الله بن أبى قحـافه عثمان بن عامر التميمى القـرشى اول خلفاء الراشدين ، مات فى ١٣ هـ . صفوة الصفوة ٢٣٥:١ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ — ٨١ .

(٣٣) صحابى أصله من مجوس أصبهان ، وهو الذى دل على حفر الخندق وتوفى سنة ٣٦هـ . طبقات ابن سعد ٧٥:٤—٩٤ . وحلية الاولياء ١٨٥:١و٢٠٨

الله ﷺ . فى أمثال كثيرة من أمثالها هذا . هو التدبير المحكم فى قطع سبب الاختلاف والحيلة فيه — أولا — أن يتلو فيهم الايات والاثار التى أمرفيها بالائتلاف ، ونهى عن التفرق والاختلاف ، ثم يؤدب نفسه ، ويؤنب وبعزر ، ويعاقب من أحدث بدعة أو ألحد فى سـنة ، فان لم يتهيىء ذلك[٣٤] وكان الإختلاف والتفرق عم وقد سبق عمر بعض الملوك وتقدم أيامه ، فالوجه أن لا يدع محدثا يحدث فى أيامه ، ولا سيما إذا كانت مخالفة لظاهر الشريعة وأصل الملة ، ويدبر فيه التدبير الأول ، فان لم يتهيىء ذلك إذ هـو متعذر عسير قد تكلفه من كان قبلنا من الملوك الحزمة المعنيين[٣٥] بأمـور الدين والملك ، واجتهدوا فيه فلم يتهيىء لهم ما أرادوا ، وتعـذر عليهم من ذلك ما راموا ، فان فيه وجهين : أحدهما ، الرغبة فى الآخرة محضا ، وصرف الهمة إليها صرفا ، وطلبما عند الله للمخلصين فى دينه ، والمجتهدين فى إدراك حقه ، فاذا اختار ذلك بالنظر العدل وسماع الأقاويل حتى يصح عنده الحق فيما أختلفت فيه الامة ، ثم دعوة الناس والتلطف لبثه ونشره بالتقريب على مذهب الحق ، واعانة الدعاة إليه ، والناظرين فيه ، والحسبة فى كل ما يجرى على يده من ذلك ، فان فيه الأجر العظيم والثواب الجزيل الكريم ، وهـو طريق الأنبياء ﷺ ، وسبيل الأولياء والصالحين والأئمة الراشدين من أهل دعوتنا ، ومن كان قبلنا ، ولا ييأس فاعل ذلك ، ومقدم النية فيه ، من توفيق الله ومتابعة عصمته إليه ، ونصرته على مخالفيه ، فيجتمع له الدين والدنيا .

---

(٣٤) فى يتهيىء ذلك : بمعنى يهتد لذلك .

(٣٥) فى الاصـل : المعينون .

والثانى ، أن يعتقد الحق ، ويظهر جملة ما اجتمع إليه أهل ملتــه ، واتفق عليه ألسن أهل دعوته ويجتهد فى معرفة ذلك (١٦/ب) على اليقين والصحة ، ثم قام بالشرائع ، وأنفذ الأحكام ، وبسط العدل والإحسان ، ونفى الجور والعدوان ، ولا يتعرض بشىء مما اختلف الناس فيه بعد معرفة الجملة ، إذ لا مطمع فى جمع أهواء الناس على رأى واحد ، سيما بعد ماتقدم المدد الطويلة ، وتتابع الازمنة المتراخية[٣٦] ، وسبق وقوع الاختلاف .

حسم أطماع العـــدو :

وأما الحيلة فى حسم أطمـــاع العدو منه ، فمن جهات :

أولها وأقربها هو الذى قدمنا من إئتلاف قلوب الرعية ، وجمع كلمتهم بالعدل والانصاف والفضل والاحسان ، وعمارة المملكة بهذه الأســباب ، واستيفاء الخراج والغلات من هذه الوجوه .

والثانية : التنظف[٣٧] عن المطامع الدنية ، والاخلاق الذميمة ، واتباع الشهوات والاستهتار باللذات ، ولا سيما فيما حرم الله ونهى عنه ، والسمو إلى نيل الفضائل ، ودرك المناقب من العلم والدين والعدل والرفق وسائر خصال الفضل ، فان هذه مراتب من نظر فيها وفكر فى مغبتها ورأى نفسه عن سمتها غفلا وعن حليها عطلا لم تطمع نفسه ، وخاف الدنو منها ، ثم حسن التدبير فى الأمور ، واستشار ذوى الألباب والرأى والتجارب ، فقد قيل : « كايد عدوك باصلاح عيوبك » . ولهذا كتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر:

---

(٣٦) المتراخية : المتوالية .
(٣٧) التنظف : الترفـــع .

« أصلح من نفسك (ما)[٣٨] يرد الرعية إلى إيجاب الحـق لك ، واظهـر العطايا والأدب فى رعيتك فانها تنمى رعيتك وتذل أعداءك ومن ناوأك ».

وقال : « أصلح نفسك لنفسك لكن الناس تبعا لك »[٣٩] .

ثم جمع الجنود المختارين ، والحاشية المنتخبين المتدربين بالوقائـع والحروب ، والاحتيال لاستجماع آرائهم وقلوبهم بالعدل بينهم ، وإثابة المحسن على إحسانه ، وإجزاء المسىء على إساءته ، وإدرار أرزاقهم على ما سنذكره فى باب سياسة الخاصة إن شاء الله .

وجوه التحرز من الفساد :

فأما التحرز من الوقوع — فيما يرى فيه ملوك زمانه — عند ظهـور الفساد وتغير الأمور واستئثار[٤٠] الملوك بأموال الرعيه ، وإظهار الحيف والميل إلى الدنيا ، وما فى هذا الباب فمن وجوه :

أولها ، مراقبة الله عز وجل (١٧ / أ) ، والعلم بأن الله أولى بأن يتبع ، والرسل أحق من يقتدى بهم ، وأن يعلم أن الله عز وجل يجزى كل نفس بما كسبت ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[٤١] .

ثم يسمو بهمته إلى أن يكون أفضل عند الله وعند العقلاء ، وأرفـع منزلة لدى الحكماء منهم ، فان أخص الناس بهذه الصفة وأولاهم بهـذه الهمة الملوك ، لأنهم لم يرضوا إلا أن يكونوا فوق أشكالهم ونظرائهم من

---

(٣٨) فى الأصل (مـن) .

(٣٩) ورد النص به فى لباب الآداب (لابن منقذ) : ٥٨ ، تسهيل النظر : ١٣٥ . وفى أدب الدنيا والدين : ٣٢٨ (نقلا عن تسهيل النظر) ، نزهة الارواح ١:٢٠٠ ، وطبقات الاطباء ١:٩٨ .

(٤٠) أى انفـراد .

(٤١) ٣٥ سـورة فاطر : مكية ١٨ .

أهل نوعهم درجة ، وأعلى منهم منقبة ، وأظهر منهم فضيلة ، فان لم يكن كذلك — بأن يلحق بالفضلاء من الملوك — فان الملوك يتفاضلون فيما بينهم فى الخصال الشريفة ، فيجب على الملك الفاضل أن يقتدى بأفاضلهم دون أراذلهم ، ويقتفى آثارهم فى فضائلهم دون رذائلهم ، فاذا لم تكن أمة من الامم إلا كان فى ملوكها حزمة وساسة وحكماء ومتدينون ، بل كانوا لا يرون من أهل الدين إلا من كانت هذه سبيله ، فمن خالفها أو عدل عنها ، وتنكب كان ملكه ملك المتغلب المبتز والدخيل المحتل ، ثم قد يتفاوت اختلاف الملك الواحد فى أفعاله ، فى الحسن والقبح ، والفضائل والرذائل ، فيجب على الملك البعيد الهمة الذى يرى الاقتداء أن يقتدى به ، ويتبع سنته ، ويحتذى سيرته فى محاسنها لا فى مساوئها ، وفى أفاضلها لا فى أراذلها ، فقد روينا عن النبى ﷺ أنه قال : (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن أساءوا أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا)[٤٢] وقال بعض الحكماء : « إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الهلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم»[٤٣] . وقال الله جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)[٤٤] . وقالوا : وشكا رجل الى حكيم من الحكماء فساد الزمان فقال : « أنت الزمان فان صلحت صلح ، وإن فسدت »[٤٥] .

---

(٤٢) ورد الحديث بلفظه عن أبى حذيفة — رواه الترمذى فى سننه ح ٤ ص ٣٦٤ رقم ٢١١٧ — وقال الالبانى بضعفه ح ٦ ص ٧٧ الحديث رقم ٦٢٨٥وشرح السنة للبغوى ٣٢:١٣ برقم ٣٤٤٤ .

(٤٣) من حكم الحسن البصرى : حلية الاولياء ١٥٧:٢ .

(٤٤) ٥ المائدة : مدنية ١٠٥ .

(٤٥) من اقوال الحكيم : أحنف بن قيس لمعاوية ورد النص فى المصباح ١٨٣:١ وورد بأسلوب مطول فى النبر المسبوك ٧٧ ومجمع الامثال ٤٢٥:٢ .

ثم ليس شيء مما نودعه كتابنا هذا إلا ولو أردنا أن نستشهد عليه بقول ملك من الملوك أو خليفة من الخلفاء أو أمير من الأمراء ، ونكثر من أقاويلهم ، لوجدناه مسطرا لهم مكتوبا ، ومدونا عنهم محفوظا ، ووجدنا (١٧/ب) من الملوك من كان إليه مائلا ، وبه قائلا ، وله مؤثرا وفاعلا ، ومهما شككنا في شيء فلا شك أنه كان لله أنبياء ومرسلون ، وأولياء ملكوا الدنيا ، وقادوا العساكر والجيوش ، ودوخوا البلدان بالجنود ، فما منعهم جلالة حالهم ، وعظم ملكهم ، وكثرة جيوشهم ، وكثافة جنودهم وسواد جموعهم من إيثار طاعة الله ، والعدل في خليقته وبريته ، فعاشوا ملوكا وماتوا ملوكا ، وبقيت آثارهم ، ولسان الصدق عنهم كأنهم أحياء وإن ماتوا ، وشهود وإن غابوا ، وقد كان سليمان بن داود[٤٦] الذي قص الله علينا نبأه ، وأخبر أنه ألان له الحديد ، وأذل له الشديد ، وسخر له الجن والإنس ، والسباع والبهائم والوحوش ، وأنواع الحيوان والرياح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، وكان من قبله أبوه داود[٤٧] عليهما السلام ، جعله الله خليفة في الارض ، وأمينا على الخلق .

وقد كان منهم يوسف[٤٨] النبي ﷺ ، ومنهم ذو القرنين الذي أثنى الله

---

(٤٦) سليمان بن داود : هو نبي من أنبياء بني أسرائيل ، خلف اباه داود على ملك بني اسرائيل ، وهو الذي بنى بيت المقدس على ما أسسه أبوه ، وتوفي سنة ٩٢٦ قبل الميلاد . تاريخ الامم والملوك ١:٢٥٢ ، ٢٦٢ والكامل في التاريخ ١:١٢٨ ، ١٣٦ وتاريخ ابن الوردي ١:٣١ والانس الجليل ١:١١٧ — ١٤٥ .

(٤٧) داود عليه السلام من انبياء بني اسرائيل ، انزل الله الزبور ، وقد تولى ملك بني اسرائيل ، وأسس بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد ، ودام ملكه أربعين سنة ، وكان عمره لما توفي مائة سنة . الكامل في التاريخ ١:١٢٨ وتاريخ ابن الوردي : ١:٣٠ .

(٤٨) يوسف بن يعقوب عليهما السلام نبي من بني اسرائيل ، مكنه الله في أرض مصر ، وتوفي عن مائة وعشرين عاما . ابن كثير : قصص الانبياء ١:٣٠٦ — ٣٥٩ .

عليه ، ثم موسى بن عمــران[٤٩] ، ويوشع بن نون[٥٠] وذووهم . ثم كان خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا ﷺ ، ملكه الله كثيرا من بــلاده فى أيام حياته ، وقاد الجيوش ، وساق الخيول ، وفتح الفتوح ، ودبر الأمور ، فلم يمنعه ذلك من طاعة الله والائتمار بأمره ، والاجتناب عن نهيه ، والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، ثم كان خلفاؤه الراشدون، وأصحابه المهتدون الذين فتحوا البلاد ، وقهروا أهل العناد ، وكانت سيرتهم ما قد ذكرنا ثم كان من بعدهم عمر بن عبد العزيز[٥١] وهو من بنى مروان الذين[٥٢] عاثوا فى الارض ، وغيروا السنن ، وأظهروا البدع ، فلم يكن قبله منهم مثله، أمر ببيع الخزائن ، ورد المظالم ، وأزال اللعن عن آل الرسول ، ورغب فى العلم، ونشر الفضل ، وقرب أهل العلم ، والزهد ، فلم يمنعه فساد أهــل زمانه وأقربائه ونظرائه ، من صلاحه وتدينه وتحريه الحق .

وكذلك كان يزيد بن الوليد[٥٣] ، فانه أظهر الدين ، وتعصب له وبسط

---

(٤٩) موسى بن عمران ، نبى من انبياء بنى اسرائيل ، نزلت عليه التوراة ومات وعمره مائه وعشرين سنة . تاريخ ابن الوردى ١:٢٤ .

(٥٠) يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقــوب بن اسحق بــن ابراهيم عليهم السلام ، وأهل الكتاب يقولون : يوشع ابن عم هود ، نبى مــن انبياء الله الى بنى اسرائيل ، وكان يحكم بينهم بكتاب الله التوراه حتى وفاتــه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة . ابن كثير : قصص الانبياء ٢ : ٢١٣ .

(٥١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا حفص ، ولــى الخلافة سنة ٩٩هـ ، وساد حكمه عدل الخلفاء الراشدين ، ولقب بخامس الخلفاء الراشــدين ، وتوفى و هو تسعة وثلاثون ســنة عام ١٠١هـ وأنظر فى ترجمتــه سيرة عمر بن العزيز لابن الجوزى ، وصفة الصفوة ٢:١١٣—١٢٧ وتاريــخ الخلفاء ٢٢٧ : ٢٤٦ وملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن العزيز .

(٥٢) عاثوا : أفسدوا . أساس البلاغة ٦٦٥ .

(٥٣) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا خالد ، ولقــب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، ووثب على الخلافة ، وقتل ابن عمه الوليد ، وتملك ، كانت خلافته ستة أشهر ناقصه ، ومات وعمره خمسا وثلاثين سنة فى عام ١٢٦ هـ . دول الاسلام ١:٨٦ وتاريخ الخلفاء ٢٥٢ .

العدل ، وقتل ابن عمه على الظلم والجور والإلحاد والكفر (١٨/ أ) ثم قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم قال : « والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسى ، وإنى لظلوم لها ، ولكنى خرجت غضبا لله ولدينه ، وداعيا إلى كتاب الله وسنه رسوله ، لما هدمت معالم الهدى ، وأطفىء نور أهل التقى ، وظهر العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمى فى الحسب وكفؤى فى النسب ، فلما أن رأيت ذلك استخرت الله فى أمرى وسألته ألا يكلنى إلى نفسى ، واستعنت بمن أطاعنى من أهل ولايتى ، إلى أن أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى .

أيها الناس إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا أجرى نهرا ، ولا اكتنز مالا ، ولا أعطينه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله فيما يغنيهم ، فان فضلت فضله ، نقلتها إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منهم ، وعلى أن لا أجمركم[٥٤] فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهاليكم ، ولا أغلق بابى دونكم ، فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وينقطع معه نسلهم ، ولكن لكم أعطياتكم فى كل سنه ، وأرزاقكم فى كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم ، فان أنا وفيت لكم بهذا فعليكم السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكاتفة ،

---

(٥٤) أجمركم : من جمر الامير الغزاة حبسهم فى الثغر وفى نحر الغزاة ولا رجعهم . وفى الاصل أجهزكم ولا يصح بها المعنى .

وإن أنا لم أف لكم به فلكم أن تخلعونى ، إلا أن تستتيبونى ، فان تبت، قبلتم منى وإن رأيتم أحدا أو عرفتموه يعرف بالفضل والصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من أبايعه وأدخل فى طاعته • أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق • أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم »(٥٥) •

فأما خلفاء بنى العباس فقل من خلا منهم أو من أفاضلهم من خصال حميدة لو اقتدى به فيها وأخذت عنه لكان لذلك أهلا ، فقد كان منهم أبو العباس(٥٦) أول الخلفاء ، ظاهر الزهد كثير الفضل والعلم •

وكان أبو جعفر (١٨/ب) المنصور(٥٧) أخوه كثير العلم شديد الاعتقاد فى الدين ، وكان قد صحب عمرو بن عبيد قبل توليه الخلافة ، وأخذ عنه العلم والدين ، وكان أحرص الناس على الاستكثار منه فى حال الخلافة ، وله معه آثار معروفة وأخبار مشهورة •

ثم كان ابنه(٥٨) على مذهبه ، وكان هارون الرشيد متدينا شديد

(٥٥) النص فى تاريخ الامم والملوك ٩:٢٦ ، ٢٧ وباختلاف لفظى يسير فى تاريخ الخلفاء ٢٥٣ والكامل فى التاريخ ٤:٢٦٩ ، ٢٧٠ •

(٥٦) هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن المطلب بن هاشم ، ويكنى أبا العباس ، ويلقب (السفاح) لسرعة سفكه الدماء ، فأتبعه فى ذلك عماله فى المشرق والمغرب ، ومات سنة ست وثلاثين ومائة عن أثنتين وثلاثين سنة . تاريخ الامم والملوك ٩ : ١٥٤ ودول الاسلام ١:٩٣ ، تاريخ الخلفاء ٢٥٨ •

(٥٧) هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ولد سنة ٩٥هـ وبويع بالخلافة سنة ١٣٦ هـ وكان صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة ، وعلم وفقه وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل فى البخل ، وتوفى سنة ١٥٨ هـ . تاريخ الامم والملوك ٩:١٥٥—٣٢٢ سير أعلام النبلاء ٧:٨٣—٨٩ ودول الاسلام ١:٩٣ ، ١٠٧ والفخرى فى الاداب السلطانية ١٤١ ، ١٦٠ •

(٥٨) المهدى : محمد بن عبد الله العباسى : ولد سنة ١٢٦هـ ، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه ، وكان محببا الى الرعية حسن الخلق والخلق ، وتوفى سنة ١٦٩ هـ دول الاسلام ١:١٠٧ ، ١١٢ وتاريخ الخلفاء ٢٧١ ، ٢٧٣ وتاريخ الامم ٩:٣٢٣ و ١٠:١٢ •

التعصب للاسلام والديانة ، ظاهر الشهامة جلدا فى السياسة والحماية ذابا عن أركان الملة منكمشا[٥٩] فى الدعوة ، غزا الروم غير مرة بنفسه . وكتب إلى عظماء الكفرة بتهديده ووعيده ، وحج إلى بيت الله ماشيا وراكبا ، وقل ما كان يخلو من غزوة أو حجة فى كل عام ، ولذلك ما قال فيه مادحه .

فى كـل عـام غـــزوة ووفادة ثنيت بين نواهمـا الأقـــران
غــزو وحــج مات بينهما الكرى باليعملات شــعارها الوخـدان
يصـل الهجـير بعـــزة مهـديه لو شـاء صان أديمهـا الأكنـان
لكنـــه فى الله مبتـــذل لهـــا إن التـقى مسـدد ومعـان[٦٠]

وكان مولعا بالفقهاء ، مقربا للعلماء ، مهتما بأمر دينــه ، حتى كان يوصف بالتقوى والخشية فقال فيه أبو نواس[٦١] :

إمام يخـاف الله حـتى كأنــه يراه من التقوى صـباح مسـاء[٦٢]

وفى كثرة غزوه وإخافته أهل الكفر والشرك يقول :

وأخفت أهـــل الشرك حتى إنـــه لتخافـك النطف التى لم تخلق[٦٣]

---

(٥٩) منكمشا : من انكمش فى سعيه أى أسرع . اساس البلاغة ص ٨٣٣
(٦٠) والشاعر يمدح الرشيد بأنه بغزو ويحج فى كل عام ويواجه صعابـا لا يطيقها الاقوياء ويضحى براحته ونومه ، وبركب الابل السريعـة فى ترحاله ويقاتل فى الحر الشديد بوجــه مشرق لو شاء صانه فى القصور ، لكنــه يتحمل التضحية فى سبيل الله .
اليعملات ، اليعملة من الابل النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل .
الوخدان : الاسراع وتوسيع الخطــو .
(٦١) هو الحسن بن هانىء ولد فى سنة ١٤٦ بالبصرة ، شاعر العراق فى عصره ، نظم فى جميع أنواع الشعر ، وأجود شعره خمرياته ، وتوفى سنة ١٩٨هـ الشعر والشعراء ٢ :٨٠٠ — ٨٣٠ ، وفيات الاعيان ١ :٣٧٣—٣٧٥ ، وخزانة الادب ١ :٣٤٧ — ٣٤٨ .
(٦٢) الديوان ص ٢١ — طبعة بيروت ١٩٨٢ .
(٦٣) الديوان : ٤٥٢ والشعر والشعراء ٢ :٨٠٥ ، العقد الفريد ١ :٢٩ .

ثم كان من بعده المأمون ، وهو لو باهت به هذه الامة سائر الامم فى ملوكها لكان ذلك أهلا ، ولوجد لها عليهم به فضلا ، علما ، وعقلا ، وأدبا • وحزما ، وأربا ، ورأيا ، وفهما ، وشهامـــة ، وعـــزما ، ونظـــرا فى أبواب السياسة ، وجدلا فى العلم • واجتهادا فى اختيار المذاهب ، وشغفا بالعلم وأهله • وتعصبا للتوحيد ، وتوفيرا على سائر أبواب الملك حقها ، وأعطاها قسطها ، وله آثار موجودة ، وأخبار مأثورة ، وفى الكتب مشهورة مسطورة •

وكذلك المعتصم(٦٤) فان أخباره فى كثرة (١٩ / أ) غزواته مذكورة ، ووقائعه مشهورة ، وكان متدينا جلدا باسلا شهما ، ذابا عن الدين ، حاميا عن عـــورة المسلمين •

قالوا : وبلغ من حمايته لهم أنه ذكر بين يديه وفى مجلسه أن امـــرأة مسلمة أسرت فى الروم فى وقعة جرت بين المسلمين وبينهم ، فجعلت تنادى وتندب وتقول : « وامعتصماه » ! •

فقال على فوره : « لبيك ، لبيك وقام فركب مركوبه ، وخرج علـــى وجهه من ساعته وهو يقول : « لبيك ، لبيك » وتقدم الى خاصته وحاشيته ، أن يلحقوا به ، وجعل الجيش والخدم يتلاحقون به أولا فأولا ، فمـــا نزل

---

(٦٤) هو ابو اسحق محمد بن هارون الرشيد بن المهـــدى بن المنصور • النامن من خلفاء بنى العباس ، وكان مولده سنة ١٧٨ هـ، وولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ وملك ثمانى سنين وثمانية أشهر ، ونمانيه أيام ولذلك يسمى بالخليفة (المتمن)، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ وله ست واربعون سنة •

التنببه والاشراف ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ والكامل فى التاريـــخ ٥:٢٣١ — ٢٦٦ وتاريخ الامم والملوك ١١:٦ وتاريخ الخلفاء ٣٣٣ — ٣٤٠ والمعارف ٣٩٢ والمصباح ١:٥٠٢ •

الا على مرحلة ، وما أقلع عن وجهه[٦٥] حتى دخل أرض الروم ، وتعرف أمر تلك المرأة ، واستدل عليها ، فانقذها ، وخلصها وأنكى فى الروم نكاية لم يكن بمثلها له عهد ، كل ذلك إظهارا للحق ، واعتدادا لما يجب عليه ويلزمه من صيانة الدين وحماية أهله ، وفى ذلك يقول أبو تمام فيه :

خليفة الله كافا الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب

لو كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير مقتضب

فبين أيامك اللاتى نصرت بها ... وبين أيام بدر أقرب النسب[٦٦]

ثم كان الواثق[٦٧] مذكورا بشدة رغبته فى الدين ، وولوعه بالعلم ، وأهله ، وتعظيمهم ومجالستهم ، والاستكثار منهم ، وتحريه[٦٨] التوحيد والعدل ، وامتحانه المخالفين ومناظراتهم وحملهم على قبول الحق ودونهم من خلفاء بنى العباس .

ثم كان الامراء من ولاة خراسان من الطاهرية[٦٩] ، لهم آثار عجيبة ، وسياسات سديدة ، من إعزاز الدين ، وحياطة الملك ، والرغبة فى العلم

---

(٦٥) النص لدى ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٥:٢٤٧ .

(٦٦) الديوان وشرحه ٣٢ ، ٣٣ وفى البيت الاول (جازى) بدلا (كافا) وفى البيت الثانى (ان) بدلا من (لو) .

(٦٧) الواثق بالله ، هارون بن محمد بن المعتصم العباسى ، ويكنى أبا جعفر وأبا القاسم ، ولد سنة ست وتسعين مائة ، وبويع بالخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين . ومات سنة مائتين واثنين وثلاثين . التنبيه والاشراف ٣١٢ ودول الاسلام ١:١٣٩ ، تاريخ بغداد ١٤:١٥ والمصباح ١:٥١٠ وتاريخ الخلفاء ٣٤٠ — ٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٣٠٦ — ٣١٤ .

(٦٨) فى الاصل : وتجرده ، وهو تصحيف .

(٦٩) فى الاصل : الظاهرية ، والطاهرية نسبة الى عبد الله بن طاهر بن الحسين ، حاكم خراسان وما وراء النهر ، مات سنة ثلاثين ومئتين ، وله ثمان واربعون سنة . تاريخ بغداد ٩:٤٨٣ ، وسير اعلام النبلاء ١٠:٦٨٤ .

والادب ، وإجلال أهله ، وتجميــل أثوابهم[٧٠] بهم ، وتتبع أفاضلهم فى البلدان ، وحملهم من الآفاق ، وعنايتهم بكتبة الكتب وتصحيحها وصحبة أهل الآداب والفضل وهمة فى اصطناع المعروف ، وبث الخير ، ونظــر فى أمور الرعية ، وحماية عن الحوزة ، حتى إذا فتر فى هذه الأسباب آخرهم كان ذلك سببا لزوال مملكتهم وانقضاء دولتهم وتصرم مدتهم .

وكذلك كانت أحوال ملوك سامان المحدثين (١٩/ب) ، فكان نصر بن أحمد[٧١] ، من عباد الأمراء وزهادهم بالاضافة إلى من كان قبله وبعده .

وكان الأمير : المــاضى أبو ابراهيم[٧٢] كثير الغزو ، حسن التواضع، ثقل الهمة ناصرا لظاهر الشريعة ، رحيما بالرعية ، شديد الرغبة فى الخشية، واظهار فرائض الملة ، يتحرى العدل ، ويظهر الحــق وإن كان من أبنــاء الدنيــا .

وكان إسحاق بن أحمد[٧٣] مذكورا بالعلم والأدب والمحبة لأهــله ، وكثرة مجالسهم والاستئناس بهم .

---

(٧٠) (اثوابهم) يبدو لنا انها (مجالسهم) .

(٧١) نصر بن احمد السامانى ، صاحب خراسان ، توفى ٢٧٩ هـ . تاريخ الطبرى ١٠ : ٣٠ .

(٧٢) هو : اسماعيل بن احمد السامانى ، أمير خراسان وما وراء النهر ، ومات ٢٩٥هـ ولقب بعد وفاته بالامير (الماضى) . الكامل فى التاريــخ ١٧٧:٦ سير أعلام النبلاء ١٤:١٥٤ ، النجوم الزاهرة ١٦٣:٣ ، وشذرات الذهب٢١٩:٢

(٧٣) هو اسحاق بن احمد بن اسد السامانى ، وقد خرج وابنه اليــاس على (السعيد نصر بن أحمد السامانى) وقد اقتتلا اكثر من مرة حتى اختــفى اسحاق ثم طلب الامان فأمن عام ٣٠١هـ وبقى فى بخارى الى أن مات . الكامــل ٣٤٦:٦ .

وكان الشهيد[٧٤] موصوفا بالعدل فى الأحكام ، والتسوية بين القريب والبعيد والشريف والوضيع فيها ، والنظر فى أمور الرعية والرحمة بهـا ، ويتحرى التخفيف عنها والرفق بها .

وكذلك كان حال أفاضل الملوك من آل ساسان من قبل ، على ما دلت عليه آثارهم ، فقد قال أردشير — فى عهده الذى جعـله دستورا للملك : « واعلموا أن الدين والملك أخوان توأمان ، لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن الدين أس الملك ، ثم صار الملك بعده حارس الدين ، فلابد للملك من أسه ، ولابد للدين من حارسه ، فان مالا حارس له ضـائع ، وما لا أس له مهـدوم »[٧٥] .

وقال : « اعلموا أنه لم يجتمع رئيسى فى الدين مسر ورئيس فى الملك معلن فى مملكة واحدة قط إلا انتزع الرئيس فى الدين ما فى يدى الرئيس فى الملك ، لأن الدين أس ، والملك عماده ، وصـاحب الاس أولى بجمـع البنيان من صاحب العمران » [٧٦] .

وكذلك قرأنا فى عهد أنو شروان ، وسابور من تعظيم الدين والذب عنه والاجتهاد فى حمايته وصيانته وروينا فى آثارهم وأخبارهم ، وقـرأنا فى رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر :

---

(٧٤) هو أحمد بن اسماعيل بن نصر السامانى ، يكنى ابا النصر ، ولـى الامارة للمكتفى العباسى ، ولقب بالشهيد لانه قتله بعض غلمانه سـنة ٣٠١ . الكامل ٦:١٤٤ تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء لحمـزة الاصفهانى ١٧٢ ، الاعلام ١:٩٣ .

(٧٥) عهد أردشير ٥٣ ، المصباح ١:٢١٤ ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ٢٠ .

(٧٦) عهد أردشير : ٥٤ بنصه تحقيق د. احسان عباس .

« آى ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق للرياسه ، وآى ملك أخدم دبنه ماكه فالملك له آفة »[٧٧] .

وقال : « من يتمسك بالسنة فحرام عليك دمه وإدخال المذله عليه »[٧٨] .

وقال : « دافع عن دينك تصلح عاقبتك » .

وقال : « صير دنياك وقاية لآخرتك ولا تصير آخرتك وقايه لدنياك »[٧٩] ، فى أمثال لها كثيرة وأتسباه عدة من أخبار (٢٠/ أ) الملوك المخصوصين بالفضائل ، والمتجنبين للرذائل ، وكفى بما ذكرناه دلبلا على ما قصدناه ، ولله الحمد والمنة على توفيقه وتسديده ، انه وليه ومستحقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٧٧) السياسة فى ندبير الرئاسه : ٧٧ بلفظ « يا اسكندر ! اى ملك اخدم ملكه دينه فهو مستحق الرئاسة ، واى ملك جعل دينه خادما لملكه فهو مستحق لناموسه ، ومن استخف بالناموس قتله الناموس » .

(٧٨) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ : ٩٩ .

(٧٩) نزهة الارواح وروضة الافراح ١ : ٢٠٢ ، وعيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ : ٩٨ .

البــــاب الرابع

فى المواعظ التى تبصر غرور[١] الدنيا وتذكر بالآخرة وتنفع من نظر فيها واستمع لها وتهديه الى العدل فى ملكه

الوعظ فريضـــــة :

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)[٢] .

وقال : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[٣] وقال له: (وذكرهم بأيام الله) [٤] وقال : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا)[٥] .

وكان النبى ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة[٦] .

فالوعظ والتذكير فريضتان واجبتان ، وسـنتان ماضـيتان على[٧] أهلهما بكتاب الله جل وعز — وسنة رسول الله ﷺ .

وقد أمر الله الموعوظين بالاستماع لها ، والاصغاء إليها ، فليس أحد وإن جل خطره ، وعظم قدره ، ممن يجب أن يترفع عن استماع الموعظة ، وقبول النصيحة ، لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجــزل ، واستحق من الله البشرى فى العاجل ، والثواب فى الآجل ، ومن عقلاء خلقه الثناء والمدح والإكرام والدعاء ، فان الله — عز ذكره — يقول : (فبشرعباد

---

(١) هكذا فى الاصل ، ونرى الاصوب (بغرورى) .
(٢) ٥١ الذاريات : مكية ٥٥ .
(٣) ١٦ النحل : مكية ١٢٥ .
(٤) ١٤ ابراهيم : مكية ٥ .
(٥) ٢٤ النور : مدنية ١٧ — ولفظ الله ليست موجودة فى الاصل .
(٦) راجع ما تقدم ص ٤٣، ٤٤ أحاديث النصيحة .
(٧) فى الاصل : على من ، والمعنى يستقيم بدون (من) .

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[٨] ثم قال : (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)[٩] .

فيجب على الملك الفاضل،والسائس الكامل ، الذى ربما أنفق الأموال، وعمل الأعمال ، ليمدحه بها[١٠] مخلوق جاهل ، أو شاعر كاذب ، أو ماجن مترخص ، أن رغب فى هذه المنزلة التى يمدحه بها رب العالمين ثم فضلاء المسلمين ، وإن الله ــ جل ذكره ــ جعل الخير فى الاعتبار ، والاعتبار بالتفكر ، وحث عليه فى غير موضع من كتابه ، فقال : (أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)[١١] . وقال : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[١٢] .

فمن قريب ما يجب أن يفكر فيه ويتدبره ، أن يتذكر أحوال القرون الماضين ، والملوك الأولين (٢٠/ب) الذين كانوا أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ، وأبين آثارا،وأطول أعمارا ، الذين بنوا المدائن ، وجمعوا الخزائن، وحفروا الأنهار ، وعمروا الديار ، وشيدوا القصور ، ودبروا الأمور ، وجمعوا الجموع ، وقادوا الجيوش ، وساقوا الخيول ، ودوخوا البلاد ،

---

(٨) ٣٩ الزمر : مكية ١٧ ، ١٨ ، وفى الاصل : « عبادى » .
(٩) ٣٩ الزمر : ١٨ .
(١٠) فى الأصل : بـه .
(١١) ٣٠ الروم : مكية ٨ .
(١٢) ٣ آل عمران : مدنية ١٩١ .

وأذلوا العباد ، ومشوا فى الارض مرحا ، واختالوا بما أوتوا فرحا ، فأخذهم الله بما كانوا يكسبون ، فأصبحوا بعد العز والمنعة ، والملك والرفعة ، والصوت والسطوة ، والذكر والصولة ، عظاما رميما ، ورفاتا هشيما ، وأصبحت منازلهم خاوية ، وقصورهم خالية ، وأجسادهم بالية ، وأصواتهم هادئة تنبئك اثارهم معاينة وتقرع أسماعك أخبارهم مجاهرة ، فلم يصحبهم من الدنيا ما جمعوا ، ولم يدفع عنهم الردى ما كسبوا ، ولعلهم ندموا حيث لم تنفعهم الندامة ، وتلهفوا حيث لا يغنى عنهم التلهف ، وإن الباقى عما قليل كالفانى ، والغابر عن قريب كالماضى ، وما بينهما الا أنفاس معلومة ، وأيام معدودة ، سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء ، فليحذر المغتر بماله ، والممتنع بعزه ، هذه الصرعة ، وليستعد لهذه الوجهة ، ولينتبه لهذه الموعظة ، فان الله جعلها فى أوائل مواعظه وكررها فى مواضع من كتابه حيث يقول : (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا فى الارض)[١٣] وقال : (وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[١٤] . وعد كثيرا منهم فى كتابه ووصفهم وسماهم فى خطابه حيث يقول : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد)[١٥] . وقال : (وعادا وثمودا وأصحاب

---

(١٣) ٤٠ غافر : مكية ٨٢ .
(١٤) ٣٠ الروم : مكية ٩ .
(١٥) ٨٩ الفجر : مكية من ٦ — ١٤ .

الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ، وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا)[١٦] هذا خبر صدق ، وقول حق ، وقد جعل الله بكل ما شوهد فى أيامه ، وعوين فى زمانه ، ممن رفعهم الدهر ثم وضعهم ، وأعلاهم ثم صرعهم ، ودارت عليهم دوائره ، ونابتهم نوائبه ما فى بعضه مقنع لمعتبر ، وبلاغ لمذكر . (٢١/ أ) .

قالوا : وأشرف أبو الدرداء[١٧] صاحب رسول الله ﷺ على أهل حمص[١٨] ، فقال : « يا أهل حمص ، أتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون ، إن من كان قبلكم بنوا شديدا ، وأملوا بعيدا ، وجمعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا ، وأملهم غرورا ، وجمعهم بورا »[١٩] .

وقد قال بعض فصحاء الملوك فى خطبته : « ألم تروا مصارع من كان قبلكم ، كيف استدرجتهم بزخرفها ، ونعمتهم ، ثم تركتهم ، وقد تخلت عنهم فهم فى حيرة مطلخمة [٢٠] وظلمة مدلهمة ، تركوا الأهلين والأموال والأولاد والعيال فمساكنهم القبور ، وقد خلت منهم الدور ، وتقطعت منهم

---

(١٦) ٢٥ الفرقان : مكية ٣٨ ، ٣٩ — أصحاب الرس قوم قتلوا نبيهم — تبرناه تتبيرا : دمرناه تدميرا . زاد المسير جـ٦ : ٩٠ ، ٩١ .

(١٧) هو عويمر بن زيد وقيل ابن عامر ، الصحابى ، الحكيم ، الزاهد ، وقد أبلى يوم أحد بلاء عظيما ، وهو مقرىء أهل دمشق وقاضيهم ، وكان يهابه معاوية ويتأدب معه ، توفى سنة ٣٢هـ . دول الاسلام ١: ٢٥ ، والمعارف ٢٦٨، وصفة الصفوة ١ : ٦٢٧ — ٦٤٣ .

(١٨) حمص : مدنية بدمشق .

(١٩) النص فى حلية الاولياء ١ : ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ مع اختلاف لفظى يسير ولفظ أملهم غير واضح فى الاصل .

(٢٠) مطلخمة : أي شديدة . المجلد ٤٨٧ .

الأوصال والصدور ، وصاروا ترابا باليا ، وكان لهم الله ناهيا ، (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)[٢١] .

ولقد أحسن فى هذا المعنى لبيد[٢٢] فى قصيدته الحكمية حيث يقول :

فقولا له ، إن كان يعقل[٢٣] أمره

ألما يعظك الدهر ؟ أمك هابل

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب

لعلك تهديك القرون الأوائل

فان لم تجد من دون عدنان باقيا[٢٤]

ودون معد فلترعك العواذل[٢٥]

---

(٢١) ٣٥ فاطر : مكية ٥ ، ٦ .

(٢٢) لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى ، ويكنى أبا عقيل ، من شعراء الجاهلية وفرسانهم ،قدم على رسوله فى وفد بنى كلاب ، فاسلموا ورجعوا الى بلادهم ، ومات وهو ابن مائة وسبعة وخمسين سنة ، فى سنة أحدى وأربعين للهجرة الشعر والشعراء ١:٢٨٠ ، ٢٨١ ، وخزانة الادب ٢:٢٤٦ ، ٢٤٧ والاستيعاب ١٣٣٥ — ١٣٣٨ ، والاعلام ٦:١٠٤ .

(٢٣) الديوان ص ١٤١ القصيدة ٤٤ البيتان ٦،٥ وفى الشعر والشعراء ١:٢٨٥ « نقسم » بدلا من « يعقل » .

(٢٤) نفس المصدر : « والدا » بدلا من « باقيا » .

(٢٥) الابيات فى الشعر والشعراء ١:٢٨٥ ، والمتع ٣٧٤ ، ٣٧٥ والبيتان الثاني والثالث فى مجمع الامثال — مع تغيير طفيف ص ١٢٧ .

وقال فى هـذا المعـنى الذى تضمنه هـذا الباب صـالح بن عبـد القدوس(٢٦) :

كـم رأينـا من أبلج ذى عتـو ... لم تهبـه المنـون وهـو مهيب

بينما يبتنى المـدائن والاوطـان ... إذ باكـرته الخطـوب

فـتردى ولم تجبـه جنـود ... أحصروا حصر لأمـر ينـوب

بل حثت فـوقه الـتراب ولم تصر ... ف رداه إذ يهتـف المكـروب

وينـادونه وقـد صـم عنهـم ... ثـم قالـوا وللنسـاء نحيب

ما الذى عاق أن تحـير جـوابا ... أيهـا المقـول الأديب الأريب

أن تكن لا تطيـق رجع جـواب ... فلقـد ما تـرى وأنـت خطيب

ذو عظـات وما وعظت بقـول ... منـل وعـظ بالصمت إذ لا تجيب

وقـال :

فان أملـت أن تبـقى فسـائل ... بمـا أفـنى القـرون الخاليات

(٢١/ب)وأين ذوو المعالى والمساعى ... بنـو الأحـرار أهـل المـأثرات

وأين ثوت مـلوك الروم واسـأل ... بحمير فى الدهور المـاضـيات

وأين مـلوك بـنى عبـد شمـس ... ولاة منـابر وبنـو ولات

وأيـن الراتقـون لـكل فتـق ... وأين الموسعون ذوو الجدات(٢٧)

---

(٢٦) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الجذامى،ويكنى أبا الفضل،شاعر حكيم ، وكان متكلما يعظ الناس فى البصرة ، أتهم عند المهدى العباسى بالزندقة فقتله ببغداد نحو ١٦٠هـ . فوات الوفيات ١:٣٩١ ، طبقات الشعراء ٨٩ـ٩٢ معجم الادباء ٤:٢٦٨ و ٢٦٩ ، الاعلام ٣:٢٧٧ ، وتاريخ بغداد ٩:٣٠٣ .

(٢٧) الجدات : الحظ والغني والرزق . لسان العرب المحيط ١:٤١٣

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : « اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن بعدك ، لا تمد أملك إلى ما ينفد ، فبذلك الطمع الكاذب ، وانظر إلى حال نظرائك ممن سلف فى الملك ، واعلم أن حكمك فيه كحكمهم »[٢٨] .

---

(٢٨) النص فى المصباح ٢ : ٢٤٤ .

فصـــل آخـــر فى المـــواعظ

عدم الأمان للأيـــام :

ثم لا ينبغى للملك الممتع بطول المدة فى ملكه ، والمنفس له فى عمره، والسالم من نوائب زمانه ، والمظفر على أعدائه فى أيامه ، والمدرك منها كثيرا من أمانيه وآماله ، أن يغتر بمساعدة الدولة له ، ومواتاة الدهر إياه،وينسى لطول الإملاء والامهال حوادث الأزمان ، وبغتات تغير الأيام ، حتى يغمض عينه عن ملاحظة الغير ، ويغفل عن مراقبة الغير ، فان ذلك ربما يكون من أعظم حجج الله عليه ، وأبلغ محنة له،وقد ذكر الله ذلك كلـــه فى كتابـــه اذ يقول : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)[٢٩] •ويقول فى قوم الكفار : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)[٣٠] •

وقال النبى ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع يقيمها الريح مرة هكذا ومرة هكذا،ومثل الكافر مثل الأرزة حتىيكون انجعافهامرة)»[٣١] وليعلم أن البقاء منها إلى فناء ، والظعن[٣٢] منها إلى ارتحال والصحة إلى

---

(٢٩) ٣٥ فاطـــر : مكية ٣٧ .

(٣٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ .

(٣١) أخرجه البخارى ومسلم عن كعب بن مالك بلفظ « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ، تفيئها الريح مرة ، وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة » صحيح البخارى ١٤٩:٧ مسلم ٢١٦٣:٤ برقم ٢٨١٥ واللؤلؤ والمرجان ٧٩١ ، الخامة : اللين من الزرع ، الارزة : جنـــس من اثمن الاشجار ، وانجعافها : الانقلاع .

(٣٢) الظعن : الارتحال ، ولا يستقيم بها المعنى ، والاصوب الاقامة .

سقم والسلامة والعافية إلى بلاء ومرض ، والسرور مشـوب بالحـزن ، والصفو ممازج للكدر ، وإن كان كثير من الناس لعشقه بما يهواه ، وولوعه بما يتمناه منها ، يرى صفوها ولا يرى كدرها ، ويبصر سرورها ، ويعمى عن شرورها ، ويجد طعم ملاذها ولا يحس بآلامها ، كالمسموم الذى يجد حلاوة العسل فلا يشعر بمرارة السم فيكون فى حلاوته هلاكه ، وقديما ما قيـل : (حبك الشىء يعمى ويصم)[٣٣] ثم ليعلم أن بلوغ الامانى،وادراك أطراف الامال واستقامه الأحوال (٢٢ / أ) التى هى غاية طلبتـه ونهاية أمنيته ، سم قاتل ، وسيف مستأصل ، وإيذان بالادبار ، وقرب بالبوار . وقد بين الله ذلك فى كتابه حيث يقول : (حتى إذا أخـذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)[٣٤] . وقال فى قصة قارون : (وآتيناه من الكنوز مـا إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيـا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض إن اللـه لا يحـب المفسدين)[٣٥] . ثم حكى — عز وجل — أنه قال:(إنما أوتيته على علم عندى

---

(٣٣) ذكره الماوردى فى الامثال والحكم : حديث ص ٦٥ رواية بلال عـن أبى بردة عن أبيه وأيضا فى قوانين الوزارة ٩٧ ، كما رواه الامام أحمد فى مسنده وأبى داود فى سننه والبخارى فى تاريخه عن أبى الدرداء الخرائطى ، وهو حديث حسن كما ذكر السيوطى : الجامع الصغير ١٣٤ ويشير العجلونى فى كشـف الخفاء ١:٤١١ الى أن العراقى وابن‌حجر قررا : أنه يكفى سكوت أبى‌داوو عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف .

(٣٤) ١٠ يونس : مكية ٢٤ .

(٣٥) ٢٨ القصص : مكية ٧٦ ، ٧٧ .

أو لم تعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) [٣٦] ثم قال جل وعز : (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصريـن) [٣٧] • وقال . (حتـى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) [٣٨] • وقال أمير المؤمنين على [٣٩] رضى الله عنه : « كم من مستدرج بالاحسان ، وكم مغرور بالستر عليه ، وكـم مفتون بحسن القول فيه ، ما ابتلى الله أحدا بمثل الاملاء له » لأن الله يقول (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم) [٤٠] • وقد عرف ذلك الحكماء ، وذكره الشعراء ، فقال بعضهم ، وسئل عن حاله • كيف حال مـن يفنى ببقائه ؟ ويسقم بسلامته ! ويؤتى من مأمنه ؟ •

وقالت العرب : « من مأمنه يؤتى الحذر » [٤١] ، وقديما ما قالوا : « ما استجمع لاحد أمله الا اسرع فى تفريقه أجله » • وقيل : « يا ابن آدم لـو رأيت الاجل ومسيره بغضت الامل وغروره » • وقد ذكـر كثيرا من هـذه المعانى أردشير فى أول فصل من عهده حيث قال : « إن صيـغ الملوك غيـر صيغ الرعية ، فالملك بطبعه العز والامن والسرور والقدرة على طباع الانفة

(٣٦) ٢٨ القصص : مكية ٧٨ •
(٣٧) ٢٨ القصص : مكية ٨١ •
(٣٨) ٦ الانعام : مكية ٤٤ •
(٣٩) على بن أبى طالب ، يكنى أبا الحسن رضى الله عنه ، ولد سنة ٣٢ قبل الهجرة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبى وصهره ، واستشهد فى سنة ٤٠ هـ وله اثنان وستون سنة . مشاهير علماء الامصار ٧٦ ، الاستيعاب ١٠٨٩ ، دول الاسلام ١ : ٢٣ ، وصفة الصفوة ١ : ٣٠٨ — ٣٢٥ •
(٤٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ •
(٤١) قاله أكثم بن الصيفى الفاخر : ٢٦٥ ، مجمع الامثال ٢ : ١٧٧ ، نهاية الارب ٣ : ٥٣ •

والجرأة والبطر ، والعبث ، ثم إنه كلما ازداد فى العمر تنفسا ، وفى الملك سلامه زاده فى هذه الطبائع الأربع حتى يسلمه الى سكر السلطان الذى هو أشد من سكر الشراب ، فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر ، وفحش تسلط سلطان الأيام ولؤم غلبته الدهر فيرسل يده ولسانه بالقول والفعل » [٤٢] .

قال : « وقد قال الأولون منا عند حسن (٢٢ / ب) الظن بالأيام تحدث الغير » .

قال : « وقد كان من أولئك القوم من يذكره عزه الذل ، وأمنه الخوف ، وسروره الكآبة ، وقدرته العجز ، فاذا هو جمع بهجة الملك وفكرة السوقة ولا حزم إلا فى جمعها »[٤٣] .

وقد قال بعض الشعراء :

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تم [٤٤]
حياتك بالهم ممزوجة ... فلا تقطع العيش إلا بهم
أطايب دنياك مسمومة ... فلا تأكل الشهد إلا بسم [٤٥]

---

(٤٢) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ٤٩ .
(٤٣) نفس المصدر ص ٥٠ .
(٤٤) بنصه لدى الماوردى فى قوانين الوزاره ١٥٦ ، وفى عيون الاخبار ٣٣٢:٢ ، وكتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ٢٩:١ وبدلا من كلمة (بدا) كلمه (دنا) .
(٤٥) أوردها الماوردى فى أدب الدنيا والدين تحقيق مصطفى السقا ص ٢٣٩ على الترتيب التالى :

همومك بالعيش مقرونة ... فما تقطع العيش الا بهم
اذا تم امرا بدا نقصه ... ترقب زوالا اذا قيل تم
اذا كنت فى نعمة فارعها ... فان المعاصى تزيل النعم
وحام عليها بشكر الاله ... فان الاله سريع النقم
حلاوه دنياك مسمومة ... فما تأكل الشهد الا بسم
فكم قدر دب فى مهلة ... فلم يعلم الناس حتى هجم

وقـــال آخـــر :

أرى بصرى قـــد رابنى بعـــد كبرة   وحسبك داء أن تصح وتسقما[٤٦]

وقال آخـــر :

أرى صاحب الدنيا وان طال عمره   ونال من الدنيا سرورا وأنعمـــا

كبان بنـــى بنيانـــه فأتمـــه   فلما استوى مـــا قدبنـــاه تهدمـــا

قال : وكتب الاسكندر الى أرسطاطاليس بعدما نفذت يده فى الشرق والغرب،وبلغ من الملك ما لم يبلغه قبله أحد:أكتب الى بموعظة موجزةتردع وتنفع ، فكتب إليه : « إذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطـــب ، وإذا هنتك العافية فحدث نفسك البلاء ، وإذا اطمأن بك الأمر فاستشعر الخوف فإذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت ، وإن أحببت نفسك فلا تجعلن لهـــا فى الإساءة نصيبـــا » [٤٧] .

قال : ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال : « أيها الملك إن الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ، ومن لم يقدم لم يجد ، فمر نفسك حلاوة عيشها بترك الاشارة اليها ، وأعلم أن زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامة تحـــت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ، فلا تكونن فى حال من هـــذه النكت غير متوقع لأضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكة ، فـــإن

---

(٤٦) قائله حميد بن ثور الهلالى . ديوانه ص ٧ ، الاعجاز والايجاز : ٤٠ . وبدلا من (كبره) (صحة) وبدلا من (تسقما) (تسلما) وكذا فى عيون الاخبار ٥ :١٩١ ، ونهاية الارب ٣ :٦٥ كما أورده الماوردى فى الامثال والحكم ص ١٦١ وفيه (بعد صحة) بدلا من (بعد كبره) .

(٤٧) سلوك المالك فى تدبير الممالك : ١٤٩ ، وسراج الملوك للطرطوشى : ٣٥٥

الزمان عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بعناية الاستعداد ، فإذا فعلت ذلك استغنيت عن الوعـــظ » .

وقالوا : وكتب سليمان بن داود عليهما الســـلام على كرسيه : « إذا صحت السلامة نزل البلاء ، وإذا تمت العافية نجـــم العطب ، وإذا ظهـــر الأمن علا الخوف » (٤٨) .

وقال (٢٣ / أ) بعض من عرف هذه الدار :

ما أعجـــب الدهـــر فى تصرفـــه ... ونقـــل سلطانـــه ودولتـــــه

من كان يدرى أن النعيم الـــى ... بؤس رأى الهـــم فى مسرتـــه

وقال آخـــر :

يريد الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف يرى طول السلامه يفعل (٤٩)

وقال آخـــر : (٥٠)

كانت قناتى لا تليـــن لغامـــز ... فألانهـــا الاصباح والامســـاء

ودعوت ربى بالسلامـــة جاهدا ... ليصحنى فاذا السلامـــة داء

---

(٤٨) ورد فى قوانين الوزارة للماوردى : ٨٤ ، الخوارزمى فى مفيد العلوم ومبيد الهموم : ٢٠٤ ، والطرطوشى فى سراج الملوك : ٣٥٦ .

(٤٩) فى الامثال والحكم ـــ تحقيقنا ـــ ص ١٤١ فيه (يود) بدلا من (يريد)، و (جاهدا) بدلا من (البقا) .

والبيت لـــ (نمر بن تولب) وهو من أمثاله السائرة ، شعره القصيدة ٣١ البيت ٢٢ ، الايجاز والاعجاز : ١٤٥ ، نهاية الارب ٣:٦٧ ، جمهرة أشعار العرب : ٢١٩ ، المتع : ١٧٦ ، الحيوان للجاحظ ٦:٥٠٣ ، بهجـــة المجالس ٢:٢٣٧ ، وعيون الاخبار مجلد ٢:٣٢١ .

(٥٠) هو الشاعر عمرو بن قميئة توفى نحو ٨٥ قبل الهجرة . زهر الاداب ٢:٣٢٢ ، المتع : ١٧٦ الكامل ١:٢١٨ ، عيون الاخبار ٢:٣٢٢ ، العقد الفريد ١:٣٢٥ ، الايجاز والاعجاز : ٤٠ ينسبه الى النابغة الجعدى ، وفى ذيل ديوان لبيد : ٢٢١ ، ديوان عمر بن قميئة ص ٧٧ من المنسوب اليه ، وللنمر بن تولب فى ديوانه : ١٢٩ .

فصــل آخــر

الوقت وصالح العمل :

وليعلم المنهمك فى لذاته ، والحريص علــى نيل شهواته ، والمفتــون بآماله وامنياته ، أنه لا ينال منها شيئا إلا بثلاثة أشياء :

(الاول : أنه) [٥١] يفنى فيه أيامه المعدودة « التى هى أعظم الاشياء عنده خطرا » وأجلها لديــه قدرا ، وأعزها فقــدا ، والذى كل فائت سواه مستخلف ، وكل ذاهب بعده مرتجع •

والثانى : أنه يقرب به من أجله ، ووقت وفاته (وهو) [٥٢] هادم لذاته ومنغص شهواته ، وقاطع أمنياته •

والثالث . أنه يشغل ويعقل [٥٣] بطلبه إياه وسعيه له حظا من الآخرة التى هى دار قراره ومجتنى ثمرات أعماله ، فإذا فكر فى قدر ما يناله فى حيث ما يفوته ، لم يزده قدرا ، ولم يتبين له خطــرا ، وعلى حسب ذلك يجب أن تكون رغبته فيه وميله إليه ، وكلفه به •

وفى بعض ذلك ما يقول الشاعر :

ما نلت شيئا من الدنيا تسربه إلا وأنت به تدنو من الأجل

وقال الحسن البصرى : [٥٤] « إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهــب

---

(٥١) ما بين القوسين ، ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .
(٥٢) هو : ســاقط من الاصل .
(٥٣) يعقل : يحبس ويعطل .
(٥٤) هو الحسن بن أبى الحسن ، ويكنى أبا سعيد ، من علماء التابعين جمع بين العلم والعمل والعبادة ، وكان أحد كبار أئمة عصره ، وامام البصرة ، وتتلمذ عليه كبار الفقهاء والمتكلمين المسلمين ، توفى سنة ١١٠هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٦:٧ ، احمــد بن حنبــل : الزهــد ٢٨٩:٢٥٨ ، أبو نعيم الاصبهانى : حلية الاولياء ١٣١:٢ ، ابن الجــوزى : الحسن البصرى نشرها الخانجى ١٩٣١ ، والدكتور احسان عباس ترجمة مطولة عن الحسن البصرى طبعة دار الفكر العــربى .

بعضك » (٥٥) « يا ابن آدم انك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمـك » (٥٦) .

وقد قال رسول الله ﷺ : « ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكـر الله فيها إلا كانت حسرة عليـه يوم القيـامة »(٥٧) . واسـتحسن مـن الحجاج (٥٨) كلامه على المنبر : « إن امرأ ذهب من عمره ساعة فى غير مـا خلق له لخليق أن تتطاول عليه حسرته » .

وقال آخر : فى الضن بالأيام والساعات .

نساع فى الفنـــاء ســفلا وعــلوا ... وأرانى أموت عضوا فعضوا(٥٩)

(٢٣ / ب)

ليس من ساعه مضت بــى إلا ... نقصتنى بمرها بى جــروا (٦٠)

---

(٥٥) حلية الاولياء ١٤٨:٢ ، ١٥٥ .

(٥٦) البيان والتبين للجاحظ تحقيق عبـد السـلام محمـد هارون ج٣ ص ١٣٣ .

(٥٧) رواه الطبرانى فى الاوسط ، وفيه عمرو ابن الحصـين العقيلى ، وهو متروك . مجمع الزوائد ٨٠:١٠ .

(٥٨) الحجاج بن يوسف الثقفى ، ويكنى أبا محمد ، أمير العراق ، كان جبارا عنيدا ، ومخازيه كثيرة بيد أنه كان عالمـا فصيحا مموها مجودا للقرآن، يقال أنه قتل أكثر من مائة الف نفس صبرا ، وسمعوه يقول عند الموت : رب اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تغفر لى . ومات فى سنة ٩٥هـ عن ثـلاث وخمسين سنة من العمر . تاريخ الامم والملوك ٩٦:٨ ، وفيـات الاعيـان : ٢٤:١ — ٣٤٨ ، دول الاسلام للذهبى ٦٥:١ ، وتهذيب التهذيب ٢١٠:٢ ، الكامل فى التاريخ ١٣٢:٤ .

(٥٩) بهجه المجالس ٣٣٨:٢ وينسبه لمحمود الوراق .

(٦٠) هكذا فى الاصل . والجرو : هو الصغير من كل شيء .

وقال آخر فى هذا المعنى :

ما هى إلا ليلـــة ثـــم يومهـــــا   وحول إلى حول وشهر إلى شهـــر

مطايا يقربن الصحيح مـــن البلا   ويدنين أشلاء الكريم من القبـــر

ويتركـــن أزواج الغيـــور لغيـــره   ويقسمن‌ما يحوى الشحيح‌من الوفر

فصـــل آخـــر

غرور الانسان وضعفـــه :

وليعلم المتكبر المختال : بما ينال فيها من الغرور والمقدرة ، والاموال والبسطة والملك والرفعة ، المعجب بما أوتى من العدد والعدة ، والمنعة والقوة أنه وإن كان عزيزا بالاضافة الى غيره فمن تحت يـــده ، وغنيا بعـــوارى القيمات [٦١] عند فقراء رعيته قادرا بالاضافة إلى ضعف حاشيته ، فإنه فى نفسه وبالاضافة الى القادر عليه ذليل فقير ضعيف مهين ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو ممن يؤذيه البراغيت والذباب والبعوض والديدان وكثير مـــن الهوام[٦٢] فلا يمتنع بقوته عنها ، ولا يتنصف[٦٣] عن كثير منها . ثم انه ان [٦٤] نظر إلى كبار خاق الله فى سمواتـــه وأرضيه ، وجباله ، وبحاره ، ومائه ، وناره ، لم ير لجسمه الصغير الضعيف فى جنبه مقـــدارا ، ورأى صغره عنها عيانا جهارا ، وإذا ذكر حالته فى بدئه وانقضائه ، وأوله وآخره وجد أوله [٦٥] نطفة قذرة ، وآخره تربة مذرة [٦٦] ، وهو فيمابين الحالتين وعاء لأنتن الأنتان . وأقذر الأقذار ، ثم إن فكر فى عاقبة أمره ، ومرجع شأنه ، وجد جسمه الذى ربه [٦٧] طعاما لأضعف الحيوان ، وأوهن الدوابمن الحشرة والديدان ، ثم إن فكر فى ضعف جسمه ، وقلة حيلته ، وصغر قدره إذا وجعه

---

(٦١) بعوارى القيمات : بما أعطى من الاشياء القيمة .
(٦٢) الهـــوام : الحشرات .
(٦٣) يتنصف : يقـــدر .
(٦٤) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا الاصح : اذا .
(٦٥) فى الاصل : وجدوا له .
(٦٦) مذرة : قـــذرة .
(٦٧) ربه : زاده ونمـــاه .

بعض اعضائه ، وضرب عليه بعض أجزائه الدالة بضعف تركيبها على سرعة الأنحلال ، ورأى أنه لا يدفع عنه جنوده ، ولا تغنى خيوله وحصونه ، فكيف إذ جاء مالا بد منه ، وقد تفاقم داؤه وعز دواؤه ، واشتد قلقه ، وضاق نفسه ، وعرق جبينه ، واشتد أنينه ، وغارت عيناه ، وتقلصت شفتاه ، وارتعدت فرائصه ، وكلت [٦٨] جوارحه ، وعاين سكرات الموت ، وحسرات الفوت ، وأيقن بترك ما جمع ، وأوعى ، والخروج مما شيد وبنى ، وبفراق من عشق وأحب ، وعاين آثار ما عمل واكتسب وود أنه (٢٤ / أ) كان أضعف خلق الله ، وأفقرهم ، وأقلهم ، وأخملهم ، ثم عمل بطاعة الله واجتنب معصيته . فمن لم يشاهد ذلك من نفسه ، فقد شاهده من غيره ، وعلم أنه لا محالة إليه مصيره ، ومنقلبه ، وما بعد أمره أمر وأدهى ، وأشد وأبقى ، ثم ليذكر مقدار الأرض التى هو يملك بعضها فى خلق الله من أفلاكه ونجومه وسماواته ، ثم مقدار مملكته ورعيته من الأرض ومن فيها ، ثم مقداره من رعيته ، فإنه إذا فكر فيه بانت له قلته ، وعلم أنها من صغار الهمم والأقدار (أقل البلغ) [٦٩] ، حيث لم تسم همته إلا إلى إدراك مملكته القليلة المقدار الضيقة الرقعة فى جنب الملك الكلى والعز الأبدى .

فإذا عرف ذلك من نفسه فعلى حسبه أن يكون تكبره وتجبره وخيلاؤه وتخونه ، وليعلم أنه لا يتكبر أحد ولا يختال بسلطان[٧٠] يناله إلا جاهل بمقداره ، قليل المعرفة بنفسه ، قصير الهمة صغيرها ، إذ كان يرى أن

---

(٦٨) كلت : تعبت وضعفت .

(٦٩) غير واضحة فى الاصل .

(٧٠) بسلطان : وفى الاصل السلطان .

سلطانه فوق قـــدره ونفسه دون ملكه • ثم لو بعدت همته وأرتقـــت [٧١] معرفته لما رضى بالفانى عن الباقى بدلا ، وبالدنيا عن الآخرة عوضا •

وقد قال بعض الحكماء : لم يتكبر أحد إلا لصغر قدره ، ودناءةنفسه، وقد قال ذلك عمرو بن عبيد حجبن قيل له : أقنعت من الدنيا بخبز وشعير، فقال : أقنع منى من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة • وقيل للعتابى : [٧٢] فلان بعيد الهمة قال : اذن لا غاية له إلا الجنـــة • وقال أرســـطاطاليس للاسكندر : إياك والعجب فإنه يفسد كبير الفضل •

---

(٧١) وارتقت ، غير واضحة بالاصل .

(٧٢) العتابى هو كلثوم بن عمرو ، ويكنى أبا عمرو ، وكان شاعرا محسنا، وكاتبا فى الرسائل مجيدا ، مات سنة ٢٢٠هـ . الشعر والشعراء تحقيق أحمد شاكر جـ٢ ص ٨٦٧ ، تاريخ بغداد ٤٨٨:١٣ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث جـ٦ ص ٢١٢ — ٢١٥ •

فصــل آخــر

التخلى عــن الشهــوات :

وليذكر الملك الفاضل : إذا انبسط أمله ، وازدحمت أمانيه : أن عمره فى هذه الدار وإن طالت أيامه ، وتتابعت أعوامه ، ثلاثة أيام : فيوم منقض بما فيه لا يعود إليه أبدا ، ويوم منتظر ليس فى يده منه إلا آماله وأمانيه ، ويوم هو فيه قد آذنه بالرحيل عنه سريعا ، لا يبقى عليه بؤسه ولا يلبثه نعيمه ، حتى يصير يومه أمسه ، وغده يومه ، وإن شاء جعله ساعات ، فإنه يجتهد على هذه السبيل فلا يطولن عليه الامد ، ولا يهولنه الصبر عن شهوة مخلقة للعرض مفسدة للمروءة ، مكسبة (٢٤ / ب) للمذمة ، موجبة للعقوبة فإنما هو صبر يوم واحد من عمره أو ساعة من يومه ، إن صبر فيها عن شهوة فاحشة أصلح بها حياته الأبدية الدائمة ، وإن أرتكب فيها محرما أفسدها ، فلينظر فى مقدار يومه وساعته من مقدار الأبد والحياة السرمد ، وفى الشهوة المنقضية فى نيل الشهوات الدائمة ، فرب شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا قال الله جل وعز فى هذا المعنى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هــو أقرب) [٧٣] وقال : (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) [٧٤] وقال الرســول ﷺ « انما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار فى يوم صائف فقال تحت شجــرة ساعة ثم سار وتركها » [٧٥] ، وقال « ما الدنيا فى الآخرة إلا كرجل أدخل

---

(٧٣) ١٦ النحل : مكية ٧٧ .

(٧٤) ٧٠ المعــارج : مكية ٦،٧ .

(٧٥) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن مسعود بلفظ قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء ، فقال : « مالى وما للدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٥٨٩:٤، تيسير الوصول ١٠٤:٢ ، وقال أى نام وقت الظهيرة .

أصبعه فى اليم فلينظر بماذا ترجع اليه »[٧٦] .

وقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبــور »[٧٧] .

وقال فيه بعض الشعراء :

هو السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العين فى النوم

لا تعجلن رويــدا إنها دول دنيا تنقل من قوم إلى قوم

وقال لبيــد :

فأضحى كأحلام النيام نعيمهم وأى نعيم خلته لا يزايل

وفى التزهيد عن الشهوات ما قال بعض الحكماء : العبيد ثلاثة : عبــد الرق ، وعبد البدر [٧٨] ، وعبد الشهوة ، وهو شرهم حالة ، وأذمهم عاقبة، وقد قال بعض حكماء الفرس لبعض ملوكها : أما استحسنت من العقل أن تبدل اسم الكريم [٧٩] لئيما واسم الحر عبدا ؟ ألست تعلم أن اسم العبودية واللؤم انما يقع على الشهوات لان صاحبها مستعبد أبدا مجرور مسحوب،

---

(٧٦) أخرجه الترمذى عن قيس بن أبى حازم ، وقال : ان الحديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٤:٥٦١ ، كما أخرجه الحاكم فى مستدركه عن قيس ابن أبى حازم عن المستورد رضى الله عنه ج ٤:١٩ لـ .

(٧٧) أخرجه الترمذى عن ابن عمر قال : أخذ رســول الله ﷺ ببعــض جسدى فقال : « وكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفســك فى أهل القبور » فقال — لى — ابن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك لا ندرى يا عبد الله ما أسمك غدا » الجامع الصحيح ٤:٥٦٨ ، وقد أورد الماوردى الحديث فى قوانين الوزارة ص ٨٣ .

(٧٨) البدر : جمع بدرة ، وهى المــال الكثير . تاج العروس ٣:٣٤ .

(٧٩) فى الاصــل : الكرم .

والعقل كريم . أو ما رضيت حتى جعلت الكريم للئيم مركبا ، والحر للعبد عبدا ، وسميت حرا كريما ، وسميت عاقلا لبيبا ، جعلت عقلك لشهواتك عبدا ورأيك لهواك مركبا ؟ .

وقال بعض الزهاد : إن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا ، والحرص والشهوة صير الملوك عبيدا .

وقال بعض الشعراء :

(هواك — فلا تكذب — عليك أمير
وأنت رهين في يديه أسير)

(٢٥ / أ)

يسومك عصيانا وأنت تطيعه — وطاعته عار عليك كبير

وقال آخر :

كم أسير لشهوة وقتيل — اف للمشتهى خلاف الجميل

شهوات الإنسان تكسبه الذل — وتلقيه في البلاء الطويل

فصل آخر

الدنيا عدو فى ثياب صديق :

وليذكر المنهمك فى شهواته ، والمشتهر بلذاته ، أنه لا يعشق شيئا من الدنيا ويهواه ، ويشتهيه ويتمناه إلا وهو إذا ناله وظفر به مله وسئمه ، وكرهه عن قريب قربه ، حتى يلفظه لفظ المرار ، ويمجه مج الأجاج ، ويمله ملال البغيض ، ثم إنه لا ينال شيئا يشتهيه إلا بكثير مما لا يشتهيه . فلا ينال الملك إلا بالخدمة الطويلة ، والرياضة الصعبة الشديدة ، والمخاطرة العظيمة ، والأشغال الكثيرة ، والآمال البعيدة : التى ربما أتت دونها المنية ، وإذا كان هذا هكذا فترك الطلب لشهوات الدنيا بما يفوت به الدين أولى بالملك العاقل ، وأشبه بأفعال الحازم الكامل سيما إذا كان فيها مرتكبا إثما وعارا ، يدحض الدين ، ويبقى قبح الأحدوثة أو راغبا فى لذة حيوانية يشاركه فيها البهائم المبهمة والسباع الضارية ، والكلاب العاوية ، وضعاف الحيوان من الهوام والحرشة [٨٠] ، لأن الصبر عن المحبوب والنجاة من المكروه كالكفر بالمحبوب والوقوع فى المكروه سواء لا تفاوت بينهما . هذا وربما كانت المكاره فيما يظنه محابا ، والفساد فيما يحسبه صلاحا والهلاك فيما يتوهمه نجاة . فقد يجمع الملك والجنود ليكونوا له عدة على أعدائه وجنة عند لقائه ، فيكون فيهم هلاكه .

---

(٨٠) الحرشة جمع حريش دويبة صغيرة وهى اكبر من الدود على قدر الاصبع . لسان العرب المحيط ١:٦٠٨ .

ويكسب الحريص مالا ليريحه من تعب الفقر ونصب الحاجة فتكثر به حاجاته ويزداد تعبه ، ويربى الولد ليكون له عضدا وعلى اعدائه يدا ، وربما كان أعدى اعدائه له وشر منابذيه عليه ، فحقيق بالملك إذا أبصر بالدنيا على هذه الصورة ، وعلم أن داءه فيها من دوائه ، ومكروهه فى محبوبه ، وعدوه من صديقه ، أن يجعل سعيه فيها تزودا إلى غيرها ، وقصدا لما سواها ، وقد عرف ذلك من قال فيها :

(٢٥ /ب)

إذا امتحن الدنيا لبيب تكتشف له عن عدو فى ثياب صديق[٨١]

وقد قال الحسن البصرى فى صفة الدنيا : « فأصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب لها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة »[٨٢] .

وقد كتب الحكيم إلى الاسكندر : « ما رغبتك فى شىء لو كان محمودا لما كان فى الدواب منه أكثر مما فيك ، وهو أقوى عليك ، فما الفخر فيه والدواب أكثر فبه منك ، وهو يهتك العمر ، وينقص البدن ، ويفسد السنة» قال : « وقد تنازع النفس منازع شديد المؤنة وهو النهمة ، والنهمة تنتج الندامة ، والندامة تنتج الدناءة ، والدناءة تنتج سقوط النفس ، وسقوط النفس تنتج الميل إلى المحقرات ، والميل إلى المحقرات هتك لكل فضيلة » . ومن هذه الآفة تحدث الاوجاع العجيبة والامور المفسدة والفجور ، وما أشبه ذلك .

---

(٨١) قاله ابو نواس . ديوانه ص ١٢٩ ، عيون الاخبار ٣٣٢:٢ ، الشعر والشعراء ٨١٩:٢ ، والايجاز والاعجاز التعالبى ٤٧ ، المحاسن والمساوىء ٤٨:٢ ، والمضنون به على غير أهله ٨٧ ص ٤٣ ، التمثيل والمحاضرة ص ٨٩ ، وبهجة المجالس ج٢ ص ٢٩٥ ، التذكرة السعيدية ص ٤١٩ .

(٨٢) هى جزء من كتابه الى عمر بن عبد العزيز . والنص فى الحلية ١٣٥:٢

فصـــل آخـــر

محاســبة الله للمــلوك :

وليعلم الملك المتدين بدين الحق والمعتز بملة الاسلام ، أن الله انمــا استرعاه عباده ، واستعمره بلاده ، ومن بأنواع نعمه عليه ، وصنوف أياديه لديه ، محنة له وابتلاء ، وقد بين الله ذلك فى كتابه المنزل على لســان نبيه المرسل حيث قال : (الذى[٨٣] خلق الموت والحياة ليبلوكم أيــكم أحسن عمــلا)[٨٤] • وقال : (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصــابرين ونبلو أخبــاركم)[٨٥] • وقال (ونبــلوكم بالشر والخير فتنــة والينــا ترجعون) [٨٦] • وقـــال النبى ﷺ « إن الدنيــا حــلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف، تعملون »[٨٧] وأنه ســائله عمــا استرعاه ، ومحاسبه فيما استحفظه وآتاه على مثاقيل الذر ، وموازين الخردل ، كما بين ذلك فى كتابه حيث يقول : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فــلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبــة من خــردل أتينا بهــا وكفى بنــا حاسبين)[٨٨] وقال : (لتسألن عما كنتم تعملون)[٨٩] • ســؤال مفــرد

---

(٨٣) فى الاصل : هو الذى •

(٨٤) ٦٧ الملك : مكية ٢ •

(٨٥) ٤٧ محمد : مدنية ٣١ •

(٨٦) ٢١ الانبياء : مكية ٣٥ •

(٨٧) اخرجه مسلم ٤:٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢ فى كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء •

(٨٨) ٢١ الانبياء : مكية ٤٧ •

(٨٩) ١٦ النحل : مكية ٩٣ •

ومحاسبة مفزع ، لا سؤال مستفهم يحتمل التغيير ولا محاسبة مستعلم يجوز عليه التلبيس ، ثم هو محتج عليه بما اتاه من صنوف نعمه وقسم له من جزيل قسمة ، وما سخر له من عباده ، ومهد له فى بلاده ، وملكه من أمواله وخزائنه • ثم هو محتج عليه (٢٦/ أ) بما أقام فى خلقه من الدلائل على حكمته ، وانه لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يتركهم سدى ، ثم هو محتج عليه بكتابه الذى أنزل ، وأمره باتباعه فى فرائضه وأحكامه ، وبرسوله الذى ارسل وأمره بالاقتداء به فى سيره وآثاره ، ثم هو سائله عن كل ما أمره به من إصلاح نفسه واقامتها على طاعته ، وأوامره وفرائضه ، ثم سائله عن خاصته الذين أمره [٩٠] بتأديبهم وتقويمهم ، والاستعانة بهم على تنفيذ أموره ، وإمضاء أحكامه ، وإقامة حدوده وأعلامه ، ثم عن عباده الذين استرعاه إياهم ، حتى عن آخر عبد وأمة فى أقصى مملكته وأدناها ، وأسفلها وأعلاها ، وأنه لا ينجيه منها إلا الصدق ، ولا يرضيه إلا الحق ، ومن وراء الحساب والسؤال فوز عظيم ، أو عذاب أليم ، فوز لمن بطاعته عمل فى نفسه ، والعدل فى عباده ، والحق فى بلاده ، وأداء الامانة فى أمواله ، وعذاب على من عمل بمعاصيه ، وارتكب مناهية ، خبر من الله — جل ذكره — حق ، وقول صدق ، حيث يقول (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت[٩١] وهم لا يظلمون) [٩٢] وقال : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)[٩٣] وقال : (رسلا

---

(٩٠) فى الاصل : امرهم .
(٩١) فى الأصل : ما كسبت .
(٩٢) ١٦ النحل : مكية ١١١ .
(٩٣) ١٠٢ التكاثر : مكية ٨ .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٩٤] وقال :
(بل الانسان على نفسه بصيرة) [٩٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من وال يلى [٩٦] ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله وأهلكه جوره » [٩٧] ، ثم قال الله فى تقسيم العاصين والمطيعين : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى) [٩٨] وقال (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والأرض) [٩٩] ، فهم فى عذاب دائم ، وألم غير منصرم ، إن بكوا لم يرحموا وإن صبروا لم يؤجروا ، وإن استغاثوا لم يغاثوا ، (لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها) [١٠٠] وإن سألوا الرجعة ليعملوا صالحا قيل لهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) [١٠١] ، ثم يقول الله محتجا عليهم:(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) [١٠٢] وان افتدوا

---

(٩٤) ٤ النساء : مدنية ١٦٥ .
(٩٥) ٧٥ القيامة : مكية ١٤ .
(٩٦) فى الاصل (والى) والصحيح ما ذكرنا .
(٩٧) اخرجه الامام أحمد بن حنبل والطبرانى عن أبى أمامة بلفظ « ما من رجل يلى امر عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فكه عدله أو أوبقه اثمه » ومن رجاله يزيد بن أبى ملك وثقة ابن حبان وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ والمسند ٥:٢٦٧ .
(٩٨) ٧٩ النازعات : مكية ٣٧ الى ٤٠ .
(٩٩) ١١ هود : مكية ١٠٥ : ١٠٧ .
(١٠٠) ٣٥ فاطر : من الاية ٣٦ .
(١٠١) ٢٣ المؤمنون : مكية ١٠٨ .
(١٠٢) ٣٥ فاطر : مكية ٣٧ .

لم يقبل منهم (٣٦ / ب) •يقول الله عز وجل :(يود المجرم لــو يفتــدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيــه ، وفصيلته التى تؤويه ، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه ، كلا ••) (١٠٣) •

ويقول : (لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به مــن عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ، ولهم عذاب أليم) (١٠٤) •

(واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامــت السمــوات والارض الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ) (١٠٥) وقد وصف الله نعيمهم مجملا فقال (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)(١٠٦) ، وقال : (وفيهــا ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) (١٠٧) ، وقال : (لهم فيها ما يشاؤون) (١٠٨) ، وقال : (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً ، ودانيــة عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلا) (١٠٩) ، وقال : (حور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون) (١١٠) ، وقال : (ويطــوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) (١١١) ،وقال : (إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (١١٢) ، وقال : (ولا يمسنــا

---

(١٠٣) ٧٠ المعارج : مكية ١١:١٥ •
(١٠٤) ٥ المــائدة : مدنية ٣٦ •
(١٠٥) مجذوذ : مقطوع ، والاية من سورة هود ١٠٨ •
(١٠٦) ٥٠ ق : مكية ٣٥ •
(١٠٧) ٤٣ الزخرف : مكية ٧١ •
(١٠٨) ١٦ النحل : مكية ٣١ •
(١٠٩) ٧٦ الانسان : مدنية ١٤ •
(١١٠) ٥٦ الواقعة : مكية ٢٢ الى ٢٤ •
(١١١) ٥٢ الطور : مكية ٢٤ •
(١١٢) ١٥ الحجر : مكية ٤٧ ، ٤٨ •

فيها لغوب) (١١٣) ، وقال : (يا عباد (١١٤) لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) (١١٥) .

وقال الرسول ﷺ « قال الله : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (١١٦) . فى آى وآثار مثلها كثيرة . ثم قسم الله الأئمة قسمين : فقال فى بعضهم : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) (١١٧) وقال فى آخرين : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (١١٨) .

فلينظر الملك المتدين أى الإمامين هو ؟ ومن أى الفريقين يعد نفسه ؟ فقد قال النبى ﷺ « حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا » (١١٩) ، وقال : « الكيس من دان نفسه وعمل بما يرضى الله » (١٢٠) ، فان الله جل وعز — أبى أن يجعل العاصين له كالمطيعين ، والمصلحين كالمفسدين عقلا وخبرا ،

---

(١١٣) ٣٥ فاطر : مكية ٣٥ .
(١١٤) فى الاصل : يا عبادى .
(١١٥) ٤٣ الزخرف : مكية ٦٨ .
(١١٦) متفق عليه بين أئمة الحديث عن أبى هريرة : رياض الصالحين ٦٦٧ .
(١١٧) ٢٨ القصص : مكية ٤١ ، ٤٢ .
(١١٨) ٣٢ السجدة : مكية ٢٤ .
(١١٩) من أقوال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر الجامع الصحيح للترمذى ج٤ ص ٦٣٨ ، المصباح ج١ ص ٣٥٣ ، والحلية ج١ : ٥٢ ، صفة الصفوة ج١ : ١٠٩ ، سيرة عمر ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
(١٢٠) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن شداد بن أوس رضى الله عنه بلفظ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع هواها وتمنى على الله عز وجل » ج٤ : ٢٥١ .

فقال فى محكم كتابه : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) [١٢١]، وقال : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) [١٢٢] ، ثم قال : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) [١٢٣] ، وقال : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) [١٢٤] ، (٢٧ / أ) فليأتمر عبد بأمر الله فى تدبر هذه الآيات ،و ليصدق بها إذا عرف حقها ، ولا يقول العبد:إنى أصر على المعاصى وأتمنى على الله الأمانى ، وأرجو رحمة الله فإن الله جعل رحمته للمؤمنين المحسنين ،فقال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) [١٢٥] ، وأعد مغفرته للأوابين التوابين فقال حاكيا عن ملائكته وحملة عرشه (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) [١٢٦] ، وقال (فإنه كان للأوابين غفورا) (١٢٧) وقال : (وهو الذى يقبل التوبة عنعباده ويعفوا عن السيئات) [١٢٨] ، وقال . (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومنيغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم

---

(١٢١) ٤٥ الجاثية : الاية ٢١ .
(١٢٢) ٣٨ ص : مكية ٢٨ .
(١٢٣) ٣٨ ص : مكية ٢٩ .
(١٢٤) ٦٨ القلم : مكية ٣٥ ، ٣٦
(١٢٥) ٧ الاعراف : مكية ٥٦ .
(١٢٦) ٤٠ غافر : مكية ٧ .
(١٢٧) ١٧ الاسراء : مكية ٢٥ .
(١٢٨) ٤٢ الشورى : مدنية ٢٥

مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار) [١٢٩] ، وقال : (يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [١٣٠] ، ثم قال : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) [١٣١] .

أو يقول العبد أرجو رحمة مع المعصية ، والمغفرة بلا توبة ، قال الله جل وعز : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) [١٣٢] .

وقد شاهد الملك خلاف ما أمله فى سياسته ، وصده فى معاملته ممن تحت يده ، فإن الرجاء من توابع الإحسان ، والخوف من توابع الإساءة ، فمن أساء فى فعله كان الخوف أولى به من الرجاء ، فلا يطلبن شيئا من غير وجهه فيحرمه ، ولا يضعنه فى غير موضعه فيضيع ، وليعلم الملك المتدين أنه لابد له من المصير الى حالة يتمنى أن لو جاز له التمنى أن يعتاض [١٣٣] يوما واحدا يعمل فيه بطاعة الله بجميع الدنيا ، ولو كانت بحذافيرها ، وعسى أن يكون قريبا ، فليغتنم هبة الله الجليلة فى أيامه فانما هى رأس ماله ، وطلب الربح مع ضياع رأس المال متعذر عسير .

فكفى بما قدمناه من هذه المواعظ موعظة لمتعظ ، وتذكرة لمن وفقه الله لطاعته وعصمه من معصيته .

---

(١٢٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٥ ، ١٣٦ .
(١٣٠) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٣ .
(١٣١) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٤ .
(١٣٢) ٢٨ القصص : مكية ٨٣ .
(١٣٣) يعتاض : يستبدل .

الباب الخـــامس

فى سياســة النفس ورياضتهـــا

الملوك وتقوى اللــــــه :

ومما يجب أن يقدم فى هذا الباب ، أنا لم نقصد فى كتابنا هذا ما يعده كثير منهم أدباء فى الجلسة،واللبسة ، والركبة (٢٧/ب) والطعمة ،والانيات التى يتجملون بها فيما بينهم ، والزى الذى يتزيون به ، لانهم بذلك أعلـــم منا ، وأنهم قد أخذوا منها فوق ما يمكننا وصفه وشرحه ، ثم قد ألـــف لهم أتباعهم وأبناء الدنيا منهم كتبا كثيرة قديمة وحديثة فى دونها كفاية فى هذه الأبواب ، ومندوحة عما يتكلفه متكلف من أهل هذا الزمان ، ولعل كثيرا مما فعلوه من ذلك ليست فيه فائدة فى باب السياسة ، ولا جدوى على الراعــى والرعية .

ولكنا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتابا دينيا : نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم ، ونظام ممالكهم وأحوالهم ، بكتاب الله رب العالمين ، وسنــن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والملوك الأولين ، ونحذرهم سوء المصرع ولؤم الميته وقبح الأحدوثة ، واستحقاق العقوبة عاجلا وآجلا .

فنقول : ان أول ما يجب على الملك المعنى بأمور رعيته ، المهتم بحماية حوزته ، وعمارة بيضته ، تقوى الله ، فإنها أفضل ما تواصى به الفضـــلاء والعلماء ، وانها عصمة لمن أعتصم بها ، وحرز لمن تمسك بها ، وملجأ لمن لجأ اليها ، وامن لمن استشعرها ، وجمال لمن لبسها ، وعز لمن اعتز بها ، ومهابة

لمن استقبلها وسلاح لمن قاتل بها ، وذخر لمن اكتسبها ، وفضيلة لمن اقتناها وهى مع ذلك وصيته جل وعز الى خلقه ، وأمره الملقى اليهم ، ووصية الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، والفضلاء من الملوك الماضين ، والحكماء المتقدمين ، من أهل كل جيل وملة ودين ونحلة ، وقد تكفل الله لمتقيه بالفرج والمخرج ، واليسر والنصر والرزق فقال : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) [١] ، وقال : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [٢] ، وقال : (واعلموا أن الله مع المتقين) [٣] ، وقال : (ثم ننجى الذين اتقوا) [٤] ، وقال : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) [٥]

وقد قال بعض شعراء الجاهلية فى جاهليته وكفره :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى   إذا عرف الداء الذى هو قاتله [٦]

وقال الأعشى : [٧]

---

(١) ٦٥ الطلاق : مدنية ٣٠٢ وفى الاصل « لم » بدلا من «لا» .
(٢) ١٦ النحل : مدنية ١٢٨ .
(٣) ٢ البقرة : مدنية ١٩٤ .
(٤) ١٩ مريم : مكية ٧٢ .
(٥) ٦٥ الطلاق : مدنية ٥٠٤ .
(٦) ورد فى حماسة الظرفاء للزوزونى ت ٤٣١ جـ١ ص١٨٤ دون أن ينسبه والحيوان جـ٦ ص ٥٠٧ ، وورد البيت فى حلية الاولياء ١٥٢:٢ وان الحسن البصرى كان يتمثل بهذا البيت فى أول النهار وفى آخر النهار يتمثل بالبيت التالى :

وما الدنيا بباقية لحى   ولا حى على الدنيا بباق

(٧) هو ميمون بن قيس بن جندل وكنيته ابو بصير ، ويعرف باعشى قيس ، والاعشى الكبير ، ولقب بذلك لضعف بصره ، وادرك الاسلام ولم يسلم، مات حوالى سنة ٧ هـ . الشعر والشعراء ١٢٣:١ ، والاغانى ١٠٨:٩ .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

(٢٨ / أ)

نـــدمت علـــى أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد بما كان أرصدا (٨)

وقال زهير بن أبى سلمى ، وهو جاهلى : (٩)

رأيت التقى والبر خير تجـــارة وذخرا إذا ما المرء أصبح ناقـــلا

وما هـــو الا ما ابتنى فى حياته اذا قدموا يوما عليه الجنـــادلا

وقال آخـــر :

ألا كل من يتق الله مصون وان الذى نال التقى لسعيد

وقال آخـــر :

ولست أرى السعادة جمـــع مـــال ولكـــن التقـــى هـــو السعيد

وتقوى اللـــه خير الـــزاد ذخـــرا وعند اللـــه للاتقـــى مزيـــد

ومـــا لابـــد أن يأتـــى قريـــب ولكن الذى يمضى بعيد (١٠)

(٨) أورد الاصبهانى فى الحلية (جـ٥ ص ٣١٨) عن عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربرى على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عظنى يا سـابق واوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ ان شاء الله ، قال هات فأنشده :

اذا أنت لم ترحـــل بزاد من التـــقى ووافيت بعد الموت من قـــد تذودا
ندمت عـــلى أن لا تـــكون شـــركته وارصدت قبل الموت ما كان أرصدا

كما أورده ابن الجوزى : فى سيرة عمر بن بن عبد العزيز ص ١٤٥ .

(٩) زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى، حكيم شعراء الجاهلية، توفى سنة ١٣ قبل الهجره . الاغانى ١٠:٢٨٨ ، خزانة الادب تحقيق عبد السـلام هارون جـ٢ : ٣٣٢ .

(١٠) قاله الحطيئة تكملة ديوانه ص ٢٥٢ ، والاغانى ٢:١٧٥ فى وصية عبيد الله بن شداد لابنه ، والامالى ٢:٣٣٥ ، ولبـاب الاداب ٢٢ ، عين الادب والسياسة ٢٦٨ ، وبهجة المجالس ١:١٩٦ ، البيت الاول وينسبه الى الحطيئة

قال (١١) افلاطون : التقى رأس النجاح ، وهو مفتاح الفضائل (١٢) .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر : تــأدب بأهــل التقى المشهوريــن بالزهــد (١٣) .

وقديما ما قيل : الولد بوالده ، والمتؤدب بمؤدبه ، والجند بقائدهم ، والناسك بالدين ، والعامة بالملوك ، والملوك بالتقوى ، والعقل بالتثبيت (١٤)

وقد قال أردشير فى عهده : سعادة الرعية فى طاعــة الملوك ، وسعادة الملوك فى طاعة الله المالــك (١٥) .

فى معنى التقــوى :

وقرأنا لحكيم من ملوك الهند فى عهد له إلى ابنه : واعلم أنك لســت بشىء الا بالله ، وانه ليس لك شىء الا ما نلت من رضوان الله ، وانك بان نتقه فى حقه عليك يقك شرا من ذلك ، وان تتق فيه غيره لا يدفع عن نفســك ولا يدفع عنك دافــع .

ومعنى التقوى التى ذكرها الله ، وأثنى على عامليها ، هو إيثار طاعة الله ، والانتهاء عن معصيته فالتقى هو المطيع ، والمطيع هو المؤمن ، والمؤمن هو المسلم ، لأن هذه الأسماء كلها مدائح الله جل وعز لمن استحقها بالأفعال الصالحة ، والمساعى الفاضلة ويشتمل على أفعال كثيرة ، وهى تنقسم إلى **خمسة أقســام :**

أولها : معرفة الله ــجل وعزــ حق معرفة ، واحدا قديما ، احدا فردا حكيما جوادا ، رحيما برا ، صادقا قادرا ، عليما ، حتى لا يشك عارفه ثــم

---

(١١) قال غير موجودة بالاصل .

(١٢) نزهة الارواح ١:١٧٢ .

(١٣) وصية ارسطاطاليس للاسكندر ص ٣٩ مع تغيير طفيف .

(١٤) النص فى كليلة ودمنة ١٧٠ ، وعين الادب والسياسة ١٥٦ .

(١٥) النص فى التاج لاخلاق الملوك ص ١١ .

يسميه بأسمائه الحسنى ، ويصفه بصفاته العليا ، فلا يضيف إليها شيئا مما نفاه عن نفسه ، ولا ينفى عنه شيئا من خلقه ، ولا يجعل معه فى خلقه (٢٨ / ب) شريكا ، ولا له منهم نديدا ولا شبيها بوجه من الوجوه أو معنى من المعانى .

ويعلم أنه بر بعبادة ، رحيم بخلقه ، لا يكلفهم الا الوسع ، ولايريد بهم إلا اليسير ، ولا يعذبهم إلا بذنب ، ولا يقضى عليهم إلا بالحق ، ولا يقول ولا يرضى لهم إلا الصدق ، وأن قضاءه حق ، وقدره حتم ، وأن من رحمته بخلقه ، وحسن نظره لهم ، أنه بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ، وأنزل على ما أنزل منهم الكتاب المبين ، الذى هداهم به الى دار النعيم ، وحذرهم به العذاب الأليم .

وثانيهما : [١٦] (ثم) الايمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وضمان أداء فرائضه وما جاء النبى به ﷺ ، والبعث والنشور ، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، وكل ما يجب على المؤمنين اعتقاده ، فإن هذا أساس الدين ، وأصل أفعال المؤمنين ، وإن الله لا يقبل عملا مع الجهل به والشك فيه ، والخطأ فى صفاته وأفعاله ، وإضافة السوء إليه وإشراكه فيه ، وإن طال وكثر .

وثالثها : (ثم) القيام بأداء الفرائض التى هى : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن

(١٦) ثانيها ، ثالثها ، ورابعها ، ساقطة من الاصل .

المنكر على شرائطها ، وأوقاتها ، وصورها ، وتمامها وعند امكانها ، واستعادة القدرة عليها ، وارتفاع المعاذير دونها •

واجتناب الكبائر التى أوعد الله عليها بنار الأبد ، وأوجب فيها التنكيل والحد مثل الزنا ، والقذف ، وأكل الربا ، والرشا [١٧] ، وأكل أموال اليتامى ظلما ، والقتل ، والظلم وشرب الخمور ، ولعب الميسر ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن •

ورابعها : (ثم) اقامة حدود الله ، وامضاء أحكامه فى عباده ، والقيام بالقسط فى بلاده ، والحكم بالحق فى دمائهم ، وأموالهم ، وأشعارهم ، وأبشارهم ، وفروجهم ، وأعراضهم ، وتجنب ظلمهم ، والتعدى عليهم ، والميل بينهم ، ثم الاقتداء برسول الله ﷺ فى سننه الظاهرة ، وسيرته المستفيضة النافعة التى جعلها الله شعارا للأمة ، وأمارات للملة مالم يوجد فرضها فى كتاب الله نصا ، فإن كثيرا منها فرائض ، وكثيرا منها مواجب وبعضها أكد من بعض ، والله قد أمر بأخذها عن الرسول وتلقيها عنه بالقبول بقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [١٨] ، وقوله : (وأطيعوا الله والرسول) [١٩] •

وخامسها [٢٠] : (ثم) التأدب (٢٩ / أ) بآداب الله والأقتداء بنبيه ﷺ فيها ، فإن الله لم يدع شيئا فيه صلاح خلقه ، فى محياهم ومماتهم ،

---

(١٧) الرشا : ويعنى الرشوة .
(١٨) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ .
(١٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٢ .
(٢٠) وخامسها : (ساقطة من الاصل) .

وجمال معايشهم ومعادهم ، مما ينالون به فضيلة أو يتنزهون به عن رذيلة الاهداهم اليه ، وحثهم عليه ، وبصرهم به فى كتابه ، وسنن الانبياء من خلقه وليس شىء مما يقرب [٢١] ويزلف لديه فى الاخرة الا وهو فضيلة لفاعله وشرف وزينة ، ومدحة فى الدنيا ، ولا شىء مما نهى عنه وزهد فيه فى الدنيا إلا وهو رذيلة ودناءة فيهما • فإن أسباب الدنيا موصولة بأسباب الآخرة ، وفى صلاح إحداهما صلاح الأخرى ، وفى فسادها فسادها •

الملوك وإقامة الديـــن :

وليس إقامة أمر الدين مما يجب على الملوك دون غيرهم ، إلا أن الملوك أولى به ، وأحق باستعماله ، والأخذ بآدابه لخصال كثيرة منها : ما ذكرناه من أن نعم الله ــ عز ذكره ــ عليهم أظهر ، وأياديه عندهم أكثر ، فالاولى بهم أن يكونوا لله أشكر ، وأطوع ، والى أوامره ونواهيه أسرع •

ومنها ، أن مقامهم الذى أقامهم الله فيه مقام الذاب عن حوزة الدين والقائم بأمور المسلمين ، فاذا ضيع الملك شيئا مما هو مفوض اليه ، ومعصوب به ، ولم يعتد به غيره من رعيته ضاع ، وان ضيعه كثير من الرعية وقام به هو لم يضـــع •

ومنها ، ما قدمناه من أن فعل الملك أفعال ، وقوله أقوال ، لأنه إذا فعل شيئا أقتدى به فى فعله ، وائتمر لأمره ، فتصير أقواله سننا وأفعاله سيرا تبقى على مر الزمان وتتابع الأيام ، فإن فعل حسنا جرى له أجـــره ، وإن فعل سيئا جرى عليه وزره فقد روى النبى ﷺ أنه قال : « من سن سنـــة

---

(٢١) فى الاصـــل : تقـــرب

حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »[٢٢] الحديث •

ومنها ، إذا عرف بالتقوى والدين أحبته قلوب الرعية ، واتفقت عليه كلمة الخاصة والعامة ، ورغب أهل الدين والمعنيون به فى مجاورته وصحبته، ووثقوا منه بالعدل ، فإن رأوا منه محبوبا شكروه عليه ، وإن رأوا مكروها عذروه فيه ، إذا كان فعل من ذلك بما أوجبه الدين وأمر به رب العالمين •

ومنها ، أنه يزيده فى قلوب الأعداء مهابه ، لأن للدين والصلاح والهدى والعفاف جلالة فى النفوس ، ومهابة فى القلوب والعيون ، وذلك مما يعرف مشاهدة ، ويعلم معاينة •

الملوك والفضائل الواجبة :

(٢٩ / ب)

وهذه الدلائل كلها تبين عما ذكرنا ، وتوضح ما قدمنا مع ما ذكرنا أن ذلك من رأى الملوك الفضلاء ، والأئمة العقلاء ، والأمراء الأمنـــاء ، ففيهم قدورة ، وفى أقاويلهم ومذاهبهم حجة ، لمن أراد الأقتداء ومال إلى الاحتجاج فيما يراه ويختاره •

ثم مما يجب على الملك أن يقتنيه من الفضائل والمآثر والمناقب والمفاخر التى لا يستغنى عنها أو يحتاج إليها فى الديانة والسياسة الحكيمة المليـــة يكسب بها الحمد ، ويستحق بها المدح ، ويستأهل[٢٣] بها الفضل •

(٢٢) رواه مسلم عن جرير ... م الحديث ١٠١٧ جـ٤ ص ٢٠٥٩ كتاب العلم ، وسنن ابن ماجة الحديث ٢٠٣ جـ١: ٧٤ والعجلونى : كشف الخفاء ٢: ٣٥٣ .

(٢٣) « فى الاصل يستأصل » .

فى فضل العلــم :

العلم ، فإن العلم من أجل الفضائل شأنا ، وأعلاها مرتبة ، وأسناها منزلة ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد رضيه الله وصفا لنفسه ، وجعله فى أول ممادحه التى أمتدح بها إلى خلقه . فقال : (إن الله بكل شىء عليم)[٢٤] ، وقال : (عالم الغيــب والشهــادة) [٢٥] ، وقــال : (وكــان الله عليمــا حكيما) [٢٦] ، وقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلــم قائما بالقسط) [٢٧] ، وقال : (وما يعلم تأويلــه إلا الله والراسخــون فى العلم) [٢٨] ، وقال رسول الله ﷺ : « العلماء ورثة الانبياء » [٢٩] ،وقال: « يسير العلم خير من كثير العبادة »[٣٠] ، وقال:« إن الملائكة تضعأجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب »[٣١] ، وقال : « الناس رجلان : عالم ومتعلم

---

(٢٤) ٨ الانفال : مدنية ٧٥ و ٩ التوبة : مدنية ١١٥ و ٢٩ العنكبوت : مكية ٦٤ و ٥٨ المجادلة : مدنية ٧ .

(٢٥) ٩ التوبة : مدنية ٩٤، ١٠٥ ، ١٣ الرعد : مدنية ٩ ، ٣٢ السجدة ، مكية ٦ .

(٢٦) ٤ النساء : مدنية ١٧ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٤٨ الفتح : مدنية ٢٦ .

(٢٧) ٣ آل عمــران : مدنية ١٨ .

(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ٧ .

(٢٩) أخرجه أبو داود والترمذى عن ابى الدرداء فى حديثه (من سلك طريقا يطلب به علما » تيسير الوصول ١٥٢:٣ كما أخرجه ابن النجار عن انس بنص « العلماء ورثة الانبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحــر اذا ماتوا الى يوم القيامة » ، السيوطى : الجامع الصغير ٢١٠ ورمز اليه بالضعف.

(٣٠) رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه خارجة بن مصعب ، وهو ضعيف جدا . مجمع الزوائد ١٢١:١ . وقال البيهقى ورويناه صحيحا من قول مطــرف ابن عبد الله بن الشخير . الترغيب والترهيب للمنذرى ٥١:١ .

(٣١) رواه ابن ماجة عن أبى الدرداء وسط حديث « من سلك طــريقا يلتمس فيه علما ... » سنن ابن ماجة ٨١:١ كما رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى . الترغيب والترهيب ٥٣:١ .

وما سوى ذلك همج لا خير فيه » [٣٢] ، وقال الامام الفاضل على رضى الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن[٣٣] ، وقال رحمة الله عليه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال[٣٤] ، وقال : مات خزان المال، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة [٣٥] . وقال : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع تابع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور الحكمة ، ولم يلجوا إلى ركن وثيق [٣٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « ما عبد الله بمثل الفقه فى الدين »[٣٧] .

وروى عن بزرجمهر بن التحنكار حكيم العجم : حسبك من جلالة العلم أن كلا يدعيه ، وإن لم يكن من أهله ، وحسبك من خساسة الجهل أن كلا ينتفى منه وإن كان من أهله .

وقال حكيم من حكماء الفلاسفة : العمى خير من الجهل فإن أصعب ما يخاف من العمى التردى فى هوه ، وأهون ما يخاف من الجهل التردى (٣٠ / أ) فى هوة .

قالوا : ولما أراد الإسكندر الخروج إلى اقاصى الأرض . قال لأرسطاطاليس : أخرج معى ، قال : قد نحل جسمى وضعفت عن الحركة فلا تزعجنى [٣٨] ، قال : فأوصنى بشىء يرفع قدرى ويحببنى الى رعيتى

---

(٣٢) اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبر والاوسط وفى سند الكبير الربيع بن بدر والاخر نهشل بن سعيد ، وهما كذابان . مجمع الزوائد ١٢٢:١ .

(٣٣) نهج البلاغة ٢٠٢:٢ ، قوانين الوزارة للماوردى ١٦٢ ، والبيان والتبين ٧٧:٢ ومجمع الامثال ١١٧:٢ ، تذكرة ابن حمدون ٧ .

(٣٤) نهج البلاغة ٢٢٥:٢ ، وعبن الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٥) نهج البلاغة ٢٢٥:٢ ، وعين الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٦) نهج البلاغة ٢٢٥:٢ ، عين الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٧) ضعيف ، اخرجه البيهقى عن ابن عمر . الجامع الصغر ٢٨٣ .

(٣٨) لباب الاداب تحقيق أحمد شاكر ص ٥٢ .

قال : تعلم العلم ، وبثه ، واستنبط منه ما يحلو بقلوب الرعية ، تنقـد لك الرعية من غير حرب •

وروى الواقدى قال : قيل لأردشير ما العلم والشرف فى الأقدار ؟ قال : علم تستنبطه فتعلمه من لا يعلم • قال : وأوصى بزرجمهر ابنه فقال: يا بنى عليك باستنباط العلم ، وبثه ، تجد به العز فى العاجلة ، والشرف فى الآجلة ولا تكونن كالبهائم : إن جاعت رعت ، وإن شبعت نامت •

وقال عبد الله بن المعتز : [٣٩] ما مات من أحيا علما ، ولا أفتقر من ملك فهما •

ثم لم يتفاضل الناس فى شىء من الصناعات والسياسات والمراتب إلا بالعمل والعقل الذى هو أم العلم وأصله ، وإن كان لا ينتفع بالعقل إلا اذا كان مربى ومقوى بالعلم المستفاد • هذا مع جلالة موقع العلماء من القلوب ، وفخامة أسمائهم فى الصدور ، ثم إنه الشىء الذى لا يستغنى عنه فى ديانة ولا سياسة ولا صناعة • فالملك حقيق بأن لا يرغب عن هذه الفضيلة الجليلة ، ولا يبخس لحظة منها ، ولا يدع نفسه عن سمتها غفلا ، ولا من حليها عطلا ، مع ما ذكرناه من حاجته الضرورية اليه •

---

(٣٩) هو ابو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل العباس، شاعر مبدع ، تولى الخلافة يوما وليلة ، ومات خنقا ٢٩٦هـ نزهـة الالباء فى طبقات الادباء ١٧٦،١٧٧ ، وفيات الاعيان ٢:٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٣:١٦٥— ١٦٧ ، تاريخ بغداد ١٠:٩٥ — ١٠١ ، مفتاح دار السعادة ١:١٩٩ ، ٢٠٠ ، مرآة الجنان ٢:٢٢٥ — ٢٢٧ ، العبر ٢:١٠٤ ، ١٠٥ ، سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٢ ، ٤٣ ، شذرات الذهب ٢:٢٢١ — ٢٢٤ •

ثم إن العلم المطلق جنس تحته أنواع كثيرة ، وصور مختلفة متباينة متفاضلة فى نفعها وجلالتها ، وعلى حسب ذلك يتفاضل بها عالموها ، فإنه ليس من صناعة صغر مقدارها أم جل ، وكثر نفعها أم قل ، إلا وفيها علم يعلمه أهلها ، وليس فى القوة البشرية إدراك كل الفنون ، ولا إيتاء كل العلوم وإذا لم يكن فى كل ذلك مطمع فالأولى بالعاقل أن يختار منها آجلها قدرا وأعظمها خطرا ، وأعمها نفعا فى الدين والدنيا وليس فن من فنون العلم أولى بهذه الصفة من علم الدين الذى يتقرب به إلى الله جل ذكره ، ويبتغى به الآخرة ، ويقدم إليها به الذخر ، ولا أشد مشاكلة [٤٠] للملوك ومعونة لهم على سياسة المملكة وحماية الديانة من العلوم الدينية التى يرجع بجملتها إلى خمسة أقسام :

أقسام العلوم الدينية :

أولها ، علم (٣٠/ب) التوحيد الذى هو معرفة الله — جل ذكره — وعلوم الألهية التى قدمنا ذكرها .

وثانيها ، ثم رواية آثار رسول الله ﷺ ، ونقل أخباره التى هى أصول الأحكام ومبانى الحلال والحرام ، وفيها سنن الرسول ﷺ ، ومغازيه ، ومعرفة أصول الديانة ومخارجها وإثباتها ، وبدء كونها ، وسنن خلفائها ، وسياسة أمرائها ، وأقاويل علمائها .

وثالثها ثم علم الفقه الذى هو معرفة الملة وسنن الشريعة .

ورابعها : ثم علم المواعظ التى تذكر بالآخرة وتبعث على اكتساب

---

(٤٠) مشاكلة : مماثلة .

الأجر وطلب الخير .

وخامسها : ثم علم اللغة الذى لا تستغنى عنه فرقة من هــذه الفرق[٤١] ولا أهل نحلة[٤٢] من النحل إذا أراد أن يكون كاملا فى صناعته ، وفاضلا فى ديانته ومذهبه ومقالته ، إذبها يعرف نظم كلام الله وآثار رسوله ، ويوقف على مواقع خطابه ، ومعانى كتابه ، فهذه جملة أقسام العلوم الدينية .

تقديم علم الديــن :

والترتيب فى العلم أن يبتدأ بتعليم اللغــة ، وتحفظها عند الحداثــة وعنفوان الشباب ، والشره ، وعند غلبة الحفظ ، وفراغ القلب عما يدفــع إليه الملك فى حال تملكه ، والاشتغال بسياسة مملكته ، ورعاية رعيته ثم إذا بلغ وعقل ولزمته حجة الله ابتدأ فى علم الدين الذى طريقه علم الكلام ،حتى يعلم من ذلك ما يجب عليه علمه ولا يسعه جهله ولا يجوز لعاقل غفلته ، إذ هو أولى العلوم بالتقديم أولا لأن الاصابة فيه إيمان وسعادة ، والخطأفيه كفر وشقاوة ، فالواجب على الإنسان أن يبادر بالشىء الذى يعظــم ضره ونفعــه .

ولعلة ثانية : وهى أنه أجل العلوم فى ذاته ، وأفضل الفنون فى ميزاته لانه ابحث عن الله ، وعن آياته . ومعلومه هو جل وتعالى ، وكل ماكان من العلوم أجل معلوما وأعلى وأفضل وأسنى ، كان العلم به أجل وأفضل ،ولا معلوم أجل ممن يبحث بهذا العلم ويستدل به عليه .

---

(٤١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٤٢) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (صاحب) .

وثالثة : أنه بحث عن الديانة ، وذب عن الملة التى بينا أنها أصل المملكة وأس العمارة ، وقطب السياسة ، وصلاح الدنيا والآخرة .

ورابعة[٤٣] : إن الملك يحتاج إليه ، ويستعين به فى المجالس الحافلة ، والعساكر الكثيفة الجامعة عند قتال أهل الملل المخالفة مرة ، وأهل البغى والعصيان (٣١/ أ) أخرى ، فيجب عليه أن يعرف هل يحل له قتالهم ، ويجوز له اغتيالهم ، لأنه إن ظفر بظلم وجور فقد خسر ، وإن غلب بهما فقد غلب ، وإن خصم بهما فقد خصم .

ثم يحتاج إلى محاجتهم ومناظرتهم ودعوتهم إلى الإيمان والطاعة ، وقد جرت السنة بتقديم الدعوة وإقامة الحجة عند القتال ، فإذا لم يكن عند الملك علم دينه ومذهبه كان مغلوبا محجوبا ، وربما صار حجج عدوه عليه تفريقا لجمعه ، وتشتيتا لجيشه ، وإفسادا لقلوب أوليائه عليه .

وهذه أحدى الحيل التى لم تزل الملوك يحتالون بها ، ويلتجئون اليها عند التقاء الجيش وموازة الفئتين ، وفى الخطب والرسائل المذكورة والمحافل المشورة ، فبالحجاج فرق على — رضى الله عنه — بين طلحة[٤٤] والزبير[٤٥] ، ثم بين الخوارج ، وبالحجاج من قبل استحل أبو بكر — رضى الله عنه — قتال

---

(٤٣) فى الاصل : وخامسة .

(٤٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى ، ويكنى أبا محمد ، صحابى ، شجاع ، وهو أحد العشره المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانيه السابقين الى الاسلام ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦هـ . طبقات ابن سعد ٣:٢١٤ ، والاستيعاب ٢:٧٦٤ ، وصفه الصفوه ١:٣٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٥:٢٠ .

(٤٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى القرشى ، ويكنى أبا عبد الله ، الصحابى الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه فى الاسلام ، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ . صفة الصفوة ١:٣٤٢ ، وأسد الغابة ٢:٢٤٩ ودول الاسلام ١: ٣٠ .

أهل الردة • وبالشبهة المخرجة فى صورة الحجة غلب معاوية[٤٦] عليا وفرق بين بصائر أصحابه ونيات أوليائه بصفين [٤٧] ، وكذلك ما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : واذا كتبت كتبك فاقرأ كتبك على العامة ، واذكر أحتجاجك عليهم من كتبك ، وأذع من كتبهم مالا[٤٨] يجب ستره عن العامة ، وحاجة الملوك إلى المعرفة بالحجاج أشهر من أن يحتاج معه إلى احتجاج واستشهاد واستدلال ، وقد يجوز أن يحضر الملك فى كل وقت من يسد مسده ويجوز أن لا يحضر فى كل وقت ، ولكن الملك فى نفسه إذا لم يكن عالما كان[٤٩] منقوصا غير موفور ، متخلفا غير مبرز •

ثم خامسة [٥٠] أن يتحرز به من حيل الموهين والمخرقين وأعداء الملك والدين من الزنادقة والملحدين ، الذين ذكرنا أن بغيتهم قصد الملوك ، وافسادهم ، واغتيالهم ، واصطيادهم ثم الاستعانة بهم على إفساد الرعية مرة ، وقصد الرعية وإفسادها على الملك ، وتفريق كلمتها ، وشق عصاها ، وارتفاع الخلاف بينهما أخرى ، وفى كل منهما هدم أركان الملة ، واستئصال الديانة والملكة • وفى أحكام علم الدين تحرز من هذا الفساد ، وتحصن من

---

(٤٦) هو معاوية « بن أبى سفيان » صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن مناف ، صحابى ، أسس الدولة الاموية فى الشام ، وكان سياسيا موصوفا بالدهاء والحلم ، مات سنة ٦٠هـ وعمره ٧٧ عاما . دول الاسلام ١:٤٥ ،وتاريخ الخلفاء ١٩٤ •

(٤٧) صفين تقع ما بين أعالى العراق وبلاد الشام ، جرت بها حربا بين على بن أبى طالب ومعاوية عام ٣٦هـ . وقعة صفين لنصر بن مزاحم تحقيق عبد السلام هارون ، المقدمة •

(٤٨) غير موجودة فى الاصل وبها يستقيم المعنى •

(٤٩) كان : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى دونها •

(٥٠) فى الأصل ثم سادسة •

هذا العارض المجتاح ومن أقبح الأشياء بالملك أن يقصده عدو من أعــداء دينه وملكه وهو هارب من حجه العالم الخاصى وسطوه الجاهل العامى ، فيصطاده (٣١/ب) اصطياد الوحش والطير حتى يخــرجه من دينـــه ، ويفسد عليه آخرته ، ويهدم به مملكته ، فيسلم له ذلك جهلا بأصل دينـــه وعجزا عن نصرة مذهبه •

وسادسه[٥١] إن علم الدين أصله وطريقه الاستدلال بالشاهد عــلى الغائب ، وبالمتفق عليه على المختلف فيه ، وجهة استخراج الرأى وهذا هو علم السياسة على الحقيقة ، وطريق النظر فى العواقب ، ومناظرة العمال والكتاب والوزراء • فهذه الوجوه كلها توجب أن يكون الملك أولى الناس بتقديم علم الدين على سائر فنون العلوم •

ثم إن أحب الازدياد من العمل والاستكثار منه طلبه واستفادة على الترتيب الذى ذكرناه والترتيل الذى نزلناه •

وقد قدمنا أن أولى الاشياء به تقديم رواية الآثار ، وعلم أخبـــار الرسول ﷺ ، وأهل القدوة من أصحابه ، والخلفاء الراشدين من بعـــده ، وأخبار السير والمغازى ، فان فى ذلك ما يؤكد الفن الأول ، والعلم الأجل ، لأنه يقف به على معرفة أصول الملة ، وبدئها ، وفضـــائل نبيهـــا ، وآياته ومعجزاته ، ومحاسن شريعته ، ودينه ، وملته ، وتفسير كتابه ومشكله ، ومعانى آثاره ، فلا يمكن لمزور تزوير حديث عليه ، ولا لأهــل ملة ادعاء فضيلة لمذهبهم ، ومنقبة للمتهم[٥٢] لا يكون عنـــده أحسن منها فى دينـــه

---

(٥١) فى الاصل : وسابعـــة .

(٥٢) غير واضحة فى الاصل .

وشريعته ، ولا سيرة حسنة للملوك الامم إلا وجد فى سير خلفائه مثله ، فلا يخدع من عرف سير الخلفاء ، وأخبار الوزراء وآثار الامراء الاسلاميين بأخبار الامم المتقدمين ، وآثار الملوك الماضين إلا أن يكون الإنسان ممن يؤثر الكذب على الصدق عمدا ، والمزور على المحقق قصدا ، ويميل من الرشاد الى الضلال عنادا وبهتنا . وهذا داء يعيى الطبيب داؤوه ، وجنون يوئس الحكماء علاجه .

ثم فى معرفة الأخبار وسماعها «أنس يربو على كل أنس وأدب يفوق كل أدب ، وسبب يبين الاخلاق المحمودة والمذمومة ، وعلم السياسات العادلة والجائرة ، واستفادة علم بمكايد الرجال وآداب الملوك وفنون المذاهب ومعرفة بالرجال ، واعتبار بالزمان وفقه فى الأحكام ، وعلم بالحلال والحرام .

ثم إن أراد الازدياد من العلم فعلم الفقه ، الذى هو علم الشرائع والأحكام ، فانه فرض على كل مسلم ، وجمال لكل أحد (٣٢/ أ) «ولا غنية بالملوك والائمة — خصوصا — عنه لانه لابد لهم من النظر فى مظالم الرعيه والبرية ، وسماع دعاويهم ، وبيناتهم[٥٣] ، وأيمانهم ، وشهادتهم والأمر بها ، وربما أمر الامير بالصلاة ، وكتب إليه بأحد الزكوات والصدقات ، ورفع إليه فى المناكح والتزاويج ، والبيوع ، والمواريث ، وسائر فنون الأحكام .

وربما رفع إليه فى شىء من قسمة المغنم والفىء ، ووضع أموال المملكة مواضعها ، فالملك أحق الناس باقتناء هذه الفضيلة لئلا يحل محل

(٥٣) هكذا فى الاصل ونرى أنها (بياناتهم) .

الجاهل المحتاج الى فقيه وقاض فى العلم الذى هو خاص به ، وعام لجميع رعيته ، وفيه قوام سياسته ، ولا يتكل على قاض ومفتى(٥٤) فى كل نازلة وحادثة . ثم لا يجوز أن يخلى نفسه من فضيلة يجد الى ادراكها سبيلا اعتمادا على كاف يكفيه ، ونائب ينوب عنه ، لانه ان فعل ذلك كان قد فاز بالفضيلة غيره ، وسبق الى المنقبة سواه ، وعلى أنه ان (٥٥) بلغ من الفقه مبلغا مرضيا أمكنه الاجتهاد والنظر لنفسه ، وطلب الحجج لها والتأويل لارائه ،فلا يعمل الا ما يجوز له فى التأويل ويتهيأ له بالحيل الفقهية الهرب من كثير من الحرام إلى الحلال،ومن الباطل إلى الحق ، فيكون له فيه حجة فى ديانته ، وزينة فى مملكته ، وازالة للتهم والريب عن نفسه ، ونجاة فى آخرته .

ثم علم المواعظ والتذكير : فقد بينا أن الملك من أحوج الناس اليه، وأحراهم بالنظر فيه ، للخلال التى ذكرناها آنفا ، وحكيناها عن غيرنا بدءا

ثم ليس شىءمن فنون العلم بعد الا وفيه مستمتع ظاهر ، وبه منتفع من الطب والحساب والهندسة والنجوم ، ولكن علم الدين أولى ، وأفضل وأرفع وأجل ، وأخص بالملك الفاضل والسائس الكامل لامتساس الحاجة اليه وتعويل الجماعة عليه ، ولان الملك قد يجد من يحسب له ، ويمسح(٥٦) ويتطبب له ، ويكتب ، ولا يجد من يعتقد عنه الصواب ويعبد عنه الرب ، ويرغب عنه فى الاخرة ، ويذب عنه فى الديانة ، وللخصال الاخر التى ذكرنا والعلل التى سطرنا .

---

(٥٤) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا الاصح : أو مفت .

(٥٥) أن : ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى دونها .

(٥٦) يمسح : من المساحة وأعمالها .

تحصيل العلوم الدينيـة :

ولا يمكن استفادة هذه العلوم إلا بمعونة أمرين :

أحدهما : مجالسة العلماء والحكماء من أهل كل طبقة .

والثانية : النظر فى كتب الديانة ، والعناية بتعلمها ودراستها .

فيجب على الملك الفاضل أن يستكثر (٣٢ / ب) من مجالسة العلماء والفقهاء من كل طبقة من هذه الطبقات ، ولا يخلى مجلسه فى أوقات فراغه من كتب ينظر فيها ، ويستأنس بها ، ويعلم أن الأنس بالعلماء إذا حضروا مجلسه ليس بأقل من الأنس بالمطرب والمغنى والمسخرة والملهى ، بل ذلك أوقر ، وأفضل ، وأحسن ، وأنبل ، وأزين ، وأجمل ، على ما فيه من اكتساب الأجر ، وجميل الذخر ، وحسن الأحدوثة على مر الزمان .

ومن تألف الخاصة ، والتحبب إلى العامة ، واستمالة العلماء الذيـن هم أشرف طبقات الرعية مرتبة ، وأرفعهم درجة

ولقد قرأنا « لسابترم » ملك الهنـد فى عهد له إلى أبنه : « فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فليكن لذتك فى محادثة العلماء ، ودراسة كتبهم ، فإنـه ليس سرورك بالشهوات ببالغ منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك (مخاطرتك فيه بالغة) [٥٧] غير أن ذلك يجمع الى عاجل الغى وخامة [٥٨] العاقبة » .

وفى منشورات أفلاطون : اعرف الله وحقه ، وأدم عنايتك بالتعلم ، والأدب الصالح أكثر من عنايتك بغذائك يوما بيوم [٥٩] ، وأعلم أن التوانى فى العناية بالخيرات شر كثير .

---

(٥٧) غير واضحة فى الاصل .

(٥٨) وخامة العاقبة : سوء العاقبة .

(٥٩) نزهـة الارواح ١٨٠:١ وهـو مما املاه افـلاطون على تلميـذه ارسطاطاليس .

وفى حكم الأولين : جالس الكبراء وسائل العلماء فإن مجالستهم غنيمة وصحبتهم سليمة ، ومؤنتهم حقيقة ، ومشاهدتهم زين [٦٠] .

وقال عمر بن الخطاب : لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، واستشر فى أمرك الذين يخافون الله [٦١] .

وقال الحكيم للاسكندر ، واعلم أن العلم زين الملوك ، وفيما كتب إليه قد وجب عليك حق الحكمة ، فكافىء [٦٢] من رغبك فيها بإفشائها ، وأجر على المعلمين والمتعلمين ، وصير من نال المرتبة فيها من خاصتك ، وأعلم أن سيما الحكمة أكرم السيما[٦٣] وحديثها أهنأ الحديث ، والبحث عنها أفضل الفوائد ، لا تغفل ذلك فإنك لا تعتاض [٦٤] منها ، ولا تنال من غير أهلها ماينال منها .

وقال عبد الله بن المعتز : علم الإنسان ولده التجلد [٦٥] ، وقال : الجاهل صغير وإن كان شيخا ، والعالم كبير وإن كان حدثا .

ومكتوب فى أميرنامة [٦٦] صحبة العلماء أزين بالملوك من شريف الباس وبهى الحلى وهم منهم أعظم غنى من عتيد [٦٧] المال وعزيز الجند ، وفيه : كل آمنا من غش العلماء ، فان العالم قد عرف عاقبة الغش،وأوجب

(٦٠) ورد النص فى المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ٨ .
(٦١) حلية الاولياء ١:٥٥ .
(٦٢) كافىء : جاز .
(٦٣) يبدو لنا أنه يعنى (السمات) الخصائص .
(٦٤) لا تعتاض : لا تستبدل .
(٦٥) التمثل والمحاضرة ص ١٦٦ وفيه : علم الرجل ولده المخلد
(٦٦) كلمة فارسية تعنى رسالة الامير .
(٦٧) عتيد : كثير ووفير .

على نفسه اجتنابه ، ثم فى تمكن العلماء وأهل الدين من مجلس السلطان قطعا لأطماع الغواة من أهل الأهواء الفاسدة ، (٣٣ / أ) والبدع المهلكه التى ذكرنا أنها إحدى أسباب فساد الديانة ، والمملكة ، وتداعى أركان الملة فيجب على الملك الفاضل ، والسائس العاقل ، ان لا يغفل عن هذه الخلة ويستبدل بالطبقة الفاسدة من المخانيث والمغنيين وأشباههم هذه الطبقة ، فإن الملك الفاضل ، والسائس العاقل أن[٦٨] لا يغفل أحد من أن يدنس عرضه ، وملكه ، وعقله بالقواد ، وذكر عورات الناس ، والتواجد على الغلمان ، والنسوان والعشق والمعشوق ، فإن هذا كله سخف وركاكة يجب على البعيد الهمة أن يترفع عنها ويربأ بهمته عنها ، ولا سيما ما أحدث شعراء هذا الزمان : فإنهم يودعون أشعارهم الفحش والكفر ، ويدسون فيها من مذاهبهم الفاسدة ، ويغرون فيها بطلب اللذات واتباع الشهوات على سبيل الأمن والطمأنينة ، والجسارة والجرأة ، والاستخفاف بالدين وشرائعه ، والملة ووظائفها ، فإن ذلك كله مضر بأصل الاعتقاد وأمر الديانة ، ثم مجالسة أمثالهم من الناس ، والاستكثار من أشباههم من الأنذال [٦٩] قصور همة ، وسوء عادة وتشبه بهم . ولم يزل العلماء والحكماء وأهل الدين يتحاذرون مجالستهم ، وينادون بمخالفتهم ، ويتواصون بمجالسة أشراف الناس وجلتهم ، ويشبهون [٧٠] القرين بالقرين ، ويستدلون بالخدين على الخدين [٧١] ، وقد قال الله — جل وعز — لرسوله :(واذا رأيت الذين يخوضون

---

(٦٨) هكذا بالاصل ، والمعنى يستقيم بدونها .

(٦٩) الانذال جمع نذل وهو الخسيس المحتقر ، لسان العرب المحيط جـ ٣ : ٦١٣ .

(٧٠) فى الأصل : يشتهون .

(٧١) الخدين : الصديق فى السر

فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) [٧٢] ، وقال : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) [٧٣] ، وقال : (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) [٧٤] .

ولما أراد الله ذم الدنيا والتزهيد فيها وصفها بأنها (لعب ولهو) [٧٥] ليرغب عنها العقلاء ، ويزهد فيها الفضلاء ، فقال : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) [٧٦] ونفى عن نفسه اللعب واللهو بقوله — عز وجل : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) [٧٧] ، وقال أردشير فى عهده : بما أخبر ، أن اللعب واللهو ليسا من أخلاق الملوك ، وأنهما مضران بأسباب الملكة مؤذنان بخرابها ، مؤديان إلى تداعيها .

« وأعلموا أن منكم من يستريح إلى اللهو والدعة ثم يديم من ذلك (٣٣ / ب) ما يورثه خلقا وعادة فيكون ذلك لقاح جد لا لهو فيه ، ونصب لا خفض فيه مع الهجنة فى الرأى والفضيحة فى الذكر » [٧٨] وقال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يخال » [٧٩] .

---

(٧٢) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .
(٧٣) ٦ الانعام : مكية ٧٠ .
(٧٤) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .
(٧٥) ٦ الانعام : مكية ٣٢ .
(٧٦) ٤٧ محمد : مدنية ٣٦ و ٥٧ الحديد : مدنية ٢٠ .
(٧٧) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٥ .
(٧٨) عهد أردشير تحقيق احسان عباس : ٦٥،٦٦ .
(٧٩) رواه ابو داود والترمذى وحسنه ، والبيهقى والقضاعى عن أبى هريرة رفعه ، وتساهل ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ، ومن ثم خطأه الزركشى وتبعه فى الدرر ، وقال الحافظ فى اللآلىء ما قال الترمذى يعنى أن الحديث حسن . كشف الخفاء ٢٨١:٢ ، واخرج الحديث الحاكم فى مستدركه ١٧١:٤ .

وقال : « المرء مع من أحب »[٨٠] •

قالوا : وكان أمير المؤمنين — على رضى الله عنه — يقول : لا تؤاخ المرء المسلم الماجن ولا الأحمق ولا الكذاب ، فأما الماجن فيزين لك فعله ، ويود أنك مثله ، ويحسن لك أسوأ خصاله ، ولا يعينك فى أمر معادك ، فمقارنتك اياه خب[٨١] وقسوة ، ومدخله اليك ومخرجه من عندك شين وعار عليك وأما الاحمق : فلا يشير عليك بسداد وان أحبك ولا يهتدى لصرف السوء عنك وان أجهد نفسه لك ، وربما أراد نفعك فيضرك ، فسكوته خير من منطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، وأما الكذاب:فانه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك ، وينقل الاحاديث اليك ، وكلما نمدت أحاديث مطها بأخرى ، حتى إن ليخبر بالصدق فما يصدق •

وقد قال بعض الادباء : على العاقل ألا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع الا بالافضل فى الدين وفى العلم وفى الاخلاق ،فيأخذ عنه ، أو موافقا له على اصلاح ذلك فيؤيدها عنده ، وان لم يكن عليه فضل، فإن الخصال الصالحة من المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين ، والمعنيين والمؤيدين ، وليس لذى العقل قريب ولا حميم هو أقرب منه وأحب اليه من موافقيه على صالح الخصال فيزيدونه ويثبتونه ولذلك زعم بعض الاولين: ان صحبة بليدنشأ مع الحكماء أحب اليه منصحبة لبيب[٨٢] نشأ مع الجهال•

قالوا : وكان أردشير الملك يقول : ما شىء أضر على من معاشرةسخيف

---

(٨٠) حديث صحيح ، اخرجه الترمذى عن انس بن مالك . الجامع الصحيح ٤:٥٩٥ وصحيح الجامع الصغير للالبانى ٦:١٣ •

(٨١) فى الاصل (حبا) ، والخب : ذهاب المروءة .

(٨٢) الامثال والحكم : ٥٥ وفيه (أريب) بدلا من (لبيب) .

أو مخاطبة وضيع لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريـــف الأديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة السخيف حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، وكما أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيا بـــه النفوس ، وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته ألمت له النفوس وأضر بأعـــلاقها [٨٣] .

وقد قال فى ذلك بعض الشعراء المصيبين :

هو صاحب كل ذى حسب ودين   فإن المرء يعرف بالقرين

(٣٤ / أ) وقال طرفة بن العبد :

عن المرء لا تسل وابصر قرينه [٨٤]   فإن القرين بالمقارن مقتدى[٨٥]

فيجب على الملك وغيره ممن يحب تعلم العلوم ، ولا سيما علم الديانة والاعتقاد ألا يقلد أحدا دينه ، ولا يقبل منه مذهبه إلا بعد تدبر وتفكـــر ، وحجة ومناظرة وتبين ومباحثة ، ولا يجعل بينه وبين شىء من المذاهـــب عداوة ولا ولاية إلا بعد شهود الشواهد ، وقيام الدلائل على صحتـــه أو فساده ، وإذا كان على مذهب قد نشأ عليه وقبله واختاره واعتقده فلا ينتقل عنه إلى غيره إلا بعد تبين المنتقل عنه وصحة المنتقل إليه فإذا تبين عنـــده فساد مذهب فلا يجب أن يعاند فيه ، ويتعصب له ، ولا ينظر فيه إلى كثرة

---

(٨٣) عهد أردشير . تحقيق د. احسان عباس : ٩٠، ٩١ ، التاج فى اخلاق الملوك : ٣٢ ، ومروج الذهب ١٨٦:١ ، وعين الادب والسياسة ١٦٠ .

(٨٤) أورد الناسخ على حاشية الكتاب ، ورد فى نسخة أخرى (وســل عن قرينه) .

(٨٥) ديوان عدى بن زيد فى موسوعة الشعر الجاهلى ٤٤٥:٢ ، العقــد الفريد ٢٠٤:٢ ، نهاية الارب ٦٥:٣ ، ادب الدنيا والدين : ٧١ ، جمهرة اشعار العرب : ١٦ ، الأمثال لابى عبيد ٢٧٩ ، نثر الدر للابى ٤٤٦:١ ومنسوب فيهــا جميعا لعدى بن زيد ، وفصل المقال ١٦٤ ، وشرح القصائد التسع ٨١٧:٢ .

أهل وعدد ، وعزة أصحاب ودول ، فإن هذه أسباب كثيرا ما تغر الأغمار والجهال ، وتخدع العوام والاغفال ، وهى كلها قد تنفق فى الباطل كما تنفق فى الحق ، ولكن الواجب أن ينظر إلى صحة المذاهب بدلائلها ، ويحكم لها بشواهدها التى جملتها الكتاب المأمور بتصديقه والسنة المندوب إلى اتباعها، والعقل المجمع على تصديقه واجماع الامة المشهود لها بالعدالة ، لان التمادى فى الباطل مذموم عند الجميع ، واللجاج عند ظهور الحق سفه عند الجمهور ، ولا معنى فيهما يعقل ، ولا فائدة وراءهما تؤمل ، لأن المراد من العلم والنظر والتبين والفكر إصابة الحق ، والبغية منه الظفر بالصواب ، فإذا أصابه فلا معنى للعناد والجحود وتصنيع المبتغى والمطلوب .

ولا يجوز للملك أن يشعر قلبه الاستنكاف والأنفة ، والتيه والنخوة من الانقياد لخصمه ، والرجوع عن مذهبه على يده ، إذا تبين خطأه ، وظهر فساده .

فإن من نظر أو ناظر أو فكر أو دبر فاستبان له خطأ مذهبه ، وبطلان مقالته كان أحسن ظفرا ، وأجزل حظا ، وأوفر قسطا ، بل كان الحظ كله له ، والفائدة بأسرها عنده ، وقد قال أرسطاطاليس : أى ملك تمادى فى رأيه بعد ظهور الخطأ له فهو معين على نفسه سار لأعدائه ، أى ملك عمل باللجاجة فهو منفرد بغرته ، وهو من العطب قريب .

وقد احتال قوم من أعداء الدين (٣٤ / ب) ومخالفى الملل على ما تقدم فى كتابنا ، فقالوا فى كتب ألفوها ، ومخاريق قد صنفوها ، إن الملك السائس لا ينبغى له أن يشتغل بالنظر فى المذاهب ، ولا ينسب إلى أحدهما دون آخر

ولا ينصر أقواها دلالة ، وأثبتها شهادة ، واعتلوا بأن ذلك مما يفرق عليه الجماعة ، وينفر عنه قلوب أكثر الرعية ، ويشتت عليه آراء العامة . وقد بينا أنها حيلة ضعيفة ، ومكيدة واهية سخيفة ، وكشفنا عن وجوه ما فى علم الدين من الفضائل التى تعود بصلاح المملكة والملك ، وفيما وصفه هؤلاء ، تصريح بأن الملك يجب أن يكون كافراً جاهلاً ، وغفلا غافلا عن مصالح معاده ومعاشه ومحاسن دينه ودنياه ، وعلى خلاف هذا جرت العادة ، ووردت الآثار المشاهدة عن الانبياء والخلفاء والملوك الفضلاء على مر الأيام وتتابع الأزمان والأعوام ، بل كان الذين ذكرناهم من الملوك ذابين عن أديانهم ، ناصرين للهم مقاتلين عن أخلاقها ، ومجاهدين فى سبيلها ، داعين اليها ، مستخفين منكلين بمن أطلعوا منه على ابتداع مذهب فاسد ومقالة ضالة .

وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا أن عامة الخلفاء كانوا يذهبون مذاهب ويقولون أقاويل عليها يوالون ، ويوادون ، ويناظرون ، حتى لا يرى منهم من خالف هذا المذهب إلا قليلا .

ومما كتب به أرسطاطاليس إلى الاسكندر : تمسك بإثبات السنة فان فيها كمال التفاسير[٨٦] ، لا تصارم[٨٧] من كان يلى الحق ، ولا تحارب المتمسك بالدين دافع عن دينك تصلح عاقبتك .

وقال : أى ملك نقض سنة ، وضعها من تقدمه ، بلا حجة تصح له من بطلان السنة الأولى ، فهو معاند .

وقد قال أردشير فى هذا المعنى كاملا جامعا لعامة ما ذكرنا وهو : أنه

---

(٨٦) عيون الاطباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٨ بالنص الوارد فى المتن ، نزهة الارواح ١ : ٢٠٠ بلفظ « وخذ نفسك بانيان السنة فان فيها كمال النقى » .

(٨٧) لا تصارم أى لا تقاطع .

لا ينبغى للملك أن يعترف للنساك والمتنبئين (٨٨) أن يكونوا أولى بالدين ، ولا أحدب عليه ، ولا أغضب لله دنه ، ولا ينبغى للملك أن يدع النساك بغير الامر والنهى لهم فى نسكهم ودينهم ، فإن خروج النساك أو غير النساك من الأمر والنهى عيب على الملك ، وعيب للمملكة ، وثلمة يتسنمها الناس بينه الضرر للملك ولمن بعده (٨٩) .

وقال : واعلموا أن العاقل المحروم سال (٩٠) لسانه عليكم ، وهو أقطع سيفيه وإن أشد ضركم به من لسانه ما صرف الحيلة فيه (٣٥ / أ) إلى الدين ، فكأن بالدين يحتج ، وللدين فيما يظهر يغضب ، ويكون للدين نكاؤه (٩١) وإليه دعاؤه ، ثم إنه أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والمؤازرين منكم ، لأن بغضة الناس موكلة بالملوك ومحبتهم ورحمتهم موكلة بالضعفاء والمغلوبين .

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند فى عهد له الى ابنه اذا أشكلت عليك الامور فليكن مفزعك فيها للعلماء ، فإن أدنى غايات العقل التى يصلح عليها أمر الوالى أن يكون عنده من الرأى ما يعرف به فضل الخطة المصيبة على الخطة المردية (٩٢) ، إذا اوردت عليه ، وقال : ولعلل رأيك يريك أن أخذك عن الناس واقتباسك منهم ، مزر بك عندهم أو مسخف لامرك فى أنفسهم ، فان عرض ذلك فاطرحه أشد الاطراح فإن الذى يسعد به من فائدة العلم أو يشقى به

---

(٨٨) فى عهد اردشير : المتبتلين .
(٨٩) عهد أردشير ص ٥٧ .
(٩٠) سال لسانه المراد مسلط لسانه .
(٩١) نكاؤه : شدة القتل . المنجد ص ٩١٣ .
(٩٢) المردية : المهلكة .

من مخالفة الجهل ، أعظم خطرا فى النفع لك والضر عليك من أن يعد له شىء سـواه .

فهذه آراء الفضلاء من الملوك والحكماء من ذوى العقول فى طلب العلم وتبين الصواب ، وابتغاء الحق ، والتدين بالصدق ، وهم أولى بالاقتداء بهم وأحق وأجدر وأخلق .

ومما يجب على الملك إذا علم مـا ذكرناه من فنون العلم ، وصح لـه أعتقاده فى أصول الدين ، وقوى بالله معرفته ،وتحقق عنده معدلته[٩٣] وحكمته وانتهى إلى ما أشرنا عليه به من التمسك بالتقوى ، وإصابة طريق الهدى أن تكون مساعيه ، وأفعاله ، وسيره ، وأقواله ، وآدابه ، التى يتـأدب بهـا وسياساته التى يجرى عليها ، وعاداته التى يختار أعتيادها ، واقتناءها مأخوذة من جهتين : إحداهما ، هى الاقتداء بالله جل وعز فى أفعاله ، ومـا أظهر من دلائل حكمته فى آثار صنعته من صواب القول ، وصالح العمل فيما يجوز له إدراكه ، ويحسن به طلبه وابتغاؤه ، وتحويه مقدرته ، وتبلغ طاقته فإن ذلك أرفع ما تسمو إليه الهمم ، وينتهى إليه بعد الأمل . وهو مع ذلك حد من حدود الفلسفة ، ومعنى من معانى الحكمة .

والثانية ، أن يأتمر له بما آمر به ، شكرا له جـل وعز عن آلائه ، وأعترافا له بحسن بلائه ، لما ذكرناه متقدما أن ذلك أولى به وأشبه بعلو[٩٤] منزلته ، وشرف رتبته ، فإذا علم وعرف وصح عنده ووقف على أن الله قد

---

(٩٣) يقصد : عدله . لسان العرب المحيط جـ٢ ص ٧٠٦ .
(٩٤) فى الاصل (بعلى) .

وصف نفسه بالحكمة ، ودلت الدلائل من شواهده فى (٣٥/ب) خلقه على أنه حكيم ، اجتهد فى استحقاق هذا الاسم واستفادة هذه الصفة ، على مقدار الطاقة ، ومبلغ المعونة من خالقه ، وبارئه ، ومبدعــه ومنشئه ، ومعنــى « حكيم » يوجد فى اللغة العربية على وجهين

أحدهما ، على معنى العالم،والعليم،وهو الذى لا يخفى عليه الأشياء.

والآخر ، إنه محكم لأفعاله وأقواله ، ولاتفاوت فى فعله ، ولا تناقض فى خلقه ، ولا عيب ، ولا فساد ، ولا لعب ولا خطأ فى حكمه .

فأما معنى العالم فقد ذكرنا وبينا ما يجب على الملك مــن اقتنائه ، وإيثاره ، واستفادته واختياره ، والأختصاص بأجل فنونه شأنا ، وأعظمها نفعا ، وأبينها حجة ، وأعمها صلاحا .

وأما المعنى الآخر فإنا نقول : إن من الواجب على الملك فى جلالة شأنه وعلو مكانه أن يجتهد أن تكون أفعاله كلها جدا ولا هزل فيها ، وحكمة لا عبث فيهــا .

ولقد قرأنا لبعض الحكماء من ملوك الهند فى عهده : « أن الله لم يرض لنفسه من عباده إلا بمثل ما رضى لهم به منه ، فإنه رحيم وأمرهم بالتراحم وصدقهم وأمرهم بالصدق ، وجاد عليهم وأمرهم بالجود ، وعفا عنهم ورضى لهم بالعفو ، فليس قابلا منهم إلا مثل الذى أعطاهم ولا أذن لهم فى غير ما أتى اليهم ، فإعط من وليت من عباد الله من رأفتك ورحمتك وجودك ما ترغب فى مثله لنفسك من ربك ، موقنا بأنك إذا أعطيت ذلك من أمرت أن تعطيــه أعطاكه الله ، وإنك إن منعته منعكه الله » .

قال: وقيل للاسكندر : ما علامة دوام الملك ؟ قال : الجد فى كل الأمور قيل : فما علامة زواله ؟ قال : الهزل[٩٥] . وقديما ما قيل : إن الجد لقاح الشرف . قالوا : وكان أنو شروان الملك وجه رسولا إلى بعض أعدائه من الملوك ، فأمره أن يتعرف سيرته فى نفسه ورعيته ، فرجع إليه فقال : أيها الملك وجدت الهزل عنده أقوى من الجد ، والكذب أكثر عنده من الصدق ، والجور أوقع من العدل ، فقال أنوشروان : رزقت الظفر به ، ثم دعا بعض قواده فقال له : سر إليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع ، فإنك منصور وهو مخذول فسار إليه فقتله ، وغلبه ، واستولى على مملكته . قال : وكان أنو شروان يقول : « الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسدة العدل (٣٦ / أ) فإذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته ، واذا أستصحب الكذب أستخف به ، واذا أظهر الجور فسد سلطانه » قالوا : وكان نقش خاتم رستم : [٩٦] الهزل منقصه ، والكذب منغصه [٩٧] . والجور مفسدة .

وإذا علم الملك خبرا[٩٨] أو دلالة أن الله — جل وعز — جواد لتفضلهعلى خلقه بالنعم الجسام والآلاء العظام ، اجتهد فى سعى استحقاق هذا الاسم وإدراك هذا المعنى بغاية وسعه ، ومبلغ جهده ، فلا يضن على أحد من خلق الله بموجود يجوز الجود عليه به ، هذا على ما عرف من مدح الناس الجواد

---

(٩٥) الماوردى : قوانين الوزارة ٥٨ .

(٩٦) هو رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذى وجه لقتال العرب وهو خليفة أبيه بخراسان . تاريخ الطبرى ج٢ : ٢٣٢ .

(٩٧) منغصة : تكدير وشقاء .

(٩٨) فى الاصل : خبرا .

وذمهم البخيل على وجه الدهر ومر الايام ، وفى كل جيل وطبقة ، وأهل دين ونحلة ، وبكل لسان ولغة ، واذا عرف أن الله ـ جل ذكره ـ قد وصف نفسه بالقدرة ، وامتدح الى خلقه بصفه القوة ، ودل على ذلك بشواهده الظاهرة ، ودلائله القاهرة ، وعلم مع ذلك أن الله قد قلده الانتقام من أعدائه وعصاة خلقه ، والحكم بينهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم اجتهد فى إدراك هذه الصفة الفاضلة على مقدار طاقته ومنتهى قدرته ، وسبيله فى ذلك بأن يرتاض باستعمال آلات الشجاعة ، وتعلم أبـواب المحاربة والمواقعة ، حتى يصير بحيث ينال هذه الفضيلة ، ويستحق هذه المنقبة ، ويستأهل هذه الصفة من المواقعة والمواثبة والفروسية والمـراكضة والسباق والرماية ، وتمريـن النفس على الصبر الشديد وحمل السلاح الثقيل ، وكما يعين على ذلك ، فإن الانسان يزيد بمثل هذه الأمور قوة إلى قوته ، ويضيف قدرة إلى قدرته ، كما أنه بتعلم (٩٩) العلم والاستفادة من أهل العقول والأفعال يزيد عقـلا إلى عقله وعلما إلى علمه ، وإن الله ـ جل وعز ـ قد أمر الملوك بقتال الكفار والبغاة والفجار من كل طبقة من أعداء الدين ، وأخبر أن فيه صلاحا للخليقة وتحصينا للرعية ، وإعزازا للديانة ، فقال جل وعز : (وأنزلنا الحديـد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (١٠٠) ، ولا يتهيأ استعمال الحديد عند المناجزة والمقارعة من لم يتدرب به ولم يعتده ، وحاجه الملوك إلى القتال والمحاربة واستعمال السلاح عند الملاقاة والمواقعة أشهر (٣٦ / ب) من أن يحتاج معه إلى استدلال ، وعليه إلى استشهاد .

---

(٩٩) فى الاصل : يتعلم .

(١٠٠) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٥ .

ثم إذا علم أن الله تبارك وتعالى مع قدرته على معاجلة العاصين من خليقته ، وقوته على مؤاخذة الغواة من بريته ، وصف نفسه بالحلم ، ودل عليه خبرا وعقلا ، إذ كان ولم يزل عالما بمعاصى عباده له ، وكفرهم بــه ، وجحدهم[١٠١] لنعمه ، وافترائهم عليه ، وهو يحــلم عنهم ، ولا يعجــل بعقوبته ، ثم وصف نفسه بهذه الصفة حيث يقول : (إن الله غفور حليم) [١٠٢] ويقول : (وكان الله عليما حليما) [١٠٣] ، ومدح به نبيه إبراهيم صلى الله عليه حيث يقول : (إن إبراهيم لأواه حليم) [١٠٤] ، وجب عليه أن يقتدى به وبنبيه صلى الله عليه ، ولا يعجل بعقوبة المذنب ، ولا يسرع الى الانتقام من المجرم حتى تحق الكلمة ، وتقطع المعذرة ، وينقطع الطمع من التوبــة والانابة ، ولاتحمله قدرته الجروية [١٠٥] ومملكته الامدية على لؤم الانتقام وسرعة الانتصار ، وترك الاستثناء بالمعاقبة ، وليذكر قدرة الله عليه وكثرة أياديه لديه ، وإحسانه إليه . ثم كثرة عصيانه له ، وحلمه عنه ، فلا يعامل من تحت يده إلا بما يحبه من فعل الله — جل وعز — على ما يعلم من مدح الناس الحليم ، وتعظيمهم له ، وذمهم على خلافة واستخفافهم بصاحبه . ولذلك إذا وجد الله — جل ذكره — وصف نفسه بالعفو عن المذنب ، والصفح عن المجرم ، وغفران الذنوب ، فقال : (والله غفور رحيم) [١٠٦] ، وقال : (وكان

(١٠١) فى الاصل : وجحــده .
(١٠٢) ٢ البقرة : مدنية ٢٣٥ ، ٣ آل عمران : مدنية ١٥٥ .
(١٠٣) ٣٣ الاحزاب : مدنية ٥١ .
(١٠٤) ٩ التوبة : مدنية ١١٤ وأواه : كثير الدعاء والتضرع .
(١٠٥) هكذا بالاصل ولعلها الجبروتية .
(١٠٦) ٢ البقرة : مدنية ٢١٨، ٢٢٥ و ٣ آل عمران : ١٢٩ و٤ النساء ٢٥

الله غفورا رحيما) (١٠٧) مع مـا ذكرناه من كثرة معاصى العباد ، وأنواع عنودهم وأصناف كنودهم ومخالفتهم لأوامره ، وارتكابهم لزواجره،وجب أن يقتدى به فى هذا الفعل فيعود نفسه العفو عن كثير من المذنبين ، والنظر فى معاذير المجرمين ، ويطلب لهم مخارجهم ، ويقبل توبتهم ، ويقيل عثراتهم ما لم يرتكبوا حدا يجب إقامته أو عظيمة تعود نقضا بالشريعة ، ونقـض سنن الملة ، ويقدح فى انتظام أمور العامة ، وعمارة أسباب المملكة ، فان ذلك أبلغ فى المكرمة ، وأولى بـذى الرفعة والمقدرة ، وأقرب من إستيفاء الصنيعة ، واستعطاف ذوى الحرمة . ثم لم تزل الملوك والحكماء والعظماء والفضلاء يمدحون ويمتدحون به ، فروى عن أمير المؤمنين عمر (٣٧/أ) ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول : متى أشفى غيظى حين أقدر فيقال لى : لو عفوت أو حين أعجز فيقال لى : لو صبرت ؟ .

وقال معاوية : إنى لأستحى من عقلى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، أو يكون جهل أكثر من حلمى أو يكون عورة لا أواريها بسترى (١٠٨) .

قالوا : وكتب المهلب (١٠٩) إلى الحجاج فى أمر العصاة الذين تركـوا عسكره ورجعوا إلى الكوفة : أما بعد ، فإنه لن يفارقنى من رجع إلى ، وأنه لا ملك أبقى من ملك فيه العفو،وإن الناس إذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب

---

(١٠٧) ٤ النساء : مدنية ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٣ و ٣٣ الاحزاب : مدنية ٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ .

(١٠٨) النص لدى القضاعى : دستور معالم الحكم وينسبه الى على رضى الله عنه ص ١٣٨ .

(١٠٩) المهلب بن أبى صفرة ، أمير بطاش جواد ، كان واليا على خراسان لعبد الملك بن مروان ، توفى سنة ٨٣هـ . وفيات الاعيان ٤٣٣:٤ ، الاعلام ٥٦:٨

وراجعوا التوبة ، وقال فى فصل آخر : ما شىء أنهى من العفو ، فإن الرعية إذا وثقت بالعفو لم يوحشها الذنوب ، وإن عظمت ، وإن خافت شدة العقوبة أوحشها الذنب ، وإن صغر قدره حتى يضطرها إلى المعصية .

قالوا : ومن كرم العفو أن الله قدم العفو لنبيه قبل العقاب فقال : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) [١١٠] .

قالوا :وكان الحجاج يقول : العفو عن المقر لا عن المصر [١١١] .

قالوا : وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما قبيحا ، فقال له : أردت أن يستعزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك مثل ما تنال منى غدا ؟ والله لأعفون عنك فاذهب راشدا[١١٢] .

وإذا وجد الله — تبارك اسمه — مطلعا على سرائر عباده ، على ما أظهروا وأضمروا ، وأعلنوا وأسروا من معاصيهم وفسوقهم وذنوبهم ومروقهم وفجورهم وكفرهم[١١٣] ، فلم يفضح كثيرا منهم ولم يهتك أستارهم ، ولم يظهر أسرارهم ، وقد وصف بذلك نفسه حيث قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول)[١١٤] . وقال حكاية عن نبيه يعقوب — عليه السلام — أنه قال ليوسف (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين)[١١٥] .

---

(١١٠) ٩ التوبة : مدنية ٤٣ .
(١١١) الايجاز والاعجاز للثعالبى ١٧ .
(١١٢) نثر الدر للابى ٢:١١٩ .
(١١٣) فى الاصل : كفروهم .
(١١٤) ٧٢ الجن : مكية ٢٦،٢٧ .
(١١٥) ١٢ يوسف : مكية ٥ .

على أنه قد روى عن النبى ﷺ « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » (١١٦) . وأنه كان اذا أراد سفرا أورى (١١٧) بغيره ، وجب عليه فى جلالة مرتبته ورفعة منزلته أن يعود نفسه كتمان السر فلايطلع عليه أحدا .

وقد حكى أردشير ذلك عن نفسه فى عهده حيث قال : « اتقوا بابا واحدا طالما أمنته فضرنى ، وحذرته فنفعنى ، احذروا افشاء السر عند الصغار من أهليكم (٣٧/ب) وخدمكم فانه لا يصغر أحد عن حمل السر كاملا لا يضيع منه شيئا حتى يصفه إما سقطا وإما غشا ، والسقط أكثر ».

وفى رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر : « أى ملك جاوز سره وزيره فهو فى حد ضعيفى السوقة » . على أن الناس كافة لم يزالوا يمدحون ويمتدحون بكتمان السر وطيه ، ويذمون ويتذامون على اذاعته ونشره ، فقال فيه بعض الشعراء :(١١٨)

ما يكتم السر(١١٩) إلا كل ذى خطر
والسر عند خيار الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق

---

(١١٦) حديث صحيح ، رواه العقيلى فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الجامع الكبير والبيهقى فى شعب الايمان عن معاذ بن جبل . السيوطى : الجامع الصغير ص ٣٦ ، كما أخرجه ابن أبى الدنيا والعسكرى والقضاعى بسند فيه سعيد بن سلام ، كذبه أحمد . العجلونى : كشف الخفاء ١:١٣٥ . ورواه الماوردى فى مخطوطة : الامثال والحكم ق ٢٨ برواية ابن جريج عن عطاء عن عمر بن الخطاب كما ذكره فى أدب الدنيا والدين ص ١٣٧ .

(١١٧) أورى : أخفى .

(١١٨) ورد فى روضة العقلاء لابن حبان : أنشده له ابراهيم بن على الظفرى عن الحسن بن عبد الله ص ١٩١ .

(١١٩) فى « روضة العقلاء » : لا يكتم السر الا من له شرف ص ١٩١ .

(١٢٠) فى « روضة العقلاء » : كرام ص ١٩١ .

قد ضاع [١٢١] مفتاحه [١٢٢] والباب مختوم

وقال آخـــر :

إذا جـــاوز الاثنـــين سر فـــاننى
ببث وتكثـــير الحـــديث ضمـــين
وعنـــدى له يوما إذا مـــا ائتمنتـــه
مـــكان ســويدان الفــؤاد دفـــين [١٢٣]

فان لم يكن من افشاء السر فى بعض الأحوال بد ، ولم يجد العاقـــل منه حيلة فيختار لسره أهل الخبرة ، والعقل ، والدين ، والفضل ، والامانة والنصيحة ، ومن يهمه من إذاعة سره ، ويعينه من كتمان ما يعنيه .

وكذلك إذا وجد الله — جل ذكره — قد وصف نفسه بالصدق ، وأمر به . فقال : (ومن أصدق من الله قيلا [١٢٤] . وقال (يا أيهاالذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [١٢٥] وقال : (وصدق المرسلون) [١٢٦] . وقال : (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) [١٢٧] ونهى عن الكذب

(١٢١) فى « روضة العقلاء » : ضلت ص ١٩١ .
(١٢٢) فى « روضة العقلاء » : مفاتبحه ص ١٩١ .
(١٢٣) قاله : قيس بن الخطيم الانصـــــارى الديوان : ١٠٥ ، ١٠٦ ، والامالى ٢٢٥:٢ وهى كالتالى :

اجـــود بمكنون التـــلاقى وانننى ... بسرك عمن ســـألنى لضنس
اذا جـــاوز الاثنـــين سر فانه ... بنشر وتكثير الحـــديث قمين
وعنـــدى له يوما ما ائتمنتنى ... مـــكان بسوداء الفواد مكين

وورد فى لباب الاداب لـــ (أسامة بن منقذ) بتحقبق أحمد شاكر : ٢٧ ؛ ونهاية الارب ٨٥:٦ ، وعين الادب والسياسة ٢٧٠ ، ٢٧١ .
(١٢٤) ٤ النســـاء : مدنية ١٢٢ .
(١٢٥) ٩ التوبة : مدنية ١١٩ .
(١٢٦) ٣٦ يس : مكية ٥٢ .
(١٢٧) ٥ المـــائدة : مدنية ١١٩ .

وذم عليه • وقال الرسول ﷺ : « أن الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى إلى الجنة ، وإن الكذب يهدى إلى الفجــور ، والفجــور يهــدى إلى النار »[١٢٨] فى أشباه كثيرة لهذه الآيات والآثار ، وجب عليه أن يقتدى بالله وبرسله ، فيهذب كلامه وحديثه عن الكذب • ويجتنبه ، ولا يتدنس به، وكذلك إذا وجد الله ــ جل ذكره ــ قد هذب كلامه عن الخنا[١٢٩] والفحشاء الذى تشمئز منه النفوس ، وتقشعر منه الجلود • استقذارا له ، حتى عبر عن بعض الألفاظ بالغائط ، والغائط هو الارض المطمئنة من السهلة ، وعن معنى آخر بالمجامعة • والنبى عليه السلام كنى عن ذلك بالبعال والمضاجعة والمباضعة والافضاء • وجب على الملك أن يتأدب بأدب الله ــ جل وعز ــ فى تهذيب ألفاظه عن ارتفاع الخنا والقذغ والبــذاء والشتم والهجــر[١٣٠] والفحش الذى يوجب الحد ، ويسقط (٣٨/ أ) العدالة ، ويدل على سوء العادة ، ولؤم المخرج والمنشأ ، ويوجب عذاب النار فى الآخرة ، ويبقى قبح الأحدوثة والقــالة •

وكذلك إذا رأى الله قد وصف نفسه بانجاز الوعد والوفاء بالعهــد فقال : (إن الله لا يخلف الميعاد)[١٣١] • وقال : (وعد الله الذين آمنــوا منكم)[١٣٢] • وقال : (وعد الله لا يخلف الله وعده)[١٣٣] •وأمر عباده

---

(١٢٨) حديث صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الحديث ١٦٧٥ ، هــداية البارى الى ترتيب البخــارى ١٦٨:١ ، ١٦٩ ، وصحيح مسلم ٢٠١٢:٤ حديث رقم ٢٦٠٧ كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(١٢٩) الخنا : الفحش فى الكلام .

(١٣٠) الهجر : الفحش والبذاءة والقول القبيح .

(١٣١) ٣ آل عمران : مدنية ٩ و ١٣ الرعد : مدنية ٣١ .

(١٣٢) ٢٤ النور : مدنية ٥٥

(١٣٣) ٣٠ الروم : مكية ٦ .

أن يثنوا عليه ويدعوا به ، أنه (لا يخلف الميعاد) وقال فيما يأمر به عباده : وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)[١٣٤] • وقال (بعهد الله أوفوا)[١٣٥] • (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)[١٣٦] •

وقال ﷺ : (لا دين لمن لا عهد له)[١٣٧] • وقال : (إن حسن العهد لمن الايمان)[١٣٨] وروى عن نبى الله داوود ﷺ أنه قال : (لا يعدن أحدكم أخاه عدة ثم لا ينجزها له ، فان ذلك يورث بينهما العداوة) • هذا بعد أن أخبر الله أن خلف الوعد من كبائر الذنوب حيث قال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)[١٣٩] • مع أن الناس لا يزالون يمدحون ويمتدحون بالوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ويذمون ويتذامون بخلافهما ، مروى عن جليل من حكماء العرب أنه قال : لأن أموت عطشا أحب إلى من أن أكون مخالف الوعد •

وقد روى أن النبى ﷺ أوصى بإنجاز مواعيده •

---

(١٣٤) ١٦ النحل : مكية ٩١ •
(١٣٥) ٦ الانعام : مكية ١٥٢ •
(١٣٦) ١٧ الاسراء : مكية ٣٤ •
(١٣٧) أخرجه ابن النجار . المناوى : كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق ص ١٤٤ •
(١٣٨) رواه الحاكم والديلمى عن عائشة بلفظ جاءت عجوز الى النبى ﷺ وهو عندى ، فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا جثامة المزنية ، قال أنت حسانه . كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ فقالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل هذه العجوز هذا الاقبال ! قال: «انها كانت تأتينا زمن خديجة ، وأن حسن العهد من الايمان » وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة . كشف الخفاء ١ : ٤٣١ •
(١٣٩) ٦١ الصف : مدنية ٣٦٢ •

وقال بعض الشعراء :

إذا قلت فى شىء نعم فأتمه   فإن نعم دين على الحر واجب (١٤٠).

فى شكر اللـــه على نعمه :

ومن ذلك شكر النعمة ومعرفة حق الصنيعة والمكافأة عن الحسنه ، فإن الله ــ عز وجل ــ قد وصف نفسه وأمر به عباده حيث يقول:(وكان الله شاكرا عليما) (١٤١) ، ويقول : (واللـــه شكور حليـــم) (١٤٢) ، ويقول لعبـــاده : (اشكروا لى ولا تكفرون) (١٤٣) ، ويقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) (١٤٤) . فيجب على الملك أن يتمثل هذا المثال الذى وصف الله به نفسه ، وحث عليه خلقـــه .

قالوا : ومعنى الشكر هو لله ولمن فوقك بالطاعة ، وللنظير بالمكافأة ، ولمن دونك بالافضال عليه والاحسان اليه ، ومعرفة ما يتقرب به اليك ، وكذلك اذا وجد الله ــ جل وعز ــ متنزها عن الفواحش ، متعاليا عن المحارم متقدسا عن المظالم اجتهد فى إدراك هذه الصفة بمبلغ طاقته وكنه مقدرته ، فيعف عـــن المطامع الدنية والشهوات المحرمة المخلقة للعرض (٣٨/ب) والمروءة ، المنهى عنها فى الملة والشريعة فانها عار وشنار ، وطريق الى عـــذاب النار ، والله جل ذكره نفاها عن نفسه ونهى عنها عباده بقوله : (إن الله يأمر بالعدل

---

(١٤٠) فى بهجة المجالس ١:٤٩٦ ، محاضرات الادباء ١:٢٩٦ دون نسبة، وفى العقد الفريد ١:١٦٧ لابن أبى حاتم ، وحماسه البحترى ١٤٥ لهرم بن غنام السلولى ، والمختار من شعر بشار ١٣٧ لابى الاسود الدؤلى .

(١٤١) ٤ النســـاء : مدنية ١٤٧ .

(١٤٢) ٦٤ التغابن : مدنية ١٧ .

(١٤٣) ٢ البقـــرة : مدنية ١٥٢ .

(١٤٤) ١٤ ابراهيم : مكية ٧ .

والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) [١٤٥] ، وقال : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحـــق) [١٤٦] .

وقد بينا أن الواجب فى جلالة أقدار الملوك وارتفاع شأوهم وعلـــو مراتبهم الترفع عنها ، وصيانة الأعراض عن[١٤٧] التدنس بها .

وفيما كتب به أرسطاطاليس إلى الإسكندر : إياك والطمع فـــإن فيه فساد الملك [١٤٨] ، وقديما ما قالوا : الطمع ذل [١٤٩] ، وقالوا : الطمـــع الكاذب فقر حاضر [١٥٠] .

وحكى عن أفلاطون : أنكروا الفجور فإن فشوه يهلك الأمة وهى مـــن خواص الدواب الدنية . قال : واعلم أنك فائز إن لم يصرعك المال والشهوات .

ومما أمر الله به مخالفة الهوى ، ومتابعة الحق ، فإن الله عز وجـــل يقول : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) [١٥١] ، وقال : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) [١٥٢] ، وقال النبى ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول

---

(١٤٥) ١٦ النحل : مكية ٩٠ .

(١٤٦) ٧ الاعراف : مكية ٣٣ وفى الاصل (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .

(١٤٧) غير موجودة فى الأصل ولا يستقيم المعنى بدونها

(١٤٨) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٣٣ بلفظ (.. واجمع الكل منهم على أن السخاء على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك) ، طبقات الاطباء ١ : ٩٩ « الطمع يورث الذلة التى لا تستقال » .

(١٤٩) التمثيل والمحاضرة ص ٤٤٦ أقل ما فى الطمع الذل

(١٥٠) التمثيل والمحاضرة ٤٤٦ الحرص ذل عاجل ، والطمع فقر حاضر .

(١٥١) ٧٩ النازعات : مكية ٤٠ .

(١٥٢) ٢٣ المؤمنون : مكية ٧١ .

الامل [١٥٣] . فان الهوى يصد عن الحق ، وان طول الامل ينسى الاخرة .

وقال أمير المؤمنين علي : أخشى عليكم اثنين : طول الأمل والهوى [١٥٤] ، ولقد قرأنا لسابنترم ملك الهند فى عهد له الى ابنه : « واعلم أنك قد بليت من طبائعك ومكايدة أهوائك بحرب لا حرب أنفع لك فيها الصلح معها [١٥٥] وأضر شيء عليك الهزيمة فيها ، ولا حرب إلا سيحتاج صاحبها إلى المادة ، فاستمد لحلمك من أحلام العلماء ، ولعلمك من علمهم ، ولعقلك من عقلهم فإن العقل الفرد لا يقوى على أمر العامة ، ولا يكتفى به فى أمر الخاصة » .

فى وجوب التواضع :

ومما أمر الله به التواضع وترك التكبر ، فإن الله جل ذكره قد نهى عنه وأخبر أنه لا يحبه من عباده ، فقال : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) [١٥٦] ، وقال حكاية عن لقمان الحكيم : (ولا تمش فى الارض مرحا) [١٥٧] ، وقال : (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) [١٥٨] .

(١٥٣) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى فى الكامل عن جابر . ضعيف الجامع الصغير جـ١ ص ١١٤ وهو من أقوال على بن أبى طالب رضى الله عنه كما فى الحلية ١:٧٦ .

(١٥٤) مروج الذهب ١:١١٧ .

(١٥٥) فى الاصل (فيها) .

(١٥٦) ٤ النساء : مدنية ٣٦ .

(١٥٧) ٣١ لقمان : مكية ١٨ .

(١٥٨) ١٧ الاسراء : مكية ٣٧ .

وروى عن النبى ﷺ أن الله يقول : « إنما الكبر والعظمة (٣٩/ أ) ردائى فمن نازعنى فى ثوبى سخطت عليه » (١٥٩) .

وقال النبى ﷺ : « من تواضع لله رفعه الله » (١٦٠) ، على مافى هذه الخصلة من استعطاف الخاصة والعامة واستماله قلوب الكافة ، وازدراع المحبة فى الرعية ، واتباع سنن الرسول ﷺ فى السيرة ، وما زال العقلاء يقولون : « التواضع من فعل الكرام » (١٦١) .

وقال أرسطاطاليس : البذخ رأس الفشل (١٦٢) .

وقد أشبعنا هذا الباب فى باب المواعظ بما فيه الكفاية عن غيره ومندوحة مما سواه .

ومن ذلك استقامة الطريقة حتى لا يبطر بالنعمة المستفادة فرحا ولا يأسو على ما يفوته منها جزعا فإن ذلك مما حث الله عليه ومدح به فى قوله : « لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (١٦٣) ، على أنه من

---

(١٥٩) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة وجده بلفظ قال الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى فمتى نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار) . الترغيب والترهيب ٤ :١٦ ، وسنن ابن ماجه ، ٢ : ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما بلفظ : قال رسول الله ﷺ « العز ازاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعنى عذبته » صحيح مسلم ٤ : ٢٠٢٣ حديث رقم ٢٦٢٠ .

(١٦٠) حديث صحيح،أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة.الحلية: ٧ :١٢٩ ، صحيح الجامع الصغير ٥ :٣٠٣ ، رواه الطبرانى عن عمر بن الخطاب ، ولفظه : (قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تواضع لله رفعه الله) الترغيب ٤ : ١٥

(١٦١) من حكم على بن أبى طالب . شعره وحكمه لـ (أحمد تيمور) ص : ٦٣ بلفظ (تواضع المرء يكرمه) .

(١٦٢) سرار الاسرار : ٧٤ بلفظ (آى ملك تجاوز فى السعة ما ليس فيه وكلف مملكته مما لا تحتمله فقد هلك وأهلك) .

(١٦٣) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٣ .

الاخلاق التى مدح بها الحكماء الرجال فأطنبوا ، ووصـــفوه فى المفاخر فأكثروا ، فروى عن ابن عباس — رحمه الله — أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكلام كتب به إلى على بن أبى طالـــب — رضى الله عنه — وهو : « أما بعد ، فإن المرء ليسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسؤوه فوت ما لم يكن يدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ، وما فاتك منها فلا تيأس عليه جزعا ، وليكن همك فيما بعد الموت » (١٦٤) .

وروى عن عثمان بن عفان هذان البيتان :

وإذا غنيت فـــلا تكن بطرا   وإذا افتقـــرت فته على الدهـــر
واصبر فلست بواجد خلقا   أدنى إلى فرج من الصبر (١٦٥)

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : لا تفرط من الجزع على ما فاتك فإن ذلك من خواص النساء والضعفاء (١٦٦) .

وقد قال فى الجاهلية لبيد :

ولا أنا تأتنى طريف بفرحه   ولا أنا مما أحدث الدهر جازع (١٦٧)

وقال النابغة فى مدح بنى غسان :

---

(١٦٤) القضاعى (تـــ ٤٥٤ هـ) : دستور معالم الحـــكم من كـــلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ٩٦ و ٩٧ ، ونثر الدر للابى ١ : ٢٨١ ، ٢٨٢ مع اختلاف يسير .

(١٦٥) يوصى الشاعر بعدم الكفر بالنعمه عند الغنى ، وبالعزة عند الفقر وبالصبر لانه اقرب الاخلاق الى الفرج .

(١٦٦) ارسطو : سر الاسرار : ٨٤ ، وابن الازرق : بدائع السلك ١ : ٥٢٩

(١٦٧) ديوان لبيد القصيدة ٣٠ فى رثاء اخيه أربد . البيت الرابع ص ٨٨ ، وفى الأصل : (لا) بدلا من (فلا) .

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب [١٦٨]

فى الصبـــــر :

وهذا باب جليل لا يفى به إلا الشهم الحول [١٦٩] من الرجال ، وأحد قسمى هذه الفضيلة الصبر على الشدائد والمكاره ، وقد أثنى الله — جل وعز — على (٣٩ / ب) الصابرين وأمر به حيث يقول :

(واصبر على ما أصابك) [١٧٠] ، ويقول : (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) [١٧١] . ثم أثنى عليهم فقال : (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) [١٧٢] . وقال : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) [١٧٣] وروى عن النبى — ﷺ — أنه قال : (لا أحد أصبر على الاذى يسمعه من الله) [١٧٤] ، وأطبق الناس أصناف على أختلاف مذاهبهم وتفاوت طبقاتهم وطبائعهم وتباين أحوالهم على تفضيل هذه الخلة وعدها فى الفضائل الجليلة والمناقب الشريفة .

وقد قال بعض الشعراء المجيدين :

(١٦٨) ديوان النابغة بتحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ص ٤٨ ، وشرح البيت : وصفهم بالاعتدال فان أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، واذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا انه لا يدوم عليهم والبيان والتبيين ١ : ١٩٩ ، ٢ : ٣٤٧ الحيوان ٧ : ٢٥٩ ، وفى المختار من شعر بشار ٢١٤ أن البيت لـ (عثمان) رضى الله عنه .

(١٦٩) الحول . هو الرجل ذو الحيلة والتصرف الحسن فى الامور .

(١٧٠) ٣١ لقمان : مكية ١٧ .

(١٧١) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧

(١٧٢) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧ .

(١٧٣) ٢ البقرة : مدنية ١٥٦ ، ١٥٧ .

(١٧٤) أخرجه مسلم . صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٠ حديث رقم ٢٨٠٤ فى =

الحرص عون للزمان على الفتى
والصبر نعم القرن فى الأزمان

لا تخضعن فان دهرك أن رأى
منك الخضوع أمده بهوان

وإذا رآك وقد قصدت لصرفه
بالصبر لاقى الصبر بالاذعان (١٧٥)

وقال آخر :

أخلق بذى الصبر أن يظفر (١٧٦) بحاجته
ومدمن القرع للابواب أن يلجا

لا تيأس وإن طالت مطالبه
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا (١٧٧)

وقال آخر : (١٧٨)

= صفات المنافقين ، باب لا احد اصبر على أذى من الله عز وجل ، و(يسمعه) ساقطة من الاصل .

(١٧٥) الشاعر هو محمود الوراق .
البيتان الاول والثانى فى بهجة المجالس ١ : ١٥٧ .

(١٧٦) هكذا فى الاصل والصواب بحظى لان تظفر تكسر البيت عروضيا ، وهكذا وردت فى العقد الفريد ١ : ١٦٤ ، وعيون الاخبار ٣ : ١٢٠ .

(١٧٧) ورد البيتان فى الحماسة : ١٣٩ ، والتذكرة السعيدية ٣٣٩ ، وأدب الدنيا والدين منسوبين الى محمد بن بشير (المتوفى ٦٣ هجرية) اوردها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٣٦٠ وابن عبد البر فى بهجة المجالس ١ : ١٨٢ ، وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٨٨٣ الى محمد بن يسير (المتوفى ٢١٠ هـ) الاعلام ٨ : ١٥) .

(١٧٨) هو عبيد بن الابرص . توفى نحو ٢٥ قبل الهجرة ، وهو شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها وأحد أصحاب المجمهرات ، وعاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات ، قتله ابن المنذر حين وفد عليه فى يوم بؤسه ، وعقب الشيخ أحمد شاكر وقال : ان الذى قتله هو المنذر بن ماء السماء . الشعر والشعراء ١ : ٢٧٣ ، والاعلام ٤ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

اصــــبر النفس عنــــد كـل مـلم
إن فى الصبــــر حيلـة المحتـــال
لا تضيقــــن فى الأمــــور فقـــد
يكتسف عمــاؤهــا بغير احتيــال
ربمــا تكــره النفوس من الأمـــر
لــه فرجــة كحـل العقـــال [١٧٩]

وقال آخـــر :
الصبــــر أولـــه مـــر مذاقتــــه
لكــن آخـــره أحلـــى مـــن العســل

ومن ذلك الأخذ بالحزم ، وتقوية العزم ، وحذر الاقدام على الأمور من غير تبين الفرصة ، وقلة الاغترار بمن يدعو إلى التوكل ، وهو واجد إلى الاحتياط سبيلا وعلى وجه الرأى دليلا ، فإن دلك مما يؤدى إلى الهـــلاك ، والله — عز وجل — يقول : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [١٨٠] ، وقد أمر الله — جلوعز — بتغير شكل الصلاة وهى عماد الدين عند ملاقاة العـــدو ، ومخافة القتل والدنو (٤٠/ أ) فقال : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فاتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم فـــإذا سجدوا فليكونوا مـــن ورائكم) [١٨١] إلى آخر الآية .

---

(١٧٩) ورد البيتان فى بهجة المجالس ١ : ١٨٤ دون نسبة ، لباب الاداب : ٢٩٤ منسوبان الى عبيد بن الابرص ، وانشدهما ابن المراغى للبستى . روضة العقلاء : ١٥٩ .

(١٨٠) ٢ البقرة : مدنية ١٩٥ .

(١٨١) ٤ النساء : مدنية ١٠٢ .

وروى عن النبى ﷺ : (اعقلهـــا وتوكل)[١٨٢] وكان اذا مر بهـــدف مائل أسرع المشى ، على ما فيه من عادة التفكر والتدبر ومجانبة التغافـــل والتهور ، واستخراج تأويل أواخرها ومعرفة عواقبها بمبادئها ، وأفولهـــا بطلوعها ، وما فيها من سرور ذوى الرأى والاصابة ومخايل [١٨٣] السلامة وإبلاء [١٨٤] المعذرة عند النفس .

على أن الناس لم يزالوا يذمون المتهور المقدام على غير بصيرة وروية

فى الحـــــزم :

وأحـــد قسمى الحزم : ســـوء الظن ، وتوهم الامـــور على أشـــد ما تسبق إليه النفوس ، ويجوز كونه فى العقول ، ولذلك ما جعل فى أخـــلاق الملوك أن لا يعرف لهم مبيت ولا مقيل .

وحكى فى سير ملوك آل ساسان من أردشير وسابور ، وبهرام جور ، ويزدجرد وأبرويز وأنوشروان : أنه كان يفرش للملك منهم أربعون فراشا ليس منها واحد إلا وأن تامله متأمل ، ونظر إليه من البعد ناظر ظنه فراش الملك خاصة ولعله أن لا يكون على واحد منها ، بل ربما توســـد ذراعـــه ونام[١٨٥] فى ناحية لا يوقف عليه ولا يسبق الوهم اليه .

وقد أمر الله نبيه عليه السلام بهذا الباب حيث غاب عن فراشه عنـــد نزول الوحى بما هم به المشركون ودبروه عليه وأرادوا به .

---

(١٨٢) حسن ، أخرجه الترمذى عن انس ٤ : ٦٦٨ فى القيامة حديث رقم ٢٥١٧ ، صحيح الجامع الصغير للالبانى ١ : ٣٥٢ .

(١٨٣) دلائـــل وعلامات .

(١٨٤) ابلاء المعذرة : الاجتهاد فى المعذرة . المعجم الوسيط ١ : ٧٠ .

(١٨٥) النص لدي الجاحظ في أخلاق الملوك ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

والثانية : مناورة أهل الرأى والفضل ، والعلم ، والعقل والدين والأمانة والعفة ، والتجربة ومن يخصه من الامر المستشار فيه ما يخص المستشير ، دينا كان أو دنيا .

وقد أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بعد ما قدم اليه من التوفيق والتأييد والتقوية والتسديد ، وضمن له من الاظهار والنصرة وإعلاء الكلمة والعصمة بقوله : (والله يعصمك من الناس)(١٨٦)، بالمشاورة فقال : (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)(١٨٧) ، ومدح أقواما بذلك فقال:(وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)(١٨٨).وكانت هذه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى عامة أيامه(١٨٩) ولذلك ما قال فيما روى عنه : (لى وزيران فى السماء ووزيران فى الارض)(١٩٠) .

(٤٠/ب) وقال « لو أستخلفت أحدا من غير مشاورة لاستخلفت بن أم عبد » (١٩١) . ثم لم يزل أهل العقول يفزعون الى الشورى فى كل ما يقع بينهم ، ويمدحون فاعله ، ويذمون المستبد برأيه ، والمرتكب لأهوائه، وقد قال فيه أحد الشعراء :

---

(١٨٦) ٥ المائدة : مدنية ٦٧ .

(١٨٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٥٩ .

(١٨٨) ٤٢ الشورى : مكية ٣٨ .

(١٨٩) يروى عن أبى هريرة قال : (ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله ﷺ) سنن الترمذى ٤:٢١٤ رقم ١٧١٥ باب ما جاء فى المشورة .

(١٩٠) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى بلفظ (ان لى وزيرين من اهل السماء ووزيرين من أهل الارض ، فاما وزيراى من أهل السماء فجبرائيل ومكيائيل وأما وزيراى من أهل الارض فابو بكر وعمر) . المستدرك على الصحيحين ٢:٢٦٤ .

(١٩١) أخرجه ابن ماجه عن على بن ابى طالب رضى الله عنه . سنن بن ماجه ١ : ٤٩ رقم ١٣٧ فى فضل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد أشيرا على اليوم ما تريان(١٩٢)

وكان عبد الله بن المعتز يقول : المشورة راحة لك ، وتعب على غيرك(١٩٣) . وفى بعض كتب الهند : من وصل عقول العقلاء بعقله استبان بها من الامور مثل الذى يستبين فى الظلمة نور المصابيح .

ولا يجوز للملك أن يغفل هذه الخلة ، ويضرب عنها صفحا مع جلالة موقعه ، وعلو مرتبته ، وعظم الخطر فى كثير من أموره ، على ما فيه من الائتمار بأمر الله والاقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم .

فى التوسط :

ومن هذا الباب العدل فى السيرة ، وسلوك الواسطة وتجنب أطراف الفضائل ، ومجاوزة الحدود ، والميل الى ترك الإفراط والتفريط ، فإن الطريقه المحمودة بينهما ، والشجاعة بين التهور والتحرز ، والعبادة بين التهتك والتبتل ، والحزم بين الاستقصاء والإهمال ، والجود بين التقتير والتبذير ، والحلم بين الطيش والتذلل ، والتواضع بين التملق والتكبر ، والغنى بين الاكثار والاقتار .

وقد بين الله ذلك فى كتابه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)(١٩٤) .

(١٩٢) أورده الماوردى فى أدب الدنيا والدين ص ١٣٥ والشطر الثانى من البيت : وأشير على باللذى تريان ، وبهجة المجالس ج ٤٥٣:١ ونسبه الى عطارد بن قرن توفى ١٠٠هـ تقريبا ، وورد فى الاعلام ج ٣١/٥ .

(١٩٣) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ٤١٨ .

(١٩٤) ١٧ الاسراء : مكية ٢٩

وقال : (والذين إذا انفقـوا لم يسرفـوا ولم يـقتروا وكان بـين ذلك قـواما)[١٩٥] .

وقال فيما نقل عن لقمان فى مواعظه لابنه : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا)[١٩٦] ولقن الله عباده الدعاء بالجمع بين حسنى الاخرة والاولى فقال : (ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الاخرة حسنة) [١٩٧] وقال الله : (فاتقوا الله ما أستطعتم) [١٩٨] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل : (انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك، ونهكت نفسك ، ولكن قم ونم وصم وافطر)[١٩٩] .

وقال : (خير الناس النمط الاوسط الذى يرجع إليه الغالى ويلحـق به التـالى)[٢٠٠] .

وقال : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[٢٠١] .

---

(١٩٥) ٢٥ الفرقان : مكية ٦٧ .
(١٩٦) ٣١ لقمان مكية ١٨ .
(١٩٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٠١ .
(١٩٨) ٦٤ التغابن : مدنية ١٦ .
(١٩٩) يروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يسرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه الى رسول الله فقال له : ان لعينيك عليك حقا،وان لاهلك عليك حقا ، قم ، ونم ، وصم ، وافطر ، ثم صم ثلاثة أيام فى كل شهر فذلك صيام الدهر . الاستيعاب ٣ : ٩٥٧ ، أخرجه الخمسة الا الترمذى . تيسير الوصول ١ : ٢٨ .
(٢٠٠) من اقول على بن ابى طالب . نثر الدر للابى ١ : ٢٧٧ .
(٢٠١) أخرجه البخارى والنسائى بلفظ : (ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه) تيسير الوصول ١ : ٢٩ .

(٤١/ أ) وفى كتاب أمير نامه : لا تعظم صغيرا ، ولا تصغرن عظيما، ولا تنس القصد والقدر فى أمورك كلها ، فإن من جاوز القدر مذموم ، وإن كان أوله محمودا .

وكانت العرب تقول : (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما)[٢٠٢] .

والآثار فى هذا الباب كثيرة ، وتفسير الضرر العارض فى كل باب منه فى المملكة والعمارة والسياسة والديانة عسير ، والآخذ نفسه بالمذهب المرضى فيه عزيز ، والملك الفاضل أولى الناس وأحراهم باقتناء هذه الفضيلة واجتناب هذه الرذيلة .

فى الحسد :

ومن هذا الجنس الحسد ، فان الله — جل وعز — ذم الحسد فى غير موضع من كتابه ، وأمر بالاستعاذة من شر الحسود ، وقال : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)[٢٠٣] إخبارا منه — جل وعز — أن حسد الحسود لا ينفع الحاسد ولا يضر المحسود .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إياكم والحسد فإنما

---

(٢٠٢) حديث حسن ، اخرجه الترمذى والبيهقى عن ابى هريرة — صحيح الجامع الصغير ١ : ١١١ رقم ١٧٦ ورواه الطبرانى فى الاوسط والكبير عن ابن عمر ، وفيه جميل بن زيد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٨٨:٨ .
(٢٠٣) ٤ النساء : مدنية ٥٤ وفى الاصل فى الاية : الحكم والنبوة .

هى الحالقة لا أقول أنها تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين) [٢٠٤] .

وقال أردشير : « ليس للملك أن يحسـد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير » [٢٠٥] .

فى النهى عن هذه الرذيلة آثار كثيرة ، ولم يزل الحاسد مذموما عند العلماء موصوفا بالجهل عند العقلاء ، وذلك لضره بنفسـه بما لا يضر به غيره وتكديره لمعيشته ، ودفعه عن نفسه لذة حياته .

فى التأنى والتدبر :

ومنها التثبت فى الامور المشكلة ، واستبانة العـوارض المبهمـة ، واستعمال التأنى والتؤدة ، فان الله قد أمر بذلك فى كتابه فقال : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قـوما بجهـالة فتصبحـوا على ما فعلتم نادمين) [٢٠٦] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تعجل بالقـرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) [٢٠٧] . وعلى أنه قد روى صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأنى من الله) [٢٠٨] .

---

(٢٠٤) رواه أبو داود والبيهقى بلفظ « اياكم والحسد فان الحسـد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . الترغيب والترهيب ٤:١٢ ورواه ابن ماجه عن أنس بلفظ « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٠٨ رقم ٤٢١٠ فى كتاب الزهد ، باب الحسد .

(٢٠٥) عهد أردشير تحقيق احسان عباس ص ٦٩ .

(٢٠٦) ٤٩ الحجرات : مدنية ٦ .

(٢٠٧) ٢٠ طه : مكية ١١٤ .

(٢٠٨) حديث حسن ، أخرجه البيهقى عن أنس بلفظ « التـأنى من اللـه والعجلة من الشيطان » صحيح الجامع الصغير ج٣ ص ٥٧ كما رواه ابن أبي =

ثم لا يجب أن يكون تأنيه فى الامور بـــلادة وكســـلا ، ولكن تفكرا وحذرا من زلل المستعجل وخيبة[٢٠٩] الغافل ، ورغبة فى اصابة العاقـــل . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (٤١/ب) أنه قال : (إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته ، ، فان كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانهه)[٢١٠] .

وحكى عن قثم بن جعفر بن سليمان قال : حدثنى حسن الخادم قال: أشهد بالله ، لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبى ثوبه ويدى يده وهو يقول فى مناجاته ربه : اللهم إنى أستخيرك فى قتـــل جعفر بن يحيى » ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست[٢١١] .

فالواجب على الملك الفاضل أن لا يخرج له فعـــل إلا بعد التـــدبير والتفكر فى رشده وغيه وخيره وشره فيجتبى خيره ويدع شره ، فان عزم على فعل الشر لا محالة أخره ، وإن عزم على فعل الخير عجله ، لأن الشر إذا فاته لا يضره وربما نفعه ، والخير إذا فاته ضره ولم ينفعه ، بل ربمـــا عظمت عليه ندامته وكثرت حسرته ، ثم إن واقع خيرا وعمل حسنة حمد الله على حسن توفيقه له ، ومعونته عليه ، وهدايته اليه ، وان واقع سيئة وفعل شرا ندم عليه ، واستغفر الله تبارك وتعالى ، وتاب اليه منه فان الله لم يعد

= شيبة وأبو يعلى وابن منيع والحارث بن أسامة فى مسانيدهم،وله شواهد عند الترمذى ، وقال حسن غريب بلفظ « الاناه من الله والعجلة من الشيطان » كشف الخفاء ١ : ٣٥ .

(٢٠٩) غير واضحة فى الاصل .

(٢١٠) حديث موضوع أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن أبى جعفر بن سور الهاشمى مرسلا . ضعيف — الجامع الصغير ج١ ص ١٤١ وان المبارك :الزهد ص ١٤
كشف الخفاء ٢:٥٠٨ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١١) الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك تحقيق فوزى العطوى ص ٧٣،٧٤

لأحد من عباده المغفرة إلا بالاستغفار ، وترك الإصرار ، ولا توبة بالرحمة عليه إلا بعد توبته من المعصية له وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)[٢١٢] ثم اذا سنحت[٢١٣] الآراء المختلفة ، وتزاحمت عليه الامور المتمايلة ، فالواجب أن يبدأ بالدين يتقدم له أجره ، ويبقى له ذخره ، ثم يثنى[٢١٤] بالمكارم التى يبقى له ذكرها ، ويطيب له نشرها ، ولا ينبغى أن يرغب عما يبقى له الذكر الحسن والثناء الجميل ، فان الله ـ جل وعز ـ مع علوه عن أن تلحقه المنافع والمضار والآلام والملاذ رغب فى الشكر من خلقه واستدعاه منهم ، وأوجبه عليهم فقال : (اشكروا لى ولا تكفرون)[٢١٥] . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وأما بنعمة ربك فحدث)[٢١٦] .

فى بقاء الذكر :

وأعظم الله المنة على نبيه ـ عليه السلام ـ حين رفع ذكره فقال : (ورفعنا لك ذكرك)[٢١٧] . ولم تزل العقلاء من ملوك العالمين والفضلاء من المؤمنين يسعون لهذه الخله ، ويجتهدون فى نيلها ، ويشترونها بالابدان والاموال والارواح والاملاك ، ورأوا أن بقاء الذكر بقاء للمذكور حتى

---

(٢١٢) رواه ابو الشيخ والديلمى عن ابن عباس . رفعه ، وكذا العسكرى عنه فى الامثال بسند ضعيف ، وأخرجه الطبرانى عن أبى هريرة ، وزاد فى آخره « فطوبى لمن وجد فى كتابه استغفارا كثيرا » لكن فى. اسناده بشر بن عبيد الفارسى متروك ، كشف الخفاء ٢:٥٠٨ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١٣) سنح الرأى أو الامر عرض ـ المنجد ص ٣٦٧ .

(٢١٤) فى الاصل غير واضحة .

(٢١٥) ٢ البقرة : مدنية ١٥٢ .

(٢١٦) ٩٣ الضحى : مكية ١١ .

(٢١٧) ٩٤ الشرح : مكية ٤ .

احتال لذلك كثير من الملوك (٤٢/ أ) والحكماء بأنواع الحيل ، فمنهم من طلبه بابتناء الابنية العجيبة الوتيقه ، والتصاوير الانيقة المنقورة فى الجبال والصخور ، والمنقوشة فى الابنية والدور الباقية على مر الدهور ، ومنهم من طلبه فى تأليف الكتب وتصنيف العلوم التى يبقى له نفعه ويحيا به ذكره على وجه الزمان ومر السنين والاعوام ، ومنهم من طلبه باظهار السياسات العادلة وبناء المحامد الفاضلة ، ومنهم من طلبه بالبعادة والتدبر والدعـوة اليه فنال الدنيا والآخرة . وهذه الخصلة من أجل الخصال الدالة على بعد الهمة فى طلب البقاء لأن صاحبها يسمـو بهمته إلى بقـاء الابد والنعيم السرمد ، فاذا لم يجد الى ذلك فى هذه الدار الفانية والحياة المنقضية الماضية احتال القوى العزم لنيله ذلك فى دار القرار ، والذكر فى هذه الدار ، وذكر الناس جميعا إبراهيم — عليه السلام — فقال : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم)[٢١٨] .

ولقد ذكر ذلك أردشير فى عهده ، وجعله من خاص فضائل الملـوك حيث قال : « واعلموا أن لباس الملك ومطعمه مقارب للبـاس السـوقة ومطعمهم وبالحرى أن يكون فرحهما بما نالا من ذلك واحـدا ، وإنمـا فضل الملك[٢١٩] على السوقة إنما هو لقدرته على اقتناء المحامد وقوته على استفادة المكارم وأن الملك اذا شاء أحسن ، وليس للسوقة ذلك »[٢٢٠] .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر : واعمل على أنهم فى عقبـك ، وأن

---

(٢١٨) ٢٦ الشعراء : مكية ٨٤ ، ٨٥ .
(٢١٩) فى الاصل (الملـوك) .
(٢٢٠) عهد أردشير : ٧٠ بتحقيق د — احسان عباس .

مديحهم أ.لول عمرا منك[٢٢١] ، فــلا ينبغى للملك الفاضــل أن يرغب عن هذه الخصلة الشريفة والمنقبة الجليلة ، ولكن يجب أن يرغب منها فى أفضلها، وأعلاها ، وأجلها ، وأبقاها ، ويجتهد فى أن يكون الذكر الحسن يجرى على ألسنة الصادقين الدين لا يظــن بهم الكذب ، والفضــلاء الذين يسمون بأنفسهم ، ولا يعرفون باللعب ، ولا يجعلون المدح والثناء أسواقا يطلبون منها الارباح ، ويبغون بها قضاء الحاجات كالمخانيث والمساخر والملهين ، فإن مدائح أمثالهم على الحقيقة مذام ، ومادحهم ملاوم لانهم يمدحون المذموم إذا أعطاهم ، ويذمون المــدوح إذا حــرمهم ، ثم لا يقبــلون (٤٢/ب) معذرة ، ولا يقيلون عثرة ، ولا يغفرون زلة ، ثم ليــس لهم فى كتاب اللهقسط ولا فى مال الله ســهم ، فاذا أعطاهم الملك ما أرضــاهم به أسخط الله — جل ذكره — واستندم الفضلاء وأهل الدين .

وقد قال النبى ﷺ : (إذا رأيتم المــداحين فاحثــوا فى وجــوههم التراب) [٢٢٢] .

---

(٢٢١) رسالة أرسطاطاليس للاسكندر فى السياسة : ٤٩ بلفظ (واعلم أن الايام تأتى على كل شىء فتحلق الافعال وتمحو الاثار فتميت الذكر الا مارسخ فى قلوب الناس محبة تتوارثها الاعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجميل الــذى لا يموت وفى سر الاسرار : ص ٧٥ يقول : (الرياسة ليست نراد لنفسها وانما للذكر الجميل ، وفى:ص ٧٨ ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهم ويكثر منحهمويعفو عن مذنبهم .... فيجمل موقع هذا من نفوسهم ويعظم سرورهم وتتشرب ذلك قلوبهم ويتحدثون بذلك عند أهليهم وبنيهم ، فينشأ الطفل منهم على طاعة ومحبة وتسر نساؤهم بما سر رجالهم .

(٢٢٢) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن المقداد بن عمر ، بلفظ : (قــالا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو فى وجوه المداحين التراب) سنن ابن ماجه ١٢٣٢:٢ رقم ٣٧٤٢ فى كتاب الادب ، باب المدح ، والترمذى ٥٩٩:٤ رقم ٢٣٩٣ فى الزهد باب ما جاء فى كراهية المدحة والمداحين .

ولقد أحسن عمرو بن بحر [٢٢٣] — رحمه الله — فى فصل من كتابه حيث قال : واعلم أن نشر المحاسن لا يليق فيك الا اذا كان القول على ألسنة أهل الروايات وذوى الصدق والوفاء ، ومن ينجع قوله فى القلوب ، ومن يشتاق إلى قوله ويصدق خبره ، وممن إذا قال صدق أو مدح اقتصد ويثنى بقدر البلاء •

فى الثناء والمدح :

فإن إسراف الثناء على قدر النعمة يولد فى القلوب التكذيب ، ويدل على طلب الزائد ، فأما ثناء المادحين لك فى وجهك ، فانما تلك أسواق أقاموها فان ساهلوك فى المبايعة ولم يكن عليهم فى الثناء كلفة لكساد أقاويلهم عند الناس ، فأولئك الصادقون عن طرق المكارم والمثبطون عن ابتغاء المعالى ، فارتد لنفسك مغرسا تنمو فيه فروعها ، وتزكو ثمرتها •

اشتغال الملوك بعظام الامور .

لا تذهب نفقتك ضياعا الا لاجل تقدمه ، أو لعاجل من ثناء ينتفع به ، ثم إذا قابلت الامور ، وازدحمت واستوت فى هذه الأبواب ، فالواجب أن تشتغل بأعظمها خطرا ، وأجلها قدرا ، وأكثرها إن فات ضررا ، فإن الاشتغال بصغار الأمور على كبارها إضرارا بالكبار والصغار جميعا ، وإضاعة وإهمال فإن استوت فى هذا الباب فبأقربها متناولا وأرجاها دركا ،

---

(٢٢٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنائى بالولاء الليثى ، ويكنى ابا عثمان ، والملقب بالجاحظ كبير ائمة الادب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده بالبصرة ، وتوفى بها عام ٢٥٥هـ . نزهة الالباء : ١٤٨ ، وفيات الاعيان ٣ :١٤٠ ، ومعجم الادباء ٦ :٥٦ / ٨٠ .

فان مزاولة تبعيد القريب وتقريب البعبد صعب شديد ، وخـرق عتيـد ، وتضييع وإهمـال .

وهذه جملة كافية فى باب المساعى والأفعال ومـوازنة الأعمـال ، وملابسة الاشغال ، وفيها تمام أبواب الفضائل النفسانيه ، وأصـولها ، وعوام مالا بد منه من فروعها ، ذكرناها ، ودللنا عليها ، وحررنا ما يعرض للملوك وغيرهم فى هذا الوقت اذ لا نهاية لها ولا يمكن حصرها .

الالتزام بالكتاب والسنة والاجماع :

وليس شىء مما يحتاج اليه الملوك والرعايا والرؤساء والمرؤوسون فى دين أو دنيا إلا وجدت له فى كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ وسيره وأخباره أصلا محـكما ، وأثرا بينا ، اما نصـا (٤٣/ أ) لا مخـالف له ، ولا شبهة فيه ، وإما دلالة يسهل استخراجه أو مجملا يمكن شرحه وتفسيره وكيف لا يكون كذلك والله — تبارك وتعالى — يقول : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)[٢٢٤] ويقول : (ونزلنا عليك الكتاب بيانا لـكل شىء)(٢٢٥) . فكل من ادعى حكمة أو علما يخالف ما فى كتاب الله أو يضـاده دينا فيـه ويدافعه فهو جهل محض وعيب بحت لا حكمة معه .

وقد أمر الله خلقه بكل خير وفضيلة ونهى عن كل شر واثم ورذيـلة — فقال جل وعز — (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[٢٢٦] . وقال : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)[٢٢٧] . وقال : (ولا تقـربوا الفـواحش ما ظهـر منهـا وما

---

(٢٢٤) ٦ الانعام : مكية ٣٨ .
(٢٢٥) ١٦ النحل : مكية ٨٩ .
(٢٢٦) ٢٢ الحج : مدنية ٧٧ .
(٢٢٧) ١٦ النحل : مكية ٩٠ .

بطن)[٢٢٨] • وقال . (فمن يعمل من الصـــالحات وهـــو مؤمن فلا كفران لسعيه) [٢٢٩] • وقال : (من يعمل سواء يجز به) [٢٣٠] • فحث جل ذكره على كل خير ودل مجملا على كل فضل ، ثم نشر كثيرا منهـــا على لســـان رسوله ﷺ ، وكل ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من أخباره ، وثبت على ألسنة الرواه من آثاره فانما هو مما نص الله عليه على هذا الترتيب ، لأنه قال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٢٣١] • وقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[٢٣٢] • فاذا تتبعنا بأمر الله آثار نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيره ، ومغازيه ، وجدنا فيها كل حكمة بالغة ، ومنقبه جايلة ، وشرف ، وفضيلة ، وأدب حسن ، وقول متقن، وأصل من أصول الدين قوى وعلم بين •

ثم دل النبى ﷺ على طلب الحق فى إجماع أمته ، وعند علماء صحابته فقال : (لا تجمع أمتى على ضلالة)[٢٣٣] وقال : (اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر) [٢٣٤] وقال : (أصحابى كالنجوه بأيهم أقتديتمأهتديتم)[٢٣٥]

---

(٢٢٨) ٦ الانعام : مدنيه ١٥١ .

(٢٢٩) ٢١ الانبياء : مكية ٩٤ وفى الاصل « ومـــن » .

(٢٣٠) ٤ النساء : مدنية ١٢٣ .

(٢٣١) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ .

(٢٣٢) ٤ النساء : مدنية ٥٩ .

(٢٣٣) رواه أحمد والطبرانى ى الكبىر وابن أبى خيثمة فى تاريخه عن أبى نصره الغفارى رفعه ى حدىث (سألت ربى أن لا تجتمع أمتـــى عل ىضلالـــة ، فأعطانيها) كشف الخفاء ٢ : ٤٨٨ ، المقاصد الحسنة ٤٦٠ رقم ١٢٨٨ .

(٢٣٤) صحيح،رواه أحمد والترمدى وابن ماجه عن حذيفة ، وزاد العقيلى « واهتدوا بهدى عمار ، وما حدىكم ابن مسعود فاقبلوه » . كشف الخفاء ١:١٨١ كما رواه ابن عدى ى الكامل ، صحيح الجامع الصعير ج ١ ص ٣٧٢ .

(٢٣٥) ضعيف ، رواه البيهقى ، واسنده الدىلمى الى ابن عبـــاس بلفظ « اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتدىتم اهتدىتم) . كشف الخفاء ١:١٤٧ وكنز العمال ١:١٩٩ .

وفضل كلا من أصحابه بما خصه الله به من الفضـيلة ، وآتاه من المآثر الجليلة ، فدلنا النبى ﷺ على أخذ العلم من بعده منهم ، والاقتـداء فيما أصابوا بهم ، وإذا تتبعنا أخبارهم واقتفينا آثارهم وجدنا فيها كل حكمة وزهد وعبادة وسيرة فاضلة ومنقبة شريفة . ثم لم يزل فى ملة الإسـلام — ولله الحمد — علماء يعلمون كتابها ، ويفسرون مشكلها ، ويفرعون أصولها، ويستخرجون حوادنها ، ويحامون عنها بالحجج الظاهرة والدلائل القاهرة ، والملوك وان كان فيهم مـن مال (٤٣/ب) الى الدنيـا وأغتر بزبرجهـا وزخرفها ، لم يدعوا الدب عن اثلتها[٢٣٦] والدفاع عن بيضتها ، والحمل على ظواهر شريعتها ، ولهم سير عجيبة وآثار غـريبة ، فاذا تتبعها الملك المعنى بصلاح مملكته ، وعرفها الداعى المهتم بأمور رعيته ، وجد فى كل باب من هذه الأبواب كل ما يحتاج إليه فى أحكام سياسته ، ورياضة نفسـه وإصلاح مملكته ، ويجمع له مع ذلك تقوى ربه والفوز فى عاقبته وحسن الأحدوثة فى حياته وبعد وفاته بعون الله ومشيئته وحوله وقوته .

---

(٢٣٦) أثلتها : أثلة كل شىء أصله . وتأثيل المجد اى بناؤه . اللسان : مادة أثـل .

الباب السادس

فى سياسة الخاصة

واذ قد ذكرنا ما يجب على الملك الفاضل فى سياسة نفسه ورياضتها على تقوى الله — جل ذكره — والاقتداء به فى أفعاله ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن زواجره ، والتأدب بآدابه التى يستجمع بها الخصال الفاضلة الشريفة ، والخلال المستحسنة الحميدة ، فان أولى الاشياء بنا أن نصف[1] له سياسة خاصته وخدمه وحاشيته فنقول :

الملك وأخلاق خاصته :

ان مما يجب على الملك الفاضل أن تكون عنايته بأمر خاصته أقدم وأكثر وأعم وأوفر حتى يروضهم رياضة لا يكون فى أهل مملكته وضمن ولايته من هو أسرع الى طاعته وأبعد من معصيته ، وأقوى عزما فى نصرته ، وأحسن أدبا فى خدمته منهم ، اقتداء بالله — جل وعز ، واحتذاء على مثاله فى خلقه. ذلك أن الله — عز وجل — لما خلق خلقه ، وأوجب فى حكمته أمرهم وزجرهم وتعبدهم بما هو أصلح لهم ، وأنظم لأمورهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم وأولاهم ، أصطفى منهم ملائكة جعلهم جنودا على خليقته موكلين بأمور بريته ، وأعوانا لاهل دعوته ، وجعلهم أقرب الخلق اليه منزلة ، وأدناهم من كرامته مرتبة ، واجتباهم ممن علم أنهم لا يعصونه ما أمرهم بل يسبحون له الليل والنهار وهم لا يسأمون ولا يفترون ، وجعلهم مع ذلك أطولهم بقاءا ، وأقواهم على طاعته قوة ، وأوسعهم على تنفيذ أوامره ، وتبليغ رسالاته فى أرضه وسماواته قدرة .

---

(١) فى الاصل : (يصف) .

ثم اصطفى من الناس رسلا ، فصيرهم أمناء على خلقه ، فجعلهم ممن علم أنهم أقوى الخلق عزيمة ، وأبعدهم بصيرة ، وأكثرهم له طاعة ، وأقلهم له بعد الملائكة (٤٤/ أ) معصية ، وأنهم لا تكون منهم كبيرة يخرجون به من ولايته ، ويزنون بعداوته ، أو يتهمون بها فى أداء رسالته ، وتأسيس ملته وديانته ونسريعته وصنعته ، بل جعلهم أمناء ، نجباء ، حكماء، علماء فضلاء ، أبرار ، أتقياء ، كراما ، أقوياء على ما بين من ذلك فى كتابه، وأوضحه فى خطابه حيث قال : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٢] .

ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)[٣] . ويقول : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكه المقربون)[٤] . ويقول: (كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)[٥] . وقال : يسبحون اليل والنهار لا يفترون)[٦] . وقال : (بأيدى سفره كرام بررة)(٧) . وقال : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين)[٨]. وقال فى صفة أنبيائه من البشر : (وابراهيم الذى وفى) . وقال : (واتخذ الله ابراهيم خليلا)[٩] . وقال فى صفة موسى : (وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى)[١٠] . وقال : ان خير من أستأجرت القوم الامين)[١١] ، وفى

---

(٢) ٦ الانعام : مكية / ١٢٤ فى الاصل : (الله يعلم حيث يجعل رسالاته)
(٣) ٢٢ الحج : مدنية / ٧٥ .
(٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٧٢ .
(٥) ٨٢ / الانفطار : مكية / ١٢ ، ١٣ .
(٦) ٢١ / الانبياء : مكية / ٢٠ .
(٧) ٨٠/ عبس : مكية / ١٥ ، ١٦ .
(٨) ٨١ / التكوير : مكية / ١٩—٢١ .
(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٢٥ .
(١٠) ٢٠ طه : مكية / ١٣ .
(١١) ٢٨ / القصص : مكية / ٢٦ .

يوسف : (اجعلنى على خـزائن الارض انى حفيـظ عليم)[١٢] وقال فى صفة عيسى : (وجعلنى نبيا ، وجعلنى مبـاركا أينما كنت ، وأوصـانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا)[١٣]. وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : (وإنك لعلى خلق عظيم)[١٤] . وقال : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)[١٥] . ثم أمدهم جميعا بتوفيقه ، وعصمهم بتسديده ، وقواهم بأسره ، وأعـزهم بنصره ، وأيد بصائرهم بفضله وطوله .

فكذلك يجب على الملك أن يروض عليه ، ويسوس به خاصته على مقدار طاقته ، ومنتهى قوته .

ثم أن يحل خاصته على مقدار طاقته ومنتهى قوته منه محل الآله من الصانع التى لا يجوز له تنفيذ شىء من صـناعاته وارادته الا بهـا ، لان الآله اذا فسدت فسد العقل وتعذر انقاذه ، وابرامه ، واتقانه ، واحكامه.

ثم لأن جل أموره مفوضة اليهم ومعصوبة بهم ، وهم منسوبون اليه . ومشبهون به ، يستدل بآدابهم على أدبه ، وبأخلاقهم على خلقه ، وبدينهم على دينه ، ويحكم له وعليه بما يتشاهد منهم ، وليس ذلك كذلك فى أمـر العامة لان لكل واحد منهم رابا والد ، ومؤدب ، ومعـلم ، ومثقف ، يكفى أمره ، ويخرجه على ما يحتمله حاله ، وتبلغه طاقتـه ، واختياره وهمتـه (٤٤/ب) وايثاره وتدبيره فى الرياضة والسياسة .

---

(١٢) ١٢ / يوسف : مكية / ٥٥ .
(١٣) ١٩ / مريم : مكية / ٣٠ـ٣٢ .
(١٤) ٦٨ / القلم : مكية / ٤ .
(١٥) ٤ / النساء : مدنية / ٤١ .

فى تأديب الخـاصـة :

وقد أمر الله — جل ذكره — بتأديب الخاصة نصا فى كتابه فقال — جل وعز — (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[١٦] . وقال : (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)[١٧] . وقال : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)[١٨] . وقال لنبيه فى أول ما أمره بالانذار : (وأنذر عشيرتك الاقربين)[١٩] . فجمع النبى صلى الله عليه وسلم عمومته وبنى عمومته من عبد مناف فقال : (يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا)[٢٠] وأثنى الله على نبيه اسماعيل — عليه السلام — بذلك فقال : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة)[٢١] . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا ترفع عصاك عن أهلك »[٢٢] . وقال :

---

(١٦) ٢٠ / طه : مكية / ١٣٢ .
(١٧) ٧/ الاعراف : مكية / ١٤٥ .
(١٨) ٦٦ / التحريم : مدنية / ٦ .
(١٩) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٤ .
(٢٠) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : « قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الاقربين) قال : «يا معشر قريش» أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب !لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا . ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا » .صحيح البخارى ٨ : ٣٨٦ ، ومسلم ١:١٩٢ ، واللؤلؤ والمرجان ٥٢
(٢١) ١٩ مريم : مكية ٥٥ .
(٢٢) رواه الطبرانى فى الصغير عن ابن عمر : المعجم الصغير ١:٤٤ ، والاصبهانى فى الحلية ٧:٣٢٢ بلفظ « لا ترفع العصا عن أهلك ، وأخفهم فى الله» ولدى المناوى «السوط» بدلا من «العصا» كنوز الحقائق ١٣٩ .
ورواه الطبرني عن ابن عباس بلفظ « علقوا السوط حيث يراه أهلك ، =

« علموا أولادكم الصلاة اذا بلغوا سبعا وأضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا »[٢٣] • وسن النبى صلى الله عليه وسلم تأديب الصبى وتقويمه بالختان وتعليم القرآن ، ورخص العلماء فى ضرب الصبى على البطالة والغرامة قبل وجوب الاحكام عليه ، ولزوم وظائف الدين له ،وروى أن آخر ما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أن قال (الصلاة وما ملكت أيمانكم)[٢٤] • وأمر النبى صلى الله عليه وسلم باخراج زكاة الفطر عن الصبى ورخص العلماء فى اخراجه من مال اليتيم تأديبا له وتقويما للخير والدين •

واختار الله لصحبة نبيه صلى الله عليم وسلم أقواما ، وجعلهم له أنصارا وأعوانا ، فأمره بتأديبهم ، وتقويمهم وتثقيفهم ، وتعليمهم ، وترغيبهم ، وتخويلهم بالموعظة ، وتعهدهم بالتذكرة حتى كانوا أفضل أمته فضيلة ، وأبعدهم فى الفضل غاية ، وأرفعهم درجة ، فصاروا أمناء أتقياء علماء حكماء أبرارا عبادا أحبارا ، منادين بالمعروف زجارين عن المنكر ، مجاهدين فى لله ، مقتدين بأنبياء الله رحمة الله عليهم ، كما قال الله : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)[٢٥]•

= ادب لهم » مجمع الزوائد ١٠٦:٨ ، وقال الالبانى : الحديث حسن . صحيح الجامع الصغير ٣٧:٤ برقم ٣٩١٠ .

(٢٣) صحيح ، اخرجه البزار عن ابى هريرة ، صحيح الجامع الصغير ٣٨:٤ رقم ٣٩١٤ .

(٢٤) صحيح،اخرجه ابن حنبل والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن أنس، والطبرانى عن ابن عمر ، وابن حنبل وابن ماجه عن أم سلمة. صحيح الجامع الصغير ٣٦٦:٣ رقم ٣٧٦٧ .

(٢٥) ٤٨ الفتح : مدنية الاية ٢٩ .

وقال : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) [٢٦] .

وقد دل على جهه الصلاح فى ذلك أردشير الملك فى عهده حيث قال : (ان لكل ملك بطانة ، ولكل رجل من بطانته بطانة . حتى يجتمـع فى ذلك (٤٥/أ) جميع أهل المملكة ، فاذا قام بطانته على حال الصواب أقام كـل امرىء منهم بطانته على مثال ذلك حتى تجتمع على ذلك عامة الرعية)[٢٧].

وقال أرسطاطاليس للاسـكندر : « ألزم خـدمك الذى ترضـاه لنفسك »[٢٨] . وقال : « زين أمرك فى العامة ، وتفقد جندك ، واعمل على أنهم أعضاؤك ، والباب الذى تنال منه مذلة عدوك وتحترس من مضرته اصلحهم لأنفسهم فان فى صلاحهم صلاحا للرعية ودركا للغلبة ، قو ضعيفهم يقـو أمرك ، واجبر فقيرهم يشد ساعدك » .

فالواجب على الملك الفاضل الائتمار بأمر الله فى سياسة خاصـته ، وأهله ، وحاشيته ، وجنوده ، وأعيانه والاقتداء بنبيه صلى الله عليه .

طبقـات خاصـة الملك :

وخاصة الملك الذين عنينا بهم فى هذا الموضع على طبقـات بنيت ، بعضهم أخص من بعض ، فأخصهم به ولده ، وخدمه من قرابته ، وخاصته، ثم عبيده ومماليكه ، وخاص فتيانه وغلمانه ، ثم وزراؤه وكتابه ، وكفـاة أشغال حضرته . ثم جنده ، وقواده ، وأساورته ومقاتليه .

ثم عماله الذين يستعين بهم فى اصلاح مملكته النائيه عن بابه وداره

---

(٢٦) ٤٨ الفتح : من الاية ١٨ .

(٢٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ص ٧١ .

(٢٨) رسالة أرسطاطاليس الى الاسكندر فى السياسة ص ٤٣ .

والخارجة عن مركزه وقراره ٠

حق الولد على أبيــه :

فمن من أول حق الولد ان ينتقى أمه ، ويتحير قبل الاستيلاد منهن الجميلة الشريفة ، الدينة العفيفة ، العاقلة لأمورها ، المرضية فى أخلاقها ، المجربة بحسن العقل ، وكمال المواتيه لزوجها فى أحواله ، قال الله تبـارك وتعالى فى جملة هذه القضايا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات،مؤمنات ، قانتات ، عابدات،سائحات ، ثيبات وأبكارا)[٢٩] ثم وصف — عز وجل — ما رغب فيه عباده المؤمنين فى الحــور العــين بالحسن التام مجملا ومفصلا وبالبكارة والستر والعفــة فقال (: أنا أنشأناهن أنشاء ، فجعلنــاهن أبكــارا عــربا أترابا) [٣٠] ٠ وقال (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون)[٣١] ٠ وقال : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)[٣٢] ٠ وقال : (حــور مقصــورات فى الخيام)[٣٣] ٠

فبين أن الرغبة من النساء فى أهل هذه الصفات ، ثم قال فيما يخالف هذا : (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحــرم ذلك على المــؤمنين)[٣٤] ٠ (٤٥/ب) وقال فيما أدب به النساء : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظن فــروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن)[٣٥] وقال : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)[٣٦] ٠

وجعــل النبى صلى الله عليه كل ما يكون من المــرأة من رمــز بعين أو اشارة بيد أو سير أو اظهار زينة أو تبرج من أبواب الزنى ٠ ثم قال :

---

(٢٩) ٦٦ / التحريم : مدنية ٥ ٠
(٣٠) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٣٥ — ٣٧ ٠
(٣١) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٢٢ ٠
(٣٢) ٥٥ / الرحمن : مكية / ٥٦ ٠
(٣٣) ٥٥ / الرحمن : مدنية / ٧٢ ٠
(٣٤) ٢٤ / النور ، مدنية / ٣ ٠
(٣٥) ٢٤ / النور : مدنية / ٣١ ٠
(٣٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٣٣ ٠

(تخيروا لنطفكم)[٣٧] • وقال : (تنكح المرأة : لمالها وميسمها عليك بذات الدين تربت يداك » [٣٨] •وقال « اياكم وخضراء الدمن » قيل : يا رسول الله ما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء فى منبت السوء »[٣٩] •

وقد جرت العادة فى أهل كل دين وملة . وجيل وأهل نحله ، بطلب الكفاة فى باب النكاح والانكاح ، وجعل الدين هذا شريعة من الشرائع ، كل ذلك طلبا لنجابة النسل وتخيرا للطروقة والفحل ، وضنا بالنجابة التى فى النجار [٤٠] أن ينتقل الى غيره . وهربا من تدنيس النسب •

والملك على جلالة شأنه ، وعلو مكانه أحق الناس بابتغاء هذه الفضيلة، واطلاب هذه المنقبة لولده ، لعله يوصل ، ويرجو أن يسد مسده ، ويأخذ مكانه ويملك جماعه من أهل جنسه ، وحرمه ، وخدمه لا يحصيهم الا الله ،

---

(٣٧) حديث صحيح ، أخرجه الحاكم فى مستدركه ، وابن ماجه فى سننه والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة . صحيح الجامع الصغير : ٣٧ .

(٣٨) هكذا بالاصل ولكن المشهور « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربة يداك » . حديث صحيح،أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأبى داود عن أبى هريره . صحيح الجامع الصغير ج٣ ص ٥٦ واللؤلؤ والمرجان الحديث ٩٢٨ ، وسنن ابن ماجه الحديث ١٨٥٨ .

(٣٩) رواه الدارقطنى فى الافراد ، والرامهزى والعسكرى فى الامثال ، وابن عدى فى الكامل والقضاعى فى مسند الشهاب ، والخطيب فى ايضاح الملبس ، والديلمى من حديث الواقدى عن أبى سعيد مرفوعا ، وذكره أبو عبيد فى الغريب .

ومعنى الحديث : أنه كره نكاح ذات الفساد ، وأن اعراق السوء تنزع اولادها ، وأصله أن النبات ينبت على البقر فى الموضوع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا ، اذ الدمن جمع دمنة وهى البقره ، مسند الشهاب ٢ : ٩٦ رقم ٦٢٢ ، كشف الخفاء ١ : ٣٢٠ .

(٤٠) النجار : (بكسر النون أو ضمها مع تشديدها) الاصل والحسب . لسان العرب المحيط ٣:٥٨٥ .

ويرشحه لعمارة بلاد الله ، وسياسة عباده ، وحمايه دينه ، فاذا فعل ذلك فالواجب عليه أن يطلب الولد على ما جاءت به السنة ، ووصفه أهل الحكمة، ويتجنب المضاجعة فى حال السكر والغفلة ، والتناوم والاسترخاء ، وأن ينوى فى ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى فى الولد أنالله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ويجرى على يديه صلاح الخلق واقامة للحق وتأييد للصدق ، ومنفعة للعباد ، وعمارة للبلاد .

وروى عن عمرو بن عبيد أنه قال لامرأته — وهى ترضع ابنا لها —: لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمه ولدها قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم ، ولكن ارضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله ، وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله ويعبده .

فاذا ولد المولود فان من أول كراماته وبره به أن يحليه باسم حسن وكنية لطيفة شريفة (٤٦/أ) فان الاسم الحسن موقعا من النفوس مع أول سماعه ، وكذلك أمر الله عباده واوجب عليهم أن يدعوه بالاسماء الحسنى ، ويصفوه بالصفات العلى فقال :(قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى)[٤١] . وقال . (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه)[٤٢] .

واختار النبى صلى الله عليه وسلم أسماء أولاده اختيارا ، وآثرها ايثارا ، ويحمل محمد بن الحنفية[٤٣] اسمه وكنيته بعد ذلك ، تشريفا له ، واجلالا ، واكراما وأفضالا . ونهى عليه السلام أن يجمع أحد من

---

(٤١) ١٧ / الاسراء : مكيه ١١٠ .

(٤٢) ٧ / ١ الاعراف : مكية / ١٨٠ .

(٤٣) هو محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى ، القرشى ، ويكنى أبا القاسم ويعرف بابن الحنفية نسبة الى أمه خولة سبى بنى حنيفة ، وهو من كبار التابعين ، كان واسع العلم ، ورعا ، أسود اللون ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس الى أمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية (وهم شيعة من الزيدية — كما يرى ابن حزم فى الملل والنحل ٥:٣٥ ، ٣٦) تزعم انه لم يمت وانه مقيم برضوى ، ويرجح أنه مات فى المدينة سنة ثلاث أو اثنين وسبعين . تهذيب الاسماء القسم الاول من الجزء الاول ص ٨٨ ، حلية الاولياء ٣:١٧٤ ، الاعلام ٧:١٥٢ ، ١٥٣ .

المسلمين بين اسمه وكنيته وقال : « أحب الاسماء عبد الله وعبد الرحمن »[٤٤] .

وانما جهة الاختيار لذلك فى ثلاثة أشياء :

منها ، أن يكون الاسم مأخوذا من أسماء أهل الدين : من الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، ينوى بذلك التقرب الى الله جل اسمه بمحبتهم ، واحياء أسمائهم ، والاقتداء بالله جل اسمه فى اختيار تلك الاسماء لاوليائه ، وما جاء به الدين كما قد روينا عنه فى أحب الاسماء الى الله « عبد الله وأمثاله »[٤٥] .

ومنها ، أن يكون الاسم قليل الحروف خفيفا على الالسن ، سهلا فى اللفظ سريع التمكن من السمع .

قال أبو نواس فى هذا الاسم :

فقلنا له ما الاسم قال سمو أل
على أننى أكنى بعمرو ولا عمروا

وما شرفتنى كنية عربية
ولا كسبتنى لا سناء ولا فخرا

---

(٤٤) اخرجه مسلم ، وابى داود ، والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر صحيح الجامع الصغير للالبانى ج ١٠٧:١ رقم ١٥٩ مختصر صحيح مسلم رقم ١٣٩٨ وسنن ابن ماجه ص ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ كتاب الادب باب ما يستحب من الاسماء .

(٤٥) صحيح ، اخرجه مسلم وابى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر بلفظ « احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن » . مسلم ١٦٨٢:٣ رقم ٢١٣٢ ، سنن ابن ماجه ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ ، وصحيح الجامع الصغير ١٠٧:١ رقم ١٦٠ .

ولكنهــا خفــت وقلــت حــروفهــا
وليست كأخرى انمــا جعلت وقرا[٤٦]

فأخبر — كما ترى — أنه أختارها على بغضه لاهلها عنها لقلــة حروفها وخفتها على اللسان وفى السمع •

ومنها — أن يكون حسنا فى المعنى مــلائما لحــال المسمى ، جاريا فى أسماء أهل طبقته وملته ، وأهل مرتبته •

ثم الوجه فى رضاعه أن ترضعه أمه ، لأن ذلك أبلغ فى الرضــاع ، وأوقر ، وأبعد من ممازجة الاخلاط ، وأوفر لقول الله تبــارك وتعــالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)[٤٧] • فانه أول ما ذكر الله ، وهو مع ذلك الامر الطبيعى للانسان وسائر الحيــوان فان منــع من ذلك مانع فالواجب أن يبالــغ فى اختيار الظئر[٤٨] مبالغته فى اختيار الوالدة ، ويحتال أن تكون صحيحة من زمانه موئدة[٤٩] وعــلة عادية عارضــــة أو لازمــة ، نظيفــة الجلد صحيحة الجســم من داء كامن وعــرق اللحم،وينشىء العظم ويفيد المزاج الذى يوجب اختلاف الغرائز والاخلاق• وقال النبى ﷺ:(لا ترضع لكم الحمقاء فان اللبن يفسد النسب)[٥٠] .

---

(٤٦) الابيات فى ديوانه : ٢٤٤ طبعة بيروت عام ١٩٨٢ ، (وخلقت) بدلا من (جعلت) .

(٤٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٣٣ .

(٤٨) الظئر : المرضعــــة .

(٤٩) زمانة موئدة : هى الآفة والعاهة المضعفة . لسان العرب المحيط ٢ : ٤٩ .

(٥٠) لم أقف عليه بلفظه ، وقد أورد الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث عائشة « لا تسترضعوا الورهاء » وفى الاوسط من حديث عمر « لا تسترضعوا الحمقاء » وقال الهيثمى فيه عباد بن عبد الصمد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٢ وفى مسند الشهاب (١ : ٥٦) « الرضاع يغير الطباع » .

والوجه أن يبلغ بالرضاع تمامه ، ولا يجاوز به أيامه ، فان الله — جل وعز — قد حد لذلك حدا ووقف عليه وقفا ، فقال : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)[٥١] . فكل ما بعد التمام فساد ودخول فى غير مايحتاج اليه .

ثم يؤخذ بعد ذلك فى التربيه والتأديب ، ويلبس من الثياب ما يشبه ثياب الملوك قبله وفى ناحيته ، ويختار له أصلح الثياب وأرفعها للوقوف ما دام حازما أو متأدبا،وللوثوب والركوب الذى لابد له من الارتياض بها.

فاذا بلغ مبلغ التأديب والتعليم فالوجه أن يبدأ — فى هذه الملة خاصة — بتعليم القرآن مع اللغة العربية ، لانها اللغة التى أنزل الله بها كتابه وخاطب بها فى شرائع دينه وفرائض ملته ، وبها بلغ رسول الله ﷺ سنته ، وبها ألفت الكتب الدينية والحكمية والجدية والهزلية ، وبها تكتب رسائلهم والصكوك التى جعلها الله وثائق بينهم ، فلابد للناشىء فى هذه الملة من تعلمها وان كان جاهلا بالدين منقوصا فى الملل ، مع أن لهذه اللغة من الفضيلة ما ليس للغة من اللغات ، من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان ، والحلاوة فى الاسماع والآذان ، وكثرة التصاريف واحتمال المقاييس النحوية ، وسعة الالفاظ وتوسط الحروف بين القلة والكثرة واشباه هذه الخصال ما لو تعلمت تجملا واستفيدت تعجبا لكانت لذلك موضعا .

---

(٥١) ٢ البقرة : مدنية الاية ٢٣٣ .

ولهذا كان ملوك العجم يتعلمونها ، فان كثيرا منهم يستعملها فى أوقات حفله ومجالس زينته •

والوجه فى تعليم اللغة أن يقصد الى الاخف فالاخف من كتبها ، والاسهل (فالاسهل[٥٢]) من مؤلفاتها ومصنفاتها ، وأن لا يشغل أولاد الملوك بالغريب الوحشى والنادر الاجنبى ، ولا بدقائق النحو ودواوين العروض ، فان دلك مما يشغله (٤٧ / أ) عن المعانى ، وانما يتعلم الالفاظ قصدا الى معرفتها ، فاذا أفنى الانسان عمره فى تعلم الالفاظ فاتته المعانى الا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة ، مثل الادباء والمؤدبين والمعلمين من النحويين •

ويحتاج فى الاستعانة على تعلم اللغة الى رواية أشعار العرب ، وأيامها وأخبارها ، والصواب فى تدبير ذلك أن تروى له ، ويعلم ، ويحفظ الاشعار الحكمية التى ضمت الحكمة ، والتوحيد ، والدين ، والبعث على العلم والزهد ، والشجاعة والجود ، ومكارم الاخلاق دون التى يذكر فيها الزنى والتجميش [٥٣] • والعشق والفحش والاهاجى التى فيها قذف المحصنات ، وذكر العورات ، لينشأ على معرفة الفضائل ، ومحبة نيل المادح نشوءا ، ويعتادها عادة ، فيجتمع له فى ذلك فائدة الفصاحه والبيان ومعرفة المبتذل من الكلام وكثير من الغريب ، والوقوف على المعانى الفاضلة •

ويجب أن يحفظ من الاخبار : أخبار المغازى والسير ، وآثار الخلفاء

---

(٥٢) هكذا فى الاصل ونرى أن الصواب (فالسهل) ، وايضا (الاخف فالخفيف) قبلها •

(٥٣) التجميش : المغازلة بقرص ولعب • لسان العرب المحيط ١:٤٩٨.

دون آثار العشاق ، وكتب الافسانقات من كتاب سيدباد ، وهرار أفسان وأشباههما فانه بهذه الكتب يستأنس ، ويتخرج بهذا أكثر ممايتخرج بها[٥٤] ثم يبلغ بهذه مرتبة العلماء ويحل فى دينه محل الفقهاء ويتقدم فى أهل مملكته وملته ويبرز فى سياسته ، وليس ينال فى تلك الكتب من هذه الابواب الا قليلا ، ولعله أن يتصور مافى تلك الكتب من الافسانقات صدقا ، ويظنه حقا ، فيكون ذلك منه غباوة وجهلا ، وسعى بأصول دينه جاهلا ، وعن فضائل ملته ومحاسنها غافلا ، ثم لا تنفعه تلك الكتب والاسمار فى سياسته وحكومته ، ولا يجد منها معونة على مناظراته فى دينه ومباهاته فى محافلة ونظره فى مظالم رعيته ، وقد قال بعض أهل التفسير فى معنى قول الله : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) [٥٥] أن شأن هذه الاية أن (الحارث) [٥٦] بن كلدة [٥٧] أشترى كتاب كليلة ودمنه فكان يجمع الناس ويقرؤه عليهم ، ويزعم أن هذا ألذ وأحسن بما جاء به محمد ﷺ من أساطير الاولين ، فانزل الله — جل وعز — بالردعليه

---

(٥٤) هكذا فى الاصل .

(٥٥) ٣١ / لقمان : مكية / ٦ .

(٥٦) هكذا بالاصل،وفى كتب التفسير (النضر بن الحارث) تفسير الماوردى ٢٧٦:٣ ، أسباب النزول : ١٩٧ معانى القرآن للفراء ٣٢٦:٢ ، وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣١٥:٦ ، تفسير القرطبى ٥٢:١٤ .

(٥٧) الحارث بن كلده الثقفى ، طبيب العرب فى عصره ، واحد الحكماء المشهورين من أهل الطائف ورحل الى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها وتوفى نحو ١٣ هـ . طبقات الاطباء لابن جلجل ٥٤ والاستيعاب ٢٨٣:١

بهذه الآية(٥٨) ، وقال النبى صلى الله عليه فى رواية الشعر « ان من الشعر لحكمة »(٥٩) (٤٧/ب) وان من البيان لسحرا »(٦٠) ، وقال :«الشعرديوان العرب» (٦١) ، وقال : (ان من الشعر لحكمـا) .

قالوا : وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أرو لهم الشعر يسخوا ويمجدوا (٦٢) ، وحكى أنه قال : عجبت لمن روى لعنترة أربعين بيتا كيف لا يكون من أشجع الناس ، وعجبت لمن روى لحاتم الطائى أربعين بيتا كيف لا يكون أسخى الناس ، وعجبت لمن روى للبيد أربعين بيتا كيف لا يكون من أحكم الناس . وروى عن النبى صلى الله عليه أنه قال : (من

---

(٥٨) أسباب النزول للواحدى ص ١٩٧ ، وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٦:٣١٥ عن ابن السائب و مقاتل : انها نزلت فى النضر بن الحارث ودلك أنه كان تاجرا الى فارس ، فكان يسرى أخبار الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم ، ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة ، فيستميلون حديثه ويتركون استماع القرآن فنزلت هذه الاية .

(٥٩) صحيح ، أخرجه البخارى عن أبى بن كعب ٨:٤٢ فى الادب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز ، الترمذى رقما ٢٨٤٧،٢٨٤٨ ، فى الادب باب٦٩، الدارمى ٢:٢٩٧ ، أبو داود رقم ٥٠١٠ كتاب الادب ، باب ما جاء فى الشعر الموطأ ٢ : ٩٨٦ .

(٦٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن ابن عمر ، صحيح البخارى ٧:١٧٩، فى الطب ، باب ان من البيان لسحرا ، آلموطأ ٢:٩٨٦ فى الكلام،باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ، وأبو داود رقم ٥٠٠٧ فى الادب ، باب ما جاء فى المتشدق فى الكلام ، الترمذى رقم ٢٠٢٩ فى البر ، باب ما جاء فى أن من البيان سحرا .

(٦١) لم أقف عليه كحديث ، وقد وصف بن قتيبة الشعر فقال : الشعر معدن العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها . عيون الاخبار ٢ : ١٨٥ .

(٦٢) أورده ابن قتيبة فى عيون الاخبار ٢ : ١٦٧ بلفظ « علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا » .

روى عنى أربعين حديثا بعث فقيها عالمـا)[٦٣] .

ولابد لاولاد الملوك مـن الرياضة بالثقافـه والرمايـة والرماحـة والفروسية والسباق والمراكضة ، حتى اذا بلغ العلم والتفقه فى الدين ابتدأ فيها على الترتيب الذى ذكرنـا .

ثم يجب أن يجتهد فى اختيار المعلم والمؤدب له اجتهاده فى اختيـار الوالدة والظئر بل أشد منه ، فان الولد يأخذ من مؤدبـه من الاخـلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر مما يأخذ من والده ، لان مجـالسته له أكثر ومدارسته معه أطول ، والولد قد أمر حيث سلم اليه بالاقتداء جملة ، والائتمار له دفعة ، واذا كان هكذا فيجب أن لا يقتصر من المعلم والمؤدب على أن يكون قارئا للقرآن ، وحافظا للغة أو راويا للشعر ، حتى يكون تقيا ورعا عفيفا دينا فاضل الاخلاق أديب النفس . نقى الجيب ، عالما بأخلاق الملوك وآدابهم ، عارفا بجوامع أصول الدين والفقه ، وافيا بما ذكر أنـه يحتاج الى من يعلمه على الترتيب ، فان فاته شىء مما ذكرنا فلا يفوتـه التقى والدين والفقه ، وان كل أدب تحت هذه الخصال على ما بينـاه فى الباب المتقدم لهذا الباب ولو أن الغلام ينشأ عطلا عن آداب الملوك مؤدبا بهذه الخصال كان استفادته لآدابهم ، وتعلمه لاخلاقهم ، وتعوده لعاداتهم أسهل عليه من انتزاعه من عاداته السيئة بخلاف هذه الخصال .

ويجب أن ينهى غاية النهى ويمنع أشد المنع من مواقعـة الريـب ، ومجالسة أهلها من المضحكين والساخرين ومن لا أدب (٤٨/أ) له مـن

---

(٦٣) ضعيف ، أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس وابن مسعود . كشـف الخفـاء ٢ : ٣٤٠ .

الصبيان ، وأن لا يشتم بين يديه وفى مجلسه وبحضرته أحد ، ولا يتكلم بالخنا والكذب والفحش والقذع ، ومن فعل شيئا من ذلك أدب بحضرته ، وعوقب عليه ليعتبر وينزجر عنه . ثم لا يفتن كل التفتين ولا ينعم كل التنعيم حتى تسترخى مفاصله ، وانضعف منته[٦٤] ، بل يصلب ويخشن أطرافه ، ويؤمر بتعرية اليدين والوجه ، وان أمر بالسباق والعدو يخلى بينه وبين ذلك فى الوقت بعد الوقت ، ويضرب الصولجان راجلا وراكبا ان لم يكن به بأس[٦٥] ، فان ذلك مما يخفف بدنه ويصححه[٦٦] ويهيج فى جسمه الحرارة الغريزية التى تذيب الرطوبة وتنفى كثيرا من العلل الزمانية ويدفع عنه عادة العجز والدعة .

ويؤدب مع ذلك فى جلسته وركبته ولبسته ورزانته ، ويراض بالرياضات التى ذكرناها فى باب سياسة النفس ، ويحسن عنده ، ويؤمر به . وفيما تعرفه الملوك من ذلك ويتكلفه من هذه آداب حسنة وأبيات محموده وكان يقال : من أدب ولده أدبا حسنا أرغم أنف عدوه [٦٧] .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بنى تأدبوا فانكم ان كنتم ملوكا برزتم ، وان كنتم أوساطا قدمتم الناس ، وان كنتم فقراء عشتم بفضل أدبكم ، ثم أنشأ يقول :

---

(٦٤) منته : بضم الميم — قوته . لسان العرب المحيط ٣ : ٥٣٥ .
(٦٥) (أن) ، (به) ساقطتان من الاصل .
(٦٦) فى الاصل ، (ويصححه) .
(٦٧) نثر الدر للابى ٤:٢٢٥ ، لباب الآداب ٢٢٨ ، بهجة المجالس

ما يأكل الناس شيئا من مآكلهم
أحلى وأطيب عقبانا من الغضب
وما تلحف انسان بملحفة
أبهى وأزين من دين ومن أدب

وما أحسن ما صدر به صاحب كليله ودمنه كتابه حيث قال : « أن أفضل ذخائر الاحداث الادب الصالح ، واقتناؤه فى الحداثة والحفظ واع والقلب فارغ غنم ، والمستفاد فى الصغر باق كالنقش فى الحجر » (٦٨) .

وروى عن عتبة ابن أبى سفيان (٦٩) ، كلاما تقدم فيه الى مؤدب ولده ، لو لم يكن فى هذا الباب غيره لكان فيه كفاية عن غيره ،ومندوحة عما سواه ، اذ قال له : « يا عبدالصمد (٧٠) ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بنى اصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، علمهم كتاب الله ولا تستكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الشعر أعفة ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى علم (٤٨/أ) حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم ، وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يضع الدواء الا بعد معرفة الداء ، وروهم سير الملوك ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا يتكلن

(٦٨) كليلة ودمنة ٣٧ مع تغيير يسير .

(٦٩) عتبة بن أبى سفيان ، من خطباء بنى أمية ، أمير مصر ، وليها من قبل أخيه معاوية سنة ٤٣هـ مات سنة ٤٤هـ . النجوم الزاهرة ١ : ١٢٢ــ١٢٤ .

(٧٠) هو عبد الصمد عبد الاعلى الشيبانى ويكنى أبا وهب ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال : انه هو الذى أفسده ، ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه ٧ : ٢١١ ، لسان الميزان ٥ : ١٨١ ، ١٨٢ .

على عذر منى ، فانى اتكلت على كفاية منك ، وأستزدنى بزيادتك اياهم أزدك ان شاء اللـه [٧١] .

ووجدنا فى بعض كتب العجم : يكتسب من الأدب الصالح العقل النافذ ، ومن العقل النافذ حسن العادة ، ومن العادة الحسنة الطباع المحمودة ، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح ، ومن العمل الصالح رضا الرب ، ومن رضا الرب الملك الدائم . قالوا : ويكتسب من الادب السوء فساد العقل ، ومن فساد العقل سوء العادة ، ومن العادة السيئة رداءة الطبع ، ومن الطباع الرديئة سوء العمل ، ومن العمل السىء سوء القالة وغضب الله ، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم . وقالوا : الادب زينة الاشراف ، ودليل فى (اعتيادهم) [٧٢] على تسرفهم ، وعدة لمن سواهم ، وآله للاعمال ، وعون للملوك الذين لا غنى لهم عنه . وقال عبد الله بن المعتز: الادب زينة عقلك ، فزين عقلك كيف شئت [٧٣] وكذلك القول فى كل من : يعنى الملك برياضتهم هذه العناية ، ويريد لهم هذه الرياضة ويرشحهم للملك من أقاربه وخاصته .

ذوو الارحام والاقارب :

وأما جملة الاقارب وذوى الارحام فان الله — جل وعز — أمر بصلتهم وتقريبهم والرأفة بهم ، وبرهم ، فى غير موضع من كتاب الله

---

(٧١) النص فى البيان والتبين جـ ٢ ص ٧٣ .
(٧٢) غير واضحة فى الاصل .
(٧٣) التمثيل والمحاضرة ١٥٩ بلفظ «الادب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت » .

كتابه ، ، فقال . (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله مـــن المؤمنين والمهاجرين) [٧٤] ، وقال :(والذين يصلون ما أمـــر الله بـــه أن يوصل) [٧٥] • وروى عن النبى ﷺ انه قال : «صلـــة الرحم زيـــادة فى العمر »[٧٦] . وقال : « بلوا أرحامكم ولو بالســـلام » [٧٧] روى عن أبى ذر رحمه الله قـــال : «أوصانـــى رســـول الله ﷺ أن أصـــل رحمـــى وان أدبرن» [٧٨] وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «صلة الرحم ، وبر الوالدين، وحسن الخلق يعمر الديار ، ويكثر الاموال ، ويزيد فى الاجال» [٧٩] • وان كان القوم فجارا فالواجب على كل مسلم أن يصل رحمه وقـــراباته بالبشر والتقريب والبر والترحيب والمواساة والمعاونة ، فأما الملوك خصوصـــا فانهم أحق الناس باقتناء (٤٩/ أ) هذه الفضيلة واجتناء هذه المكرمة ، ولم يزل الفضلاء منهم والعقلاء يأمرون به ويفعلونه ، ويوصون به ، ويمدحونه ويعدونه كرما وعزا ومفخرة وذكرا ، ومباهاة للمناوئين ، واعتضادا على

---

(٧٤) ٣٣ الاحزاب : مدنية ٦ .

(٧٥) ١٣ الرعد : مدنيـــة ٢١ .

(٧٦) صحيح ، أخرجه القضاعى عن ابن مسعود بلفظ «صلة الرحـــم تزيد فى العمر » مسند الشهاب ١:٩٣ رقم ١٠٠ ، وصحيح الجامع الصغـــير ٣:٢٤٢ رقم ٣٦٦٠ ، كما رواه الطبرانى فى الكبر والاوسط والعسكـــرى وفى سنده « صدقة بن عبد الله » وثقة دحيم ، وضعفه الجمهور . كشف الخفـــاء ٢ : ٢٩ ، ٤١ .

(٧٧) حسن ، أخرجه البزار عن ابن عباس ، والطبرانى عن أبى الطفيل والبيهقى عن أنس . صحيح الجامع الصغير ٣:٩٠ رقم ٢٨٣٥ .

(٧٨) صحيح ، رواه الطبرانى فى الصغير والكبر . مجمع الزوائـــد جـ٨ ص ١٥٤ .

(٧٩) صحيح ، اخرجه أحمد والبيهقى عن عائشـــة . صحيح الجامـــع الصغير ٣:٢٤٢ رقم ٣٦٦١ ، مجمع الزوائد ٨: ١٣٦ ، ١٣٧ .

المخالفين ، ويرتفعون عن ظلمهم وضيمهم ويعدونه لؤما ودناءة وسوء تدبير ، وقال فى ذلك حاتم الجود :

وما من تسيمتى تستم ابن عمى

وما أنا مخلف من يرتجينى (٨٠)

وقال آخر (٨١) :

أخاك أخاك إن من لا أخا له

كساع الى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه

وهل ينهض البازى بغير جناح (٨٢)

وقال بعض قرابات المهلب يستبطئنه ويستزيده (٨٣)

جفانى الامير والمغيرة مثله

وأمسى يزيد لى قد أزور جانبه

وكلهم قد نال شبعا لبطنه

وشبع الفتى عار اذا جاع صاحبه

(٨٠) البيت لحاتم الطائى ورد فى لباب الاداب ص ٣٢٤ .
(٨١) البيتان لمسكين الدارمى ، واسمه ربيعة بن عامر ، مات سنة ٨٩ خزانة الادب تحقيق عبد السلام هارون ٣:٦٩ ، والامثال لابى عبيد ١٨١ ، كتاب سيبويه ١:٢٥٦ ، وفصل المقال ٢٦٩ .
(٨٢) عيون الاخبار ٣:٢ ونسبه الى ابراهيم بن هرمة ، وفى حماسة البحترى ٢٤٥ نسبة الى قيس بن عاصم .
(٨٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٠ من قول بشر بن المغيرة بن أبى صفرة الى عمه .

فيـــا عم مهـــلا واتخـــذنى لنبـــــوة

من الدهر ان الدهـــر جـــم نوائبـــه

أنـــا السيف الا أن للسيـــف نبـــوة

ومثلى لا تنبـــو عليك مضاربـــة [٨٤]

قال الشافعى [٨٥] لبعض قراباته مستزيدا لـــه :

اذا كان ذو القربـــى اليـــك مبعـــدا

ونال الـــذى يهـــوى لديـــك بعيـــد

تباعـــد عنك الاقربـــون لشأنهـــــم

واشفقت أن تبقى وأنت وحيـــد [٨٦]

وقال بعض قرابات يحيى بن خالد [٨٧] وكان قد ناله منه اعـــراض وجفـــــوة :

تصول عـــلى الادنى وتجتنب العـــدى

ومـــا هكـــذا تبنى المكارم يـــا يحيى

وكنت كفحل الســـوء يبـــدأ بأمـــه

ويترك باقى النخيـــــل ســـائمة ترعى

حاجة الخـــدم والحشـــم :

---

(٨٤) عيون الاخبار ٣ : ٩٠ ، التبريزى ١ : ١٤١ ، والتذكرة السعيدية ١٠٧

(٨٥) هو محمد بن ادريس الشافعى ، ولد بغـــزة سنة ١٥٠ ، لـــه : الرساله فى اصول الفقه والام ، «وجماع العلم» فى الفقه وغيرهما ، مات بمصر ٢٠٤ هـ ، سير اعلام النبلاء ١٠ : ٥ ـــ ٩٩ ، والانتقاء ٦٦ ، ٦٧ ، والمذاهب الاربعة لتيمـــور ٤١ .

(٨٦) حسين بن عبد الله : الجوهر اللماع ص ٦٣ وفيه «تفرق» بدلا من «تباعد» فى البيت الثانى .

(٨٧) يحيى بن خالد بن برمك يكنى ابا الفضل ، مؤدب الرشيد ، وكـــان اليه خاتمه بعد أن ولى ، ثم كانت نكبة البرامكة ، فقبض عليه وسجن فى الرقة =

فأما حاجة الخدم والحشم : فلا بد لهم من أن يكون فى دار الملوك من المؤدبين والمعلمين من يعلم الغلمان والخدم والفتيان والحشم مما يحتمله حال واحد منهم من القرآن والدين ، ويذكرهم فى الوقت بعد الوقت بالله ، ويعرفهم أصول الدين والشرائع ، واقامة الصلوات بتمام طهورها وركوعها ، وسجودها ، ويفسر لهم نوافلها ، وفروضها ، ويعرفهم محاسن الاخلاق ، ومحامد الافعال ، ويعظهم ويذكرهم ، ويخوفهم بالنار ، ويدعوهم الى الجنة ودار القرار (٤٩/ب) ويحثهم على الجهاد . ثم يمنعهم من الفساد وسوء الاداب وارتكاب ما حرم الله من الكبائر كالزنى والقذف ، فمن ارتكب منهم ذنبا على السهو والغفلة فالوجه فيه الاعراض والتغافل ، ومن ارتكب صغيرة دون ما يجب فيه لله حد أو يعود على المملكة والدين بفساد ، فالوعظ والنكير والترغيب والتنفير ، فان تاب عنه وتركه وأناب فالصفح والعفو عنه ، فان عاد فالعقوبة والتنكيل على اللجاج والاصرار ، على مقدار الجناية والذنب .

وان كان الملك من يحتسب فى آمر الدين خاصة ، فان الواجب فى السياسة أن يكون معه وبحضرته وفى داره من أهل التوحيد والفقه فى الدين من يعلمهم أصوله ويقف بهم على جوامعها ، ويزيد من رأى فى طبعه قبولا للزيادة ، ويرجو منه صلاحا للاستفادة .

تقويم الخاصة :

ويجب أن يستعان على تقويم كافة الخاصة بخصال عشرة :

= الى ان مات سنة ١٩٠هـ مروج الذهب ٢٩٣:٢ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث ٢٧٢:٧ — ٢٧٥ ، وفيات الاعيان تحقيق محمد محيى الدين ٦ : ٢٦٥—٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٨٩ — ٩١ .

أولهن ، أن يظهر لهم خاصهم وعامهم وأقصاهم وأدناهم أن لا يرضى منهم الا ما يرضاه من نفسه من الاخذ بهذه الخصال المعدودة المذكورة ، أو ما تبلغه منها طاقة كل واحد منهم •

والثانية ، أن يدر عليهم أرزاقهم وجراياتهم ووظائفهم وعطياتهم حتى لا تتأخر عن أوقاتها ، ويوسعها عليهم توسعة تغنيهم عن حيف [٨٨] الرعية والطمع فى أموالها ، ويكفيهم مهمهم من أمر دوابهم وخيلهم وخدمهم وسلاحهم وكراعهم [٨٩] ، ويكون تقديرهم فى ذلك تقديرا حسنا متوسطا بين الاسراف والتقتير ، فان فى ذلك أبوابا من الصلاح والخير تعود بانتظام أحوال المملكة وراحة الراعى والرعية •

والثالثة ، أن لا يقدم أحد منهم قفزا ، ولا يرفع منه وضيعا ، ولا يؤخر أحدا ولا يضع له قدرا الا على الاستحقاق فى قديمه أو بلاء فى نفسه أو كفاية أو غنى ، لا ميلا الى هوى ولا حيفا على أحد ،فانهم اذا عرفوا ذلك تنافسوا فى أبواب القربة ، وتشاحوا على حسن الطاعة ، وتسارعوا فى البلاء والكفاية ولا يستزيد المبلى منهم — على قدر بلاءه — زيادة ولا يطمع فيما ليس له مقصرا فاذا كانا عاقلين ، صار لكل (واحد)[٩٠] من الملك راضين وبمراتبهم قانعين •

والرابعة ، أن لا يسوغ لاحد منهم شيئا من ظلم الرعية (٥٠/أ) قل

---

(٨٨) حيف : ظلم ، وجور . لسان العرب المحيط ١ : ٧٧٠ .

(٨٩) الكراع : هو كل ما يلبسه الانسان من دون الركبة الى الكعب ، وفى الدواب ما دون الكعب . لسان العرب المحيط ١ : ٢٤٥ ، وقد وردت بمعنى (الخيل) . العقد الفريد ١ : ٩٣ .

(٩٠) يستقيم المعنى بدونها .

أو كثر . ويعلمهم الملك ذلك من رأيه كتابا وتشفاها واستعمالا ، ويعرفهم أنه لا فرق بينهم وبين سائر الرعية فى أحكام الله وقضاياه ، وأن ذلك فرض من الله لا يحتمل تغييرا ولا تبديلا ، ولابد فى الدين من بذل النصفة والمعدلة والتسوية بين الشريف والوضيع ، والاقصى والادنى ، فان ذلك مما يردعهم من ظلم الرعية وأضطهادها . وان فى ظلم الرعية العقوبة فى الدنيا والآخرة . وقبح الاحدوثة وازدراع العداوة والبغضاء فى ضمائرهم ، وتخريب المملكة وأخلاءها من أهلها وأطماع العدو فيها واستبداد كثير من الخاصة بالمملكة والولاية ، وفى ذلك سقوط المهابة ، وتفرق الكلمة . مع أنه اذا جرت هذه العادة فى خدم الملوك صعب انتزاعها منهم الا بتدريج وترتيب ، وعناية شديدة ، ورفق كثير ، واستبدال بهم جملة وفيه خطر عظيم .

والخامسة ، أن يستعمل فيهم العفو عن صغائر ذنوبهم ، وما يقع سهوا وغفلة وخطأ من جرائمهم ، ولا يعمل على أن يأخذ بكل زلة أو يعاقب بكل علة ، ويشفى كل غيظ ، فان ذلك أبلغ فى المكرمة ،وأولى بذوى الرفعة والمقدرة ، وأبقى للاحسان والصنيعة ، وأقرب من ازدراع المحبة، ونفى الوحشة والبغضة واستعطاف ذى الجرمة ، وأحق من استعمل فيهم الملك هذه الخلة خدمة الذين يصول بهم على أعدائه ، ويرتبطه [٩١] لصلاح الرعية وعمارة مملكته ، ويأتمنهم على مهجته وتمام هذا الكتاب فى خلال ست :

أولها : أن يبحث عن مذهب الخاصة وما يرتكبونه من الذنوب

---

(٩١) هكذا في الاصل والاصوب (يرتبط بهم) .

والمعاصى ، ويطلع عليهم حتى يعلم .

والثانية : أن يتغافل عما يجوز التغافل عنه كأنه لا يعلم .

والثالثة : أن يقتصر بالعقوبة على أدنى ما يكتفى به منها ، ويرجى معه الردع والتقويم .

والرابعة : أن يحتال العفو ولا يحتال التعاقب ، ما لم يبلغ ذلك كبيرة فى الدين أو فسادا فى الملك .

والخامسة : أن يستأنى بالعقوبه ويؤخرها ، ما لم يجرمن ذلك اهمالا واضاعة وتجرئة واهدارا ليتوب مذنب أو يثوب مجرم ، أو يدلى متهم بحجة ، أو يأتى برىء بمعذرة .

والسادسة : أن لا يحابى (٥٠/ب) فى حد من حدود الله ان ارتكبه مرتكب ، واستوجبه مستوجب حتى يعاقبه به ؛ ويقيمه عليه .

فان ذلك كله من أدب الله الذى أدب به فى خلقه ، وأوصافه التى وصف بها نفسه يقول الله — جل وعز — فى أول هذه الفضائل : (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) [٩٢] . ويقول : (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) [٩٣] . ويقول : لنبيه صلى الله عليه (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) [٩٤] ويقول: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) [٩٥] ويقول فى العفو عن صغائر الذنوب وما يقع منها على غير تعمد : (إن

---

(٩٢) ٥٠ / ق : مكية / ١٧ ، ١٨ .

(٩٣) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ .

(٩٤) ٧ / الاعراف : مكية / ١٩٩ .

(٩٥) ٢٤ / النور : مدنية / ٢٢ .

تجتبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (٩٦) ، ويقول : (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكـــم) (٩٧) ويقول فى تأخير العقوبة : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) (٩٨) .

وقال النبى ﷺ : (أدرؤا الحدود بالشبهات) (٩٩) ، ويقول الله (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصـــدور)(١٠٠) ، ويقــول : (فانه يعــلم السر وأخفى) (١٠١) .

ويقول : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هـــو سادسهم) (١٠٢) ، ويقول فى المعاقبة عند تحقق الكلمة وظهور المفســدة : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) (١٠٣) ، ويقول : (ففسقوا فيها فحق عليهـــا القول فدمرناها تدميرا) (١٠٤) .

فالواجب على الملك الفاضل الاقتداء بالله — جل ذكره — فى هـــذه

---

(٩٦) ٤ / النساء : مدنية / ٣١ .
(٩٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٢٥ .
(٩٨) ٣٥ / فاطر : مكية / ٤٥ .
(٩٩) ضعيف ، رواه الحارثى فى مسند أبى حنيفة عن ابن عباس مرفوعا واخرجه ابن السمعانى عن عمر بن عبد العزيز ، وقال الحافظ ابن حجر: فى سنده من لا يعرف . المقاصد الحسنة ص٣٠ وكشف الخفاء ٢ : ٧٣ ، وأخرجه ابن عدى فى جزء له من حديث أهل مصر والجزيرة عن ابن عباس واخرجه مسدد فى مسنده عن ابن مسعود موقوفا ضعف الجامع الصغير ١ : ١٧ رقم ٢٥٨ .
(١٠٠) ٤٠ / غافر : مكية / ١٩ .
(١٠١) ٢٠ / طه : مكية / ٧ ، فى الاصل : انـــه .
(١٠٢) ٥٨ / المجادلة : مدنية / ٧ .
(١٠٣) ٤٣ / الزخرف : مكية / ٥٥ .
(١٠٤) ١٧ / الاسراء : مكية / ١٦ .

الخلال كلها ، والائتمار بأمره فى هده الخصال ، مالـم يرتكبوا الحـدود وتابوا عما[١٠٥] يعود العفو عنه بفسـاد الدين والملك ، فاذا فعـلوا ذلك فالواجب عليه اقامة الحدود : وامضاء القصاص والقود والاحالة علـى الله — جل دكره — وعلى الديانـه .

فان فى ذلك ابلاء المعذرة ، وقطع أطماع الخاصة والعامة والحاسية والدواهى المعارضة ، ولا يمنعن الملك من ذلك ابقاء على خدمه وقرابته أو محاباة لخاصته (وحامته) [١٠٦] فان الابقاء عليهم فى ذلك ترك للانتقـاء ، واصلاحهم بترك الحدود الواجبة افساد ، يقول الله جل وعـز : (ولكـم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) [١٠٧] . وقد ضرب عمر بن الخطاب ابنه الحد (٥١/ أ) على شرب الخمر فمات فيه ، ثم دخل عليه فى مرضه عائدا فقال : يا ابت قتلتنى . فقال : اذا لقيت ربك فأخبره بـأن عمـر يقيـم الحدود [١٠٨] ، وقد قال فى ذلك بعض الشعراء فأجـاد :

وان يـدا بالداء قد طـال سقمهـا

وقد خيـف منهـا الداء أن يتقـدما

---

(١٠٥) فى الاصل (ما) وما اثبتناه هو الاصـح .

(١٠٦) هكذا فى الاصل والاصوب (حاشيته) .

(١٠٧) ٢ / البقرة : مدنية / ١٧٩ .

(١٠٨) الغزالى : نصيحة الملوك ص ٥٦ ، وقارن ابن جـوزى : سيرة عمر بن الخطاب ص ١٦٧ قال : لا ينبغى أن يظن بعبد الرحمـن أنـه شرب الخمر وانما شرب النبذ متأولا ، يظن أنه الشرب منه لا يسكر .. فلماخـرج الامر الى السكر طلب النطهير بالحد .. وأما كون عمر أقام الحد على ولـده فليس ذلك حدا ، وانما ضربه عضبا وتأديبا فالحد لا يكرر .. وقد لبث عبد الرحمن شهرا صحيحا ، ثم أصابه قدرة فحسب عامة الناس بأنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده ..

لحقوقة بالقطــع كــى لا تغمـــه

ويفلــت مــن آفاتهـــا فتسلمـــا

وقد قال فى ذلك بعض الملوك الحزمة : واعلموا أن الوالى قد يفســد بعض الرعية من حرصه على صلاحها ، وقد يغلط عليها من شدة رفقه بها، ويقتل فيها من حرصه على حياتها •

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : اجر الحلم على الخاصــة العامة بالسواء ، واعلم أن فى صلاح الخاصة صلاح العامة •

وقال : كن رؤوفا رحيما ، ولا تكن رأفتك ورحمتك فسادا لمن يستحق العقوبة ويصلحه الادب(١٠٩) •

وقال : أى ملك سوى فى الحكم بين أصحابه حمد وســلم •

وحكى عن بعض قدماء الملوك قال : انى لا أجهــل فضــل العفو ولكن ليس على الحدود •

وفى كتاب كليلة ودمنة من هذا الباب كلمات كافية ، قال : فى بعــض قصصها :

« ان الملك قد يموت من قبل هذا المجرم ، ووجل أن تكون قد شبه عليه ورأى الفحص عنه ، فمن كان عنده من ذلك علم فليذكره ولا يكتمه، لخصال ثلاث :

منها : الشهادة لله بما علمتم ، فان الكاتم لعلمــه فى مثله مشترك فى حــوبه(١١٠) •

---

(١٠٩) نزهــه الارواح ١ : ٢٠٠ .

(١١٠) الحوب : الاثم . لسان العرب المحيط ١ : ٧٤٦ .

ومنها : أن عقوبة المجرم بجرمه مقمعه لاهل الريبة ومصلحة للملك والرعيـــة ٠

ومنها : أن نفى الاشرار من الارض زيادة فى عز الدين وبهاء الملك ، وصلاح للرعية ومحق للاحقاد (١١١) ٠

وأن يكون القضاء فى ذلك على الحق واليقين،لا على الهوى والظنون٠

والسادسة : أن لا يدعهم أياما طويلة وأوقاتا متتابعة فراغا لا شغل لهم غير الراحة والاكل والشرب والدعـــة ، حتى يصرفهم فى شغل تحمـــد عاقبته ، وتجدى عائدته على الملكة والديانة بجهة من الجهات من غـــزو أو جهاد أو مثاقفة أو سباق أو رماية ، أو رشاق ، أو خدمـــة أوتعلمتســىء من الادب والخير ، فان الراحة الطويلة والخفض والدعة والاكباب عـــلى النعمة يرخى مفاصلهم ، وينعم (٥١/ب) ابدانهم ، ويثقل أجسامهـــم ، ويعودهم العجز والفشل والضعف والكســـل ٠

ثم عند الفراغ الطويل يذكـــرون فنـــونا من الفســـاد ، من الشرب الكثير ومن العربدة والقتل والجرح والشتم ٠

وقديما قال الشاعـــر (١١٢) :

ان الشبـــاب والفـــراغ والجــــده
مفســـدة للمـــرء أى مفســـدة (١١٣)

---

(١١١) كليلة ودمنه ١٠٣ ، ١٠٤ ٠

(١١٢) هو أبو العتاهية واسمه اسماعيل بن القاسم ، مات سنة ٢١١هـ ويرمى بالزندقة مع كثرة اشعاره فى الزهد والمواعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة ، وكان يلعب بالشعر لعبا ٠

(١١٣) ورد البيت منسوبا الى أبى العتاهيـــة فى نهايـــه الارب ٣: ٨٠ واستبدل كلمة (للمرء) ـــ (للدين) ٠

انظر فى ترجمتـــه الشعـــر والشعراء ٧٩٥ ـــ ٧٩٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٢٧ ـــ ٢٣٤

وقد قيل : لا ينبغى للعاقل أن يفنى عمره الا فى احدى ثلاث :بمرمه لمعاشه ، أو خطوة لمعاده ، أو لذة فى غير محــرم [١١٤] .

على أن الحكماء الحزمة من كل فرقة قد استخفوا بالضرب الثالــث وذموا من جعل اللذة أكبر همه وأكثر شــغلة ، حتى قال الشــاعر[١١٥] فى ذلـــك :

انى وجــدت من المكــارم حسبكــم

أن تلبســوا خــز الثيــــاب وتشبعوا

فــاذا تذوكــرت المكــارم مــــرة

فى مجلس أنتــم بـــه فتقنعـــوا

وقــال آخــر :

دع المكــارم لا ترحــل لبغيتهـــا

واقعد فأنت لعمرى الطاعم الكاسى[١١٦]

وقالوا : انما يحتاج الى المطاعم والمناكح ما يقيم القــوة ، ويبقــى

---

(١١٤)مرمة المعاشة : السعى فيه بما يصلحه ويقيمه . والنص فى الحكمة الخالده لمسكوية ٧٢ وينسبه الى حكم الفرس ، وحليةالاو لياء ١:١٦٧ .

(١١٥) ورد فى كتاب الامثال لابى عبيد القاسم بن سلام ص ١٦٨ دون نسبه وفى شرحه للبكرى (فصل المقال) ٢٥٠ ، ٢٥١ نسبه الى عبد الرحمن ابن حســـان .

(١١٦) من قول الحطيئة فى هجاء للزبرقان ، ديوانه ٢٨٤ ، والاغانـــى ١:١٨٥ ، والامثال لابى عبيد القاسم ١٦٨،٣١٣ . وعيــون الاخبار ١:٢٣٦ ، و٢ : ١٩٥ والايجاز والاعجاز ٤٠ ، والشعر والشعراء ٣٣٤ ، ونهاية الارب ٣:٢٩٨ ، وطبقات الشعراء للجمحى ٤٠ ، ونسرح المضنون به على عر اهــل بيت ١١٢١ ص ٤٨٢ ، والممتع ٣٥٣ ، وحماسة الظرفـــاء ٢:١٧٩، ،التمثيــل والمحاضرة ٦٣ ، وبدلا من جملة (فأنت لعمرى) جملة (فانك انت) .

النسل ، ويجب أن يكون الفضل مصروفا الى القسمين الباقيين ، واستخف الزهاد المتبذلون بمرمى المعاش الا اذا كان فيها خطوة للميعاد ، والا أوجبوا آن يكون السعى كله لدار البقاء والقرار دون دار النقلة والزوال .

(قال) : [117] وقد قيل لبعض الحكماء ما الفرق بينك وبين العامة ؟ قال : أنهم يعيشون ليأكلوا وآنا آكل لاعيش . ولذلك ما صدر به صاحب كتاب كليلة ودمنة كتابه بأن قال : تقسمت الناس أربع : الرغبة فى المال، والشهوة للذات ، والطلب للذكر ، والعمل للمعاد [118] . والثلاث وشيكة الفناء باقية التبعة ، والرابعة تنتظم الثلاث بلا تبعة ، ولا غنى كالرضا ، ولا لذة كالتقوى ، وما يعجل من فرح البشرى ، ولا ذكر أشرف من طاعـة الله التى أخافت من صاحبها كل شىء ، وخاف من عدمها كل شـىء .

والسابعة : أن يختص من بعضهم خواص لمشاورته ، ويشركهم فى (مستشاريه) [119] ويكونون واسطة بينه وبينهم ، وأعوانا له على باقيهم وعيونا عليهم أن أحدث محدث أو كاد كائد ، ثم لا (٥٢/ أ) يفعل ذلك بمن فعل به منهم الا بعد امتحان وتجربة وابتلاء وظهور نصيحة وشفقة وعفة وأمانة ومساهمة ومشاركه وكتمان للسر ، ووفاء له ولمن تقدمت صحبتهم له ، فعلى هذا جرت السنة ، واستمرت العادة فى كل نبوة وديانة ومملكة وعمارة احتيج فى اقامتها الى جنـود وجيوش ، ولا يستقيم شىء منهـا الا بعد تدريج وترتيب ، وتحويل من درجة الى أقرب الدرج منها ، فـان ذلك أشبه بأدب الله وادل فى الاخـذ عنه فى مواترته العصـم والتوفيـق

---

(١١٧) يستقيم المعنى بدونهـا .
(١١٨) كيلة ودمنه ترجمة عبد الله بن المقفع ٤٨،٤٧ .
(١١٩) غير واضحة فى الاصـل .

والمثوبة والتأييد • والمعرفة بما لا يصلح المرفوع والمريد ويصلح به ، فقد قال الله فى أول هذه القضية (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)[١٢٠] ، وقال : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) [١٢١] • وقال : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) [١٢٢] • وقال : (يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) [١٢٣] • واختار النبى ﷺ من صحابته لوزارته ومشاورته جماعة ، واختار لبيعة الرضوان نفرا من أصحابه ، ولخدمته جماعة ، ولقيادة الجيش جماعة ، ولرسائله وكتابته عدة ولاستخلافه على الاعمال جماعه ، واختار للامامة بعده نفرا قد سماهم فقال : (ان استخلفتم أبا بكر وجدتموه قويا فى دينه ، ضعيفا فى بدنه ، وان استخلفتم عمر وجدتموه قويا فى دينه قويا فى بدنه ، وان استخلفتم عليا وجدتموه هاديا مهديا) [١٢٤] •

وقد فضل الله مع ذلك بعض ملائكته على بعض ، فبالله وملائكته ورسله قدوة وأسوة •

الثامنة : أن يتعهد فشو الفسوق وشرب الخمور والميسر فى عسكره

---

(١٢٠) ٢٢ / الحج : مدنية / ٧٥ .
(١٢١) ٥ / المائدة : مدنية / ١٢ وفى الاصل : **(اخذنا)** .
(١٢٢) ٧ / الاعراف : مكية / ١٥٥ .
(١٢٣) ٧ / الاعراف : مكية / ١٤٤ .
(١٢٤) رواه البزار ، وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير ، وهو ضعيف ، مجمع الزوائد ٥:١٧٦ ، وقد رواه البزار عن على بن أبى طالب برجال ثقات بلفظ عن على قال يا رسول الله من نؤمر بعدك ؟ قال « ان تؤمروا أبا بكر، تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة ، وان تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا تأخذه فى الله لومة لائم وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم » كما أخرجه أيضا أحمد والطبرانى فى الاوسط مجمع الزوائد ٥:١٧٦ .

فيغير من ذلك ما كان مكروها فى الدين ، فقد أمر الله بهغير موضع من كتابه ، وقد تلونا منها آيات فيما تقدم من كتابنا ، وروينا عن النبى ﷺ أنه قال : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى وقدروا أن يغيروا فلم يغيروا الا عمهم الله بعذاب) (١٢٥) . وقال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو أخياركم فلا يستجاب لهم)(١٢٦) . هذا بعد قول الله تبارك اسمه : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم (٥٢/ب) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (١٢٧) .

وفيما كتبه أرسطاطاليس الى الاسكندر : انكر الفجور فان فشوه يهلك الامة ، وهو من خواص الدواب الدنية (١٢٨) .

وقال : تفقد ظهور الفجور والسكر فى عسكرك فان هذين مفتاح الضعف ، وفيهما هتك القوة .

وأقول : قد جرب هذا المعنى فى غير واحد من عساكر الملوك فوجد

(١٢٥) حديث صحيح ، أخرجه الامام أحمد بن حنبل وابى دواد وابن حبان وابن ماجه عن جرير صحيح الجامع الصغير ٥:١٧٦ رقم ٥٦٢٥ ، مشكاة المصابيح رقم ٥١٤٢ .

(١٢٦) حديث حسن ، رواه البزار والطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة ضعيف الجامع الصغير ٥ : ٨ رقم ٤٦٥٣ .

(١٢٧) ٥ المائدة : مدنية ٧٨ ، ٧٩ و (فعلوه) ساقطه من الاية فى الاصل.

(١٢٨) السياسة فى تدبير الرياسة ص ٧٦ بلفظ «يا اسكندر ، تجنب مساعدة الشهوات فانها تهلك ، لان الشهوة تنتج الميل الى تبليغ النفس البهيمية نفسها من غير روية » .

الامر على ما قال ، أعنى أن ظهور الفجور كان أمارة لوشك البوار وقـرب الهـلاك •

والتاسعة : هى أن يلين جانبه ، ويخفض جناحه فى بعض الاوقات لهم ، ويبسط كنفه لاقصاهم وأدناهم وخاصهم وعامهم ، ويسهل لهم الاذن فى الدخول عليه ، ورفع الحوائج فى الوقت بعد الوقت اليه ، ولا يحتجب عنهم احتجابا يورث الوحشة ، ولا يتطاول عليهم تطاولا يوجب البغضه ويدل على الخيلاء والنخـوة •

والعاشرة : أن يتعهد مرضاهم وزمناهم [١٢٩] وأيتام موتاهم وورثتهم الضيع ، وابدال ما ينفق فى وقائعه من دوابهم ، ويتلف فيها من كراعهـم وسلاحهم ، وأموالهم ، فانهم اذا عرفوا ذلك ، ووثقوا به جادوا بأنفسهم وما معهم من ذلك ، واذا وتقوا بخلاف ذلك ضنوا بمـا حصل فى أيديهم ، وتأخروا عن مهالكهم شفقة على أهليهم وأولادهم • وهذا أدب من أدب الله ـ عز وجل ـ وفيه قدوة به ، لان الله تعالى يقول فى ذلك : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفـار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديـا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) [١٣٠] • فليس لاحد عندنا ينفق نفقة أو يسعى فى سبيل الله سعيا صغيرا أو كبيرا الا عجل الله لـه ثوابا من الخلف والمدح والتوفيق واللطف ، وأجزل له ثوابا من المغفـرة

---

(١٢٩) زمناهم : هم كبار السن والمصابون بأمراض وعاهات مزمنـة • لسان العرب المحيط ٢ : ٤٩ •

(١٣٠) ٩ / التوبة : مدنية / ١٢٠ ، ١٢١ •

والرحمة ، ويعتاض الجنة مالم يحبط أجره بجريرة من كفر أو كبيـــرة .

وكان النبى ﷺ يقول فى خطبته : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ،من ترك مالا فلاهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فعلى والى) (١٣١) .

ولقد قال خطيب وفد لسليمان بن عبد الملك : لقد حببت الينا الحياة وهونت (٥٣/أ) علينا الموت ، فاما نرجوك لمن تخلف من أعقابنا (١٣٢) وكذلك ما قال بعض الشعــراء :

لولا أميمة لم أجــزع مــن الهــرم

ولم أقاس الدجى فى حندس الظــلم

وزادنى رغبـــة فى العيش معرفتـــى

ذل اليتيمة يجفوهـــا ذوو الرحـــم

أحاذر الفقــر يومـــا أن يلـــم بهـــا

فيهتك الستر عن لحم على وضم (١٣٣)

وقد قال ذلك أرسطاطاليس : وابذل الاموال عند حاجة من يحتـــاج الى معونته (١٣٤) .

فى شروط معاونو الملـــك :

ثم لابد للملك مع ذلك من الاستعانة بالاخص والاخص من خـــدمه

---

(١٣١) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم واحمـــد والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة صحيح الجامع الصغر ج٢ ص ١٤ رقم ١٤٦٧ .

(١٣٢) عيون الاخبـــار ١ : ١٠٦ .

(١٣٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٤ ولم ينسبـــــه .

(١٣٤) السياسة فى تدبر الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف لفظى «ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهـــم » .

فى مهمات أعماله ، من جباية أموال المملكة ، وتفريقها على الجيوش ، وفى سبيل الحقـوق .

ولابد فى اقامة المملكة والولايات العظيمة من وزراء وخلفاء وكتاب وأصحاب جيوش ، وعارضين ، وأصحاب شرط ، ونقباء ، وأصحاب جرس وأصحاب أخبار ، ووكلاء ، وقضاة ، فليجتهد الملك فى أختيار هذه الطبقات من أهل الكفاة والاستقلال والشهامة والامانة والعفة والديانة والعقـل والاصالـة .

فمن هـذه الخصال ما يحتـاج اليـه فى بعض دون بعض ، فمـن الخصال التى يحتاج الى أن تعم الجميع : الديـن والعقل ، والامانـة ، والكفاية ، والاستقلال بما يعصب به ويفوض اليه ، لان منهم من يأتمنه الملك على دمه وروحه ، ومنهم من يأتمنه على خدمه وحرمه ، ومنهم مـن يأتمنه على سره ومشورته العظيم خطرها الجليل قدرها ، ومنهم من يأتمنه على دينه وآخرته ، ومنهم من يأتمنه على أمواله وخزائنه ، فمن لم يكـن له دين يحجزه عن ارتكاب الخيانة كانت الامانة منه معلقة برغبـة حاضرة أو رهبة معجلة ، ولا يبعد أن تزول معهما اذا زالتا ، ويميل معهمـا اذا مالتا ، وربما حملته سوء العادة على مخالفة شرائط الرغبـة والرهبـة ، وتعدى حدودها ، والاستخفاف بها ، واذا لم يكن له أمانة خـان ، واذا خان فى مثل هذه الامور ، ربما عاد بضرر شامل أو فساد مستأصـل .

واذا لم يكن عاقلا فربما أراد أن ينفع فيضر ، ويحفظ فيضيـع ، ويزين فيشين ، ويحسن فيقبـح .

واذا لم يكن فيه كفاية بما فوض اليه وعصب بـه ، ضـاع الامـر

وانتشر • ثم هؤلاء من يحب أن يكون الغالب عليه فى أبواب فضائله الاصالة وحسن التدبير والتقديـــر (٥٣/ب) وجودة القريحـــة والبديهة وحســـن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبالماضى على الاتى ، ثم لكل باب من الرسوم السلطانيـــة •

ومنهم من يحتاج الى : فضل معرفة بالادب واللغة وحسن الخط والبيان فى اللفظ ، وسهولة اللقاء وجودة القريحة ، وهو الكاتب •

ومنهم من يحتاج منه الى : : فضل معرفة بالحساب ، وعمل الدخل والخرج ، وهم الوكلاء وجباة الاموال من الكتاب •

ومنهم من يحتاج منه الى : شجاعة وجلادةو شهامة وبسالة ودربة بالوقائع وممارسة لها ، وهم الاساورة واصحاب الجيوش •

ومنهم من يجب أن يكون الغالب عليه : العلم والفقه والديانة والعفة والامانة (والرماية) (١٣٥) والدراية والعدالة والصيانة والمعرفة بالاحكام والحدود والفرائض والشروط ، وهو القـــاضى •

فعلى حسب ذلك يجب أن يختار الملك ولاة أعماله ، وجباة أمواله • وليعلم أنه ليس يجد من يكمل بكل فضيلة ، ويبرز فى كل منقبـــة ،

(١٣٥) هكذا بالاصل ويستقيم المعني بدونهـــا •

ولكنه يختار لكل عمل من هو أصلح له ، وأسد لمسده[١٣٦] ، وان كان فيه تخلف أو تقصير من جهات أخر ، فانه لا يجد مهذبا لا عيب فيه ، وكاملا لا نقص معه ، واذا لم يستعمل ذوى المعايب ضاعت الامور وتعطلت .

فى تقويم معاونى الملك :

ثم ينبغى للملك أن يستعين على تقويم هؤلاء بعد حسن الاختبار والاصالة فى الاستعمال بخصائص خمس :

أولها : أن يتقدم اليهم جميعا بالعدل والانصاف ، ولزوم فرائض الشريعة ، وحدود الله ، وتقديم الوعيد — النار — على من تعدى فيه أو ظلم أو ضام أو غشم ، كما يقدم اليه باستيفاء ما يجب له على الرعيه ، والاستقصاء عليها ، ولا بطلق لاحد كسرها ، ولا يسوغ لاحد منهم أخذ درهم واحد من غير حقه ، فانه اذا اطلق ذلك له أطلق هو لمن تحت يده فان لكل عامل عاملا ، ولكل صاحب صاحبا ، يطمع منه فى مثل ما طمع هو ممن فوقه ، فاذا كان كذلك صار القليل من ذلك كثيرا ، فأضر ذلك بالرعية ولم ينفع الراعى بل ربما ازداد ذلك كثيرا حتى يكثر فيحيف بها فتهلك ، ويكون فى هلاكها هلاك ملكها وواليها ، لان بيوت الرعايا وأبدانهم معادن ومزارع لبيوت أموال الرعاة وأصول لها ، فاذا حزب الاصل حزب الفرع واذا انقطعت المادة (٥٤/أ) من المعدن والاصل ذهب ما فى بيوت الاموال وفنى ، ومثلوا ذلك مثال جداول تفضى الى بركة ، فاذا انقطع ماؤها لم يلبث ماف البركة أن يقل ويفنى لاسيما اذا كان الخروج منها دائما والمستقون كثيرين ، ولاشىء أقطع لسبل الاموال من الخزائن وبيوت الاموال من الجور والظلم وتعدى الحق والرسم ، وقد وقع بذلك عبدالله

(١٣٦) أسد لمسده : أجدر على القيام بمهام عمله أكثر من غيره .

أبن طاهر [١٣٧] فقال : الخراج عماد الملك ، فما أستدر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور [١٣٨] .

وفيما أوجب الله — جل وعز — على عباده من الزكوات والصدقات أعظم شاهد ، وأبين دليل وأحسن مثال ، لان الله — جل وعز — لم يوجب عليهم مما ملكهم من الاموال الا جزءا من أجزائها ، والعشر من ثمرة الارضين لا يكلفهم سقياهم،ونصف العشر مما يلزمهم كلفة فيها أو الخراج الخفيف فى رقاب الارضين ، وربع العشر من صوامتهم [١٣٩] وقرمانهم [١٤٠] من سوائمهم القليلة العدد ، فاذا كثرت فعشر العشر أو ما يقرب منه من الاغنام وغيرها . ثم لم يوجب ذلك الا فى مال مثمر أو ممكن للتثمير ولذلك أوجب الله الجزية على أعدائه من كفار أهل الذمة لانه لم يوجبها الا على معتمل قوى أو موسر غنى ثم أمهلهم فى ذلك مدة يمكنهم فيها الزيادة والتثمير ، والنماء والتكثير كل ذلك ابقاء لمواد الاموال فى أيديهم ، ولاصولها فى أملاكهم ، ونظرا لهم ورأفة بهم ، وتخفيفا عنهم .

وقد بين سابوربن اردشير فى عهده حيث قال : « انما تكون استقامة الخراج ورجاؤه لعمارة البلاد والاستكثار من الغلات ، ولن يسهل السبيل الى المبالغة فى ذلك وبلوغ الغاية فيه الا باستصلاح أهله والعدل عليهم

---

(١٣٧) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعى . يكنى أبا العباس ، أمر خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى توفى ٢٣٠هـ الولاة والقضاء لكندى المصرى ١٨٠ ، وفيات الاعيان ٢٧١:٢ ، تاريخ بغداد ٤٨٣:٩ ، سير أعلام النبلاء ٦٨٥،٦٨٤:١٠ .

(١٣٨) ينسب هذا القول لجعفر بن يحيى . عيون الاخبار ١٣:١ ، نهاية الارب ٣٥:٦ والمستطرف ١٣١:١ ، تسهيل النظر ١٨٦ ، والايجاز والاعجاز٢٥

(١٣٩) الصوامت : جمع صامت أى الذهب والفضة . لسان العرب

(١٤٠) قرمانهم : ابلهم . لسان العرب المحيط ٣ : ٧٠ .

المحيط ٤٧٢:٢ .

والانصاف لهم والرفق بهم ، والعون لهم على ما هم بسبيله ، والترغيب لهم فيه بالتوسعه عليهم فى المعايش ، والتخفيف عنهم فى المؤونات ،فان بعض الامور لبعض أسباب ، وعوام الناس بخواصهم عدة ، ولكل صنف منهم الى الاخر أبين الحاجة » (١٤١) .

وقال أنوشروان : الملك بالجنود ، والجنود بالاموال ، والاموال تستخرج من الارضين ، والارضون تزكوا بالعمارة ، والعمارة لاتتم (٥٤/ب) الا بالعدل (١٤٢) .

ولمثل هذه الاسباب ما يجعل فضلاء الملوك دوران المال فى أيدى الملوك والجنود والرعية فى السنة الواحدة على ثلاثة أقسام : فقسم يكون فى بيت المال ، وقسم فى أيدى الجند والقواد ، وقسم يكون فى أيدى الرعية .

وليعلم الملك المهتم بعمارة مملكته والمعنى بأمر ولايته أنه لا عدو أعدى له وأقوى عليه وأشد تمكنا من مقاتلته ، من عامله ان كان جائرا غاشما ، وخليفته ان كان متعديا ظالما ، لانه الذى لا يقدر عليه أحد من أعدائه الا عامله وخادمه ، ثم يورثه لوم الاحدوثة الذى يشين به عرضه ويقبح أسمه على مر الايام ، ويفسد عليه رعيته ، وهذا هو الذى ربما يحتال له العدو بكل حيلة فلا يقدر عليه ، ثم يقطع عنه سبل دخله ،

---

(١٤١) النص فى كتاب الوزراء والكتاب للجيشهارى ص ٦ مع أختلاف يسير .

(١٤٢) النص فى مروج الذهب ١:٢٠٤ ، وورد منسوبا الى عمرو بن العاص بنص (لا سلطان الا برجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال الا بعمارة، ولا عمارة الا بعدل) العقد الفريد ١:٢٤ ، وفى نصيحة الملوك للغزالي ٤٧ دون نسبة .

ويخرب عليه معادن وفره وينابيع ماله ، ثم يطمع فيه أعداءه الابعديين ومنابذيه الاجنبيين ، فلا يبالى بهذا كله لرئيسه وسلطانه بعد أن يتعجل طفيفا من المال ، ونزرا من الحرام . فلا ينبغى للملك الحازم أن يقر أحدا منهم على ذلك ، ولا يبقى عليهم فيه .

الثانية : أن من عثر منه على نسيء من هذا الباب عزله ، واستبدل به بعد تبين الحق (من)[143] أمره من غير عجلة أو غلظة ، وعاقبه عقوبة تحتملها صورة حاله ، ومبلغ جنايته . واسترد منه ما أخذ من ظلم ،ورده على صاحبه ،فان مضض العدل على الظالم أبلغ وأشد من مضض الجور على المظلوم ، واذا كان المظلوم ينتظر به أجرا ورحمة ، ولا يخاف لذلك وزرا ووبالا والظالم يخاف عقوبة ، ويلتزم شينا ، ويستحق عذابا ونكالا . هذا على أن الله — جل وعز — قد أخبره عن نفسه فى كتابه أنه : (لا ينال عهدى الظالمين) [144] ،وانه لا يتخذ المضلين عضدا (145) .

فيجب على الملك الذى يتعرف من الله جليل النعمه فى نفسه وملكه أن لا يخالف أمر الله فى ملكه ، ولا ينازعه فى سلطانه ، فينال عهده من أخبر الله أنه لا ينال عهده ، ويتخذ فى عباده عضدا من أخبر الله أنه لا يتخذه يدا .

والثالثة : أن يجعل على كل منهم عيونا ومشرفين ، وأزمة ، سرا وعلانية ، من أمناء الناس ومشايخ الكور [146] ، وعلمائها وصلحائها ،

---

(١٤٣) (من) ساقطة من الاصل .

(١٤٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٢٤ .

(١٤٥) قال الله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) . ١٨ / الكهف: مكية / ٥١ .

(١٤٦) الكور : جمع كورة ، وهي القرية . ويقول ابن دريد :لااحسبها

وأهل العفة والعفاف منها ، يتبعون آثاره (٥٥/آ) وينهون اليه أخباره ، ويكون سبيل الامناء والعيون سبيلهم ، ومجالهم مجالهم اذ أخلوا بما هم بسبيله أو ضيعوا منه شيئا ، أو طابقوا أحدا من العمال على ظلم أو جناية أو فاحشة أو ريبة ، على أن لا يعجل فى ذلك حتى يستبرىء ويملى ويصح عنده ثمار الاخبار أسبابا • والناس عامتهم مطبوعون على الحسد والبغضاء ، موكلون بسوء الظن والفعل ، الا من عصم الله من الفساد ووفقه للرشاد •

والله لم يأمر بالقضاء الا بعد تبين الحق وظهور الصدق ، فليتق الله أمرؤ فى الحكم ولينظر فيما يفعل ويقول •

والرابعة : أن يجعل الولايات التى يوليها قضاء بحق الخدمة ، ولا يطمع فى أحد من عماله لاجل تقليده اياه ، بل يدر عليه رزقه المرسوم بالمعروف اذا وجهه اليه ، وليقدر عنده أنه انما ينفعه ليعمل ، ولا يستعمله لينتفع ، فان فى كلتا الحالتين فسادا كثيرا ، لان العامل اذا علم أن ولايته قضاء بحق خدمته ، ومكافأة له عليها ، أطمع نفسه فى الرعية ومطمعه كان فى الراعى [147] ، وظن كل ما تحت يده ثمرة خدمته وجدوى عمله •

واذا طمع الملك فى عامله طمع هو فيمن تحت يده ، ولم يرض الابأن يأخذ من رعيته التى ذكرنا بها عمارة ملكه ومعدن خزائنه أضعاف ما يبذله له ، ولا يسعه غير ذلك فى مذهبه ، لان لكل واحد من هؤلاء مؤنا غير ذلك

عربية .لسان العرب المحيط ٣ : ٣١٢ •

(١٤٧) الراعى : يقصد بها الملك •

وأغراضا فى تحصيل المال واستيمائه هـو يفترضها [١٤٨] ، وآمـالا هـو ينحوها ، ومطامع فى (الاستنفصـال) [١٤٩] والعطلـة [١٥٠] ان وقعـت ، والادخار لمدة ان طالت ، فاذا اجتمعت هذه الاسباب صار ما يؤخذ مـن الرعية أضعاف ما يحصل لبيت المال ، وقد بينا ما فى ذلك من الفساد.

والخامسة : أن لا يستكثر من العمال ولا يستخلف على الرعية منهم الا العدد الذى لا يجد منهم بدا ، فان فى الاستكثار منهم فـوق الحـاجة ضروبا من الفسـاد :

أولهما ، أنهم اذا كثروا كثرت أرزاقهم ومؤنهم على بيت المـال ، فشغلت المال عن الاوجب الاولى والاحق الاحرى ، وأضربببيت المال .

والثانية ، أنهم اذا كـثروا كثرت مكاتبتهم وكتبهم وكتب الامنـاء عليهم والشكايات منهم والرجائع عليهم ، فشغل ذلك الملك عن كثير ممـا هو أولى وأحق وأجدر (٥٥/ب) وأخلق .

والثالثة ، انهم اذا كثروا كانوا من اتفاق كلهم على الرشد والفلاح والامانة والصلاح والعفة والعفاف أبعد ، لان الامناء المختارين والكفاة المقدمين فى كل عصر وزمان ووقت وأوان أعزة قليلون فلابد اذا كثروا مـن اختلاف أحوالهم فى هذه المعانى والخصال التى يحتاج اليها فيهم ومنهم.

فالواجب أن يستقل منهم ما أمكن وتيسر ، وراج بهم العمل ويقدر ، وفى هذا موضع أقتداء بالله من جهة التأسى به ، وذلك أن الله لم يبعث

---

(١٤٨) يفترضهـا : أى يجعلها غرضا وهدفا لـه .
(١٤٩) هكذا بالاصل :و المعنى الانفصال بحكم الولاية عن الملكـة .
(١٥٠) العطلة : يقصد العزل والابعاد عن الحكـم .

رسله الا واحدا بعد واحد فى الايام المتطاولة والمدد المتراخيـــة ، وعنـــد امتساس الحاجة الضرورية من الخلق جميعا اليه ، ودثور [١٥١] الشريعة ووقوع الفترة . ولم ينصب الرسول ﷺ لهم فى كل عهد الا اماما واحـــدا وقال لهم : «اذا بويع الاميرين فاقتلوا آخرهما» [١٥٢] فهذه خلال مـــن راض بها خاصته ، وساس بها حاشيته ، واستعملها فى عماله رجـــوت أن يكون قد أدى حقهم فى التأديب والتقويم ، وحق الله فيهـــم ، وأصلحهم واصلح بهم ان شاء الله ، وبه القوة والحول والمنة والطول .

---

(١٥١) دثور الشريعة : غيابها واندثارهـــا .

(١٥٢) حديث صحيح ، أخرجه مسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه بلفظ (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما) . مختصر صحيـــح مسلم للمنـــذرى الحديث رقم ١٢٠٠ كما رواه القضاعى عن أبى هريرة مسند الشهاب ١:٤٤٧ رقم ٧٦٧ . وتيسير الوصول ٢ : ٣٣ . كما رواه البزار وفيه أبو هلال ، وهـــو ثقة ، والطبرانى فى الاوسط ، وكلاهما عن أبى هريرة . مجمع الزوائد٥:١٩٨ .

الباب السابع

فى سياسة العامة

(بالرحمة والعدل)

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا ما يجب على الملك الفاضل ، والسائس الكامل من الاقتداء بالله فيما للعبد ادراكه ، على مقدار الجهد ومبلغ الوسع ، والائتمار بأمره والرغبة فيما رغب فيه ومدح عليه .

وقد وصف الله نفسه بالرحمة بخلقه والعدل عليهم ، فقال : (وكان بالمؤمنين رحيما) [1] وقال : (فاعلموا أن الله غفور رحيم) [2] . وقال : (الرحمن الرحيم) [3] . ثم مدح النبى ﷺ بهذه المديحة ، وفضله بهذه الفضيلة ، فقال : (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [4] ، وقال . (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) [5] . وقال : (فبما رحمة من الله لنت لهم) [6] . وقال : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)[7] . وقال : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [8] (٥٦/أ) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

---

(١) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٤٣ .
(٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٣٤ وفى الاصل : واعلموا .
(٣) ١ / الفاتحة : مكية / ٣ .
(٤) ٩ / التوبة : مكية / ١٢٨ وعليكم ساقطة فى النص .
(٥) ٤٨ / الفتح : مدنية / ٢٩ .
(٦) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٩ .
(٧) ١٦ / النحل : مكية / ٩٠ .
(٨) ٥ / المائدة : مدنية / ٨ وفى الاصل : على أن لا تعدلوا .

أنفسكم أو الوالدين والاقربين) [٩] • وقال — جل وعز — فيما وصف به نفسه من العدل ، ونفى عنه من الظلم والجور : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) [١٠] • وقال : (وما ربك بظلام للعبيد) [١١] وقال : (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [١٢] •

وقال : (وما الله يريد ظلما للعالمين) [١٣] •

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «ما من وال يلى جماعة الا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله وأهلكه جوره »[١٤] •

وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه كان اذا بعث عماله خرج معهم ماشيا وهم ركاب ، فاذا أراد أن يفارقهم ، قال :(اتقوا الله فانا لا نؤمركم على دماء المسلمين ولا على أموالهم ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولكنا نؤمركم لتصلوا بهم الصلاة لوقتها ، وتجاهدوا بهم على عدوهم ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل • ألا[١٥] تضربوا العرب فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقهم فتحرموهم ، ولا تجمزوهم

---

(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٣٥ •

(١٠) ٢١ / الانبياء : مكية / ٤٧ •

(١١) ٤١ / فصلت : مكية ٤٦ وفى الاصل : وما اللـه •

(١٢) ١٦ / النحل : مكية / ٣٣ •

(١٣) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٠٨ •

(١٤) مسند أحمد ٢:٤٣١ ، رواه الطبرانى فى الاوسط ، وفيه ابراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى ، وثقة ابن حبان وغيره ، وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٦ •

(١٥) فى الاصل : الا لا •

فتفتنوهم» (١٦) . قال : «وكان نبى الله داود عليه السلام يقول : اذكر الجائع اذا شبعت ، وأذكر العريان اذا أكتسيت» . وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ انه قال «ان كنت أميرا أو وزير أمير أو داخلا على أمير أو مساور أمير فلا تخالف سنتى فانه ايما أمير أو وزير أمير أو داخل على أمير خالف سنتى وسيرتى فانه تأخذه النار يوم القيامة من مكان ثم يصير الى النار » (١٧) .

وقال القاسم بن عبد الرحمن : (١٨) كان عمرا اذا بعث عماله قال : « انى لم ابعثكم جبابرة ، وأنما بعثتكم أئمة ، لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجرموهم فتظلموهم ، ولا تجمزوهم فتفتنوهم ، وادرأوا نحق المسلمين » يعنى العطاء (١٩) .

ووجدنا فى بعض عهود الهند : أن العدل ميزان الله فى الارض يؤخذ

---

(١٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٣٣٦ مع اختلاف يسير ، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٦٧ ، وتجمزوهم : أى لا تحبسوا الجيش فى ارض العدو وتمنعوهم من العود الى أهلهم . المطالب العالية ٢١٢:٢ .

(١٧) لم أقف عليه بلفظه وان كان الامام عبد الرازق الصنعانى وأحمد بن حنبل والبزار قد أخرجوا عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال لكعب بن عجرة : «أعاذك الله من آمارة السفهاء » قال :و ما امارة السفهاء ؟ قال : «أمراء يكونون بعدى لا يهتدون بهدى ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى . المصنف ٣٤٥:١١ ويقول الهيثمى : ان رجال الحديث رجال الصحيح . مجمع الزوائد ج ٢٤٧:٥ .

(١٨) هو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، ويكنى ابا عبد الرحمن الكوفى تابعى ، محدث ثقه ، وكان قاضى الكوفة ، مات سنة ستة عشرة ومائة . تهذيب التهذيب ٣٢١:٨ ، سير أعلام النبلاء ١٩٥:٥ ، ١٩٦ . طبقات ابن سعد ٢٨١:٣ .

(١٩) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨١ .

به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل فمن أزال ميزان الله عما وضعه الله من القيام (٥٦/ب) بالقسط بين عباده فقد أعوز أشد الاعواز ، واغتر بالله أشـد الغـرة .

فاستعن على العدل بخصلتين منهما : طلب الهدى ومنها : التثبت فى الامور [٢٠] .

ثم ما أوجب الله للمؤمنين بعضهم علـى بعض ان قـال الله (انمـا المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكـم) [٢١] .

وقال النبى ﷺ : «المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يظلمه» [٢٢] .

وقال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله» [٢٣] .

وقال : «المؤمنون كالبنيان ينسد بعضه بعضـا» [٢٤] .

فيجب على الملك المشارك فى الايمان لرعيته أن يكون صفتـه معهم هذه الصفة ، ومعاملته اياهم هذه المعـاملة .

وقد روينا فيما مضى من كتابنا عن النبى ﷺ أنه قـال : «كلكم راع

---

(٢٠) من أقوال أرسطاطـاليس . نزهـة الارواح ١٩٩:١ ، ووصيـة ارسطاطاليس للاكسندر ص ٤٠ .

(٢١) ٤٩ / الحجـرات : مدنيـة / ١٠ .

(٢٢) حسن،رواه أبو داود (مع عون المعبود) ٤٧٩٧،البخارى فى الادب المفرد مع شرحه فضل الله الصمد ٢٣٩ ، والطبرانى فى مكارم الاخلاق تحقيق فاروق حماده ٩٢ ، والقضاعى فى الشهاب ١٢٦ .

(٢٣) صحيح رواه مسلم عن أبى هريرة ٥٢:١ رقم ٣٥ ، صحيح الجامع الصغير ٤٣٥:٢ رقم ١٣٦٩ .

(٢٤) صحيح ، رواه أحمد ٤٠٤:٤ — ٤٠٥،٤٠٩ ، البخارى ٤٨١ ، ٢٤٤٦ ، ٦٠٢٦ مسلم ٢٥٨٥ ، الترمذى ١٣٩٩٣ ، الطبرانى فى مكـارم الاخـلاق ٨٩ القضاعى فى مسند الشهاب ١٣٤ ، ١٣٥ .

وكلكم مسئول عن رعيتـــه» [٢٥] وعلمنا أن الراعى والرعيـــة والسائس والمسوس هما اسمان من أسماء الاضافة لابقاء لاحدهما الا بالاخـــر ، وأنه ليس حاجة الراعى الى الرعيه بأقل من حاجة الرعية الىالراعـــى ، وكذلك الملك والملك ، ولدلك ما مثل الناس الرعية بالبدن والراعى بالرأس وقالوا : ان الرعية اذا هلكت هلك الراعى ، واذا فسدت فسدت حال الراعى وكلما دخلها نقص فى أموالهم ودمائهم رجع ذلك النقص عليـــه •

وقال بعض الملوك المتقدمين : وبعد الوالى من القدرة على استصلاح نفسه مع استفساد الرعية كبعد الرأس من البقاء بعد هلاك الاركان ، غير أن الوالى أجدر باصلاح الرعية الفاسدة ، وافساد الرعية الصـــالحة من الرعية باصلاحهم الوالى وافساده لفضل قوته عليها ، ووهن قوتها عليه •

ومما يجب أن يكون معلوما أن زينة الملك بصلاح الرعية ، والرعيـــة كلما كانت أغنى وأسرى[٢٦] وأجل حالا فى دين ودنيا ، ومملكته كلما كانت أعمر وأوسع كان الملك أعظم سلطانا ، وأجل شأنا ، وكلما كانت أوضـــع حالا وأخس بالا كان الملك أخس مملكة وأنزر دخلا وأقل فخرا ، فلا ينبغى للملك السائس أن يبتغى عمارة منزلته بتخريب منازل (٥٧/ أ) الرعية ، ولا توفير خزائنه وبيوت أمواله باخلاء بيوت العامة واقلالها ، فانه ليس زينته ومباهته بعمارة المملكة وكثرة دخلها ووفـــور أغنيائها ومشـــايخها

---

(٢٥) صحيح ، رواه أحمد ٤٤٩٥ ، ٥١٦٧ ، ٥٨٦٩ ، ٥٩٠١ ، البخارى ٨٩٣ ، ٢٤٠٩ ، ٥٢٠٠ ، ٧١٣٨ ، مسلم ١٨٢٩ ، أبو داود ٢٩١٢ ، الترمذى ١٧٥٧ الطبرنى فى الكبير ١٣٢٨٤ ، ١٣٢٨٦ ، القضاعى فىمسند الشهاب سبق تخريجه

(٢٦) من السرو بمعنى المروءة والشرف . لسان العرب«المحيط ٢ : ١٣٩ •

ودهاقنتها[٢٧] وعلمائها وفقهائها وذوى آرائهـا وسرواتها[٢٨] وحـكامها ونساكها وحكمائها وأصناف ذوى المراتب والمناقب منها بأقل من زينتـه لعمارة قصوره وفضول دوره وكثرة خيوله وجنوده وخدمه وأثاثه . وليس عزته على أعدائه برعيته السامعة المطيعة المحبة له الذابة عنـه بأوهى من قوته بأعوانه وجنوده . ولا خوفه من أعدائه الخارجين من مملكته المخالفين له فى ملته وأمته بأشد من خوفه من مخالفة قلوب رعيته . بل ما يأتيه من هذه الابواب كلها من جهة رعيته أبلغ وأرفع وأعظم وأقطع .

ثم ان الرعية والراعى يجمعهما قرب المجانسة والمناسبة ومشـاكلة الطبيعة والصورة والحامة[٢٩] والمناسبة توجب الشفقة والمايلة ، ويجب لهم مع ذلك حق الملة والذمة ، وقد جعل الله المؤمنين اخوة ، والذمة أمانة وانما يجب عليهم الطاعة بشريطة المعدلة،والوفاء بالعهد ، والرأفة والرحمة فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ان لقريش عليكم حقا ماان استرحموا رحموا ، وان حكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا »[٣٠] .

---

(٢٧) الدهاقنة : جمع دهقان (بضم الدال وكسرها وتسـكين الهاء) ، وهو التاجر والكلمة من أصل فارسى . لسان العرب المحيط ١٠٢٥:١ .

(٢٨) السروات : الاشراف وهى جمع الجمع لكلمة سرى . لسان العرب المحيط ١٣٩:٢ .

(٢٩) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده . لسان العـرب المحيط ٧٣٢:١ .

(٣٠) صحيح ، أخرجه الطبرانى فى الصغير والاوسط عن أبى سـعيد الخدرى ، ورجاله ثقات مجمع الزوائد ١٩٤:٥ كما رواه احمد وأبو يعلى والبزار عن أنس مجمع الزوائد ١٩٢:٥ ، المطالب العالية ٢٠٥:٢ .

وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »[٣١] .

وقال : « انما الطاعه فى المعروف »[٣٢] .

على أنه لابد لكل صانع وساع فى العالم من معرفة بصناعة يحـذق بها ، وآلة يستعملها ، ومادة يؤثر ما يغتر منه ، وغرض يغترضـه فى ثمرة عمله ، فصناعة الملك السياسة ، وعلمه حذقة بها ، ومادته فيها وآلته جنده ، وأعوانه ، وعماله ، وخدمه ، ومادته رعيته ، وثمرة عمله : مايحصل له من ثواب الله العظيم فى دار النعيم فى الآجل ، وحسن الاحدوثة عنه فى الغائب والشاهد والآتى والحاضر ، وزينة عمله وحسنه الدال على حذقه (٥٧/ب) بصناعته وتقدمه فيها عمارة مملكته وصلاح حال رعيته . فعلى حسب هذا يجب أن يعمل الملك ويدأب ويجتهد ، فانه ان خالف هذه الطريقة وتنكبها وفارقها وعدل عنها أفسد رأس ماله الذى هـو المـادة ، وأبطـل ثمرة عمله ، ودل على جهله بصناعته ، وذلك أبين الخسران .

وروى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « عدل ساعة خيرمـن عباده ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة فى حكم أعظم عند الله من معاصى ستين سنـة » [٣٣] .

---

(٣١) صحيح ، رواه أحمد ٤٢٦:٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ و ٦٦:٥ ، ٦٧ والطبرانى فى الكبير ٣١٥٩ و ٣١٦٠ : القضاعى فى مسند الشهاب ٨٧٣ ، كشف الخفـاء ٥١٠:٢ .

(٣٢) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم والنسائى عن على . صـحيح الجامع الصغر للالبانى ١٩٥:٦ رقم ٧٣٩٥ ، وسلسلة الاحاديث الصـحيحة للالبانى ١١٢:١ رقم ١٨١ .

(٣٣) ضعيف ، رواه الاصبهانى عن ابى هـريرة . نقـلا عن المنذرى : الترغيب والترهيب ١٣٥:٣ .

وكذلك روى عن كثير من ملوك العجم أنهم كانوا يقولون : حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة ، وليس بحقيق للرعية أن يدعوا للملك الصالح لان أقرب الدعاء الى الله دعاء الملك الصالح .

ولقد قرأنا فى بعض سير الهند : أنه ليس أحد أصلح لعباد الله ولا أسعد برضوان الله من الولاة اذا صلحوا ، ولا أفسد لهم ولانفسهم اذا فسدوا ، لان الوالى من الرعية بمكان الروح من الجسد الذى لا حياة له الا به وبموضع الرأس من الاركان الذى لا بقاء لها الا معه ، وبالوالى مع فضل منزلته من الحاجة الى اصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة الى اصلاح الوالى ، لان قوة بعضهم زيادة فى قوة بعض ، ووهن بعضهم سريع الى ايهان بعض (٣٤) .

فمن حق الرعية على الامام اذا أمرهم بالطاعة والنصيحة والمؤازرة وأداء الاخرجة والمؤنة ، وجزية أهل الذمة ، وزكاة أهل الملة ، أن يعزدينهم وأن يحملهم على مناهجه ومعالمه ، ويقيم فيهم الصلوات من الاعياد والجمعات والمواسم ، وأن يحمى حوزتهم ، ويسد خلتهم (٣٥) ، ويقاتل عدوهم دونهم ، ويعمر بلادهم ، ويؤمن سبلهم ، ويحفظ ذمتهم ، وينصف مظلومهم من ظالمهم ، وضعيفهم من قويهم ، ويحفظ عليهم أموالهم ، وأشعارهم ، وأبشارهم ، ويقيم حدود الله فيهم التى حدها لهم وعليهم،

---

(٣٤) نزهة الارواح ١٩٧:١ وبنسبه الى أرسطاطاليس ، وصية أرسطاطاليس للاسكندر ضمن (أنران لارسطو الفيلسوف فى العربية) ٣٦، ٣٧ طبقات الاطباء : ٩٧:١ .

(٣٥) الخلة : الحاجة والفقر . لسان العرب المحيط ٨٩٣:١ .

بلا هوادة ولا ميل ولا حيف [٣٦] . ويوفر حقوقهم من بيت المال على ما جاءت به السنة ، وأوجبته لهم الشريعة . فمن لم يوفر حقهم عليهم وطالبهم بحقه كان أول ظالم وأظلم (٥٨/أ) غاشم ، وقد جعل الله عزوجل السلطان حكما بينهم يمنع بعضهم من بعض ، فكيف بمن يظلم ويضيم ؟

وقد قال الحسن البصرى : انما جعل السلطان ناصرا لدينه فكيف بمن استحل به الظلم ؟

خصال تحقق الصلاح :

ونحن نجمع ما يجب عليه من ذلك ونفسره وندل عليه ، ونبين عن وجه الصلاح فيه ، فى عشر خصال :

منها : مالا فرق بين الخاصة والعامة ، لان خاصة الملك على مقدار التعارف من غيرهم عامة ، اذ قد يتفق أن لا يكون فى البلد الواحد من البلدان أكثر مما فى جملة الملوك من عبيده وخدمه ولا مثل عددهم .

ومنها : ما يفرد به العامة دون الخاصة .

فمما يشمل الخاصة والعامة ما ذكرناه من الحمل على ظاهر الشريعة، والحث عليها ، والترغيب فيها . واظهار كرامة المتدينين عليه ، وجلالتهم عنده ، والمنع من اظهار الفساد والفجور من الميسر ، وشرب الخمور ، واظهار السكر والفسوق ، والقذف ، والنياحات [٣٧] الفاحشة على الموتى،

---

(٣٦) الحيف : الجور والظلم فى الحكم . لسان العرب المحيط ١: ٧٧٠ .

(٣٧) ما يظهر على النساء وسمع حال اجتماعهن للحزن . لسان العرب المحيط ٣: ٧٣٨ .

وكل محرم ومكروه في الدين ، وما يدخل في أبـواب الحسبـة والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكـر .

والثانية : ما ذكرنا من حماية بيضتهم ، وصيانة حوزتهم ، ومجاهدة أعدائهم والباغين عليهم ، وكفايتهم ذلك ، حتى تدر معايشهم ، ويأمنـوا معرة أعدائهم ، ويشغلوا بمكاسبهم ومساعيهم ، ويتهيأ لهم عمارة المملكة ، ويسهل عليهم توفير الاخرجة والوظائف والصدقات والضرائب على بيت المال ، ويكثر أهلها ، ويعظم سوادها من المقيمين والطارئين ، وبالتناسل والتوالد ، وان ذلك من أدب الله — جل وعز — وخاصة الانبياء والائمـة والملـوك .

وبلغنا عن الخليفة هارون الرشيد أنه كان يسرى في بعـض أسفاره وغزواته وقد ألح عليه الثلج ، فآذاه ، فقال له بعض أصحابه : أما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعه ؟ قال : اسكت للرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعى من حراسة رعيته[٣٨] فقـال أبو محمـد التيمى [٣٩] في ذلـك :

غضبـت لغضبك القواطـع والقنـا

لمـا نهضـت لنصرة الاسـلام

---

(٣٨) المصـباح المضيء ١: ٢٧٥ .

(٣٩) هو عبد الله بن ايوب ، ويكنى أبا محمد ، التيمى من تيم اللات بن ثعلبة احد شعراء الدولة العباسية ، مدح الامين والمأمون وغيرهما ، توفى ٢٠٩ هـ . تاريخ بغداد ٩: ٤١١ ، الاعلام ٤: ١٩٩ .

نامــوا الى كنف لعدلــك واســع
وسهرت تحرس غفلة النــوام [٤٠]

(٥٨/ب) والثالثة ، قمع ذعارهم وأهل العبث والفساد فيهم،وشغلهم عنهم بقتل أو صلب أو نفى أو حبس أو قطع ، على ما جاءت به الشريعــة فى الكتاب والسنة ، وأن لا تحمله الرقة لهم والميل الى بعضهم على المحابــاة فيها ، فان المحاباة لهم ترك المحاباة نفسه ، وفى الابقاء عليهم فى هذا الباب اهلاك لهم ، وقد وصف الله ــ جل وعز ــ نبيه ﷺ وفضلاء أصحابه بالرحمة والرأفة ، ثم قال لهم : (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله انكنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) [٤١] ، فكانوا على ما قال وأمر ، ومنتهين عما نهــى وزجــــر .

وقال فيما وصف به نفسه : (اعلموا أن الله شديد العقــاب وأن الله غفور رحيم) [٤٢] . فالاقتداء بالله ورسوله أولى بالعبد وان شق عليه .

ثم يجب عليه أن لا يتعدى حدود الله وما أمره به تعظيما للعقوبة ، وتفخيما لها ، فانه لا عقوبة أهيب فى النفوس ، ولا أهول فى العيون ، ولا أولى بالردع ، ولا أحرى بأن لا تورث المعاقب حقدا وعداوة وموجدة من عقوبة يحال بها على الله وعلى دينه الذى يقر به المعاقب وعلى أن من تعدى فى الزيادة (عصبا) [٤٣] وحمية يوشك أن يحابى وينقص رضــا وميــلا ،

---

(٤٠) أوردهما الطبرى فى تاريخه لشاعر فى عمــر بن الخطاب رضى الله عنه . الجزء ١١ ص ١٨٩ ، وابن الجــوزى فى المصــباح المضىء ج ١ / ٢٧٥ دون نســـبة .

(٤١) ٢٤ / النور : مدنية / ٢ .

(٤٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٩٨ .

(٤٣) هكذا بالاصل ، والاولى أن نكون (تعصبا) .

ويعفو عن الجريرة فى بعض الاوقات (أصلا) [٤٤] • وفى ذلك تعطيل للحدود واهمال للرعية واحراج لاهل المملكة ، ومع أن الاسلام قد قيد انفتك ومنع من المثلة[٤٥] وحرمها ، فمن حق الملك أن لا يعاقب تعصبا ولا تغضبا ، وانما يعاقب تأديبا وتدينا ، فالوجه أن لا يخالف حكم دينه فيها •

الحدود والحبس :

ثم ينظر فى اقامة هذه الحدود ، وتأديب أهل الجنايات منهم ، ويبحث عنها ، ويستقصى فيها ، ولا يقدم على أحد فى شىء من العقوبات الا بعد البيان والبرهان •

فأما من يوجب عليه الحبس منهم فالواجب أن يتفقد أحوالهم ، ويبحث عن أمورهم فى ثلاثة مواضع :

أولها : أن لا يحبس أحدا الا بعد وجوب الحبس عليه •

والثانية : أن يتعهدهم فى حبوسهم فى مآكلهم وملابسهم ، فانهم قوم قد منعوا من التصرف لانفسهم والسعى لها ، وليس لكل منهم مال ينفعه ، وولى يتعهده فكفايتهم وتعهدهم على الامام الذى (٥٩/أ) هو ولى المسلمين ، والسلطان ولى من لا ولى له •

والثالثة : أن يعرضهم فى الوقت بعد الوقت ، فلعله أن يثوب مذنب أو ينيب مجرم ويعرف محق من الخصوم أو يندم مبطل ، وأن يكون فيهم من يضيع عياله الذين كان معولهم على كدحه ، واعتمادهم على كده ،

---

(٤٤) هكذا فى الاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

(٤٥) المثلة : التعذيب والتنكيل وتقطيع الاطراف وغير ذلك . لسان العرب المحيط ٣:٤٣٨ .

ومعاشهم من كسبه•والمريض الذى لا ممرض له يمرضه ولا طبيب يحضره•

ثم ان الحبس من عظيم العقوبات ، وانما يجب أن تقع العقوبات على مقادير الذنوب ، ولا يجوز أن يساوى بين ذوى الجرائم صغارها وكبارها فى التخليد والاخراج والتقييد والاطلاق الا المصر الذى وجب عليه الحبس من فساد فى الارض ثم لم يقلع ولم يتب •

والرابعة : أن يحكم بينهم فى مظالمهم ودعاويهم ، وسماع بيناتهم وشهاداتهم بكتاب الله — عز وجل — وسنة نبيه ﷺ ، وما يوجبه الحق والحكم •

اختيار القضاة :

ويجتهد فى أختيار الحكام حتى لا يولى الا الدين العفيف ، والعالم الفقيه ، والاريب [٤٦] الامين ، الوقور الرزين على ما ذكرناه فى الباب المتقدم لهذا الباب • ويتقدم اليه الاستقصاء فى البحث والنظر والاخذ للضعيف من القوى ، وان لا يعجل قبل تمام البحث والاستقصاء ولا يماطل به بعد ثبات الحجة وقيام البينة . فان فى كلتا الحالتين اهمالا وتضييعا وانه لم يحكم بالميل وحاف عن العدل على المحكوم عليه ، ولكنه حكم على نفسه، وجعله خصمه يوم القيامة عند من لا يظن بـه الميل ، ولايقع فى قضاياه الضيم ولم تزل تلك وصية الله لانبيائه وأوامره الملقاة الى أوليائه اذ قال : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس

---

(٤٦) الاريب : المتبصر بالامور والمدرب عليها والماهر فيها . لسان العرب المحيط ١ :٤٢ •

بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) [٤٧] .

ثم ملاك أمر القاضى والحاكم أن يعينه الوالى بما يدر عليه من الارزاق المواسعة الهنية [٤٨] ليتنزه عن أموال الرعية والطمع فيها ، فان الحرص على الدنيا لا سيما فى زماننا هذا قد صار عادة للعلماء ، وعلى غير هذا ما كان يجب أن يكونوا ، فقد روينا عن النبى ﷺ أنه قال : « ما ازداد أحد علما فازداد به على الدنيا حرصا الا ازداد من الله بعدا وازداد الله له بغضا » [٤٩] .

ولارسطاطاليس فى هذا (٥٩/ب) الباب فصل جامع اذ قال : الحاكم سيد على من وليه فتعقد من الحاكم أربع خصال وهى : أن يكون حييا ، وأن يكون ورعا ، وأن يكون عالما ، وأن يكون غير عجول . وأعلم أن الحاكم يزين الحكم (بعدله)[٥٠] ويوسخه لوسخه ولزومه غير الطريق .

وقال : واحذر أن يكون الحاكم مشتهيا للكلام فان الحكومة لا يصلح لها ، من كان كذلك . وكمال أمره أن يغنيه عن أموال الرعية ،ويوسع عليه أرزاقه ، ويقتصر عليه عندما تظهر منه النصيحة ، ولا يسرع فى شهرته ، وان أنكرت عليه شيئا من أمور الرعية ففتشه كما يفتش الحاكم بالسنة القائمة ، واحمله على خطة الحكومة وان كان مرضيا فى الناس وأنكرت

---

(٤٧) ٣٨ / ص : مكية / ٢٦ .

(٤٨) هكذا بالاصل ونرى أن الاصوب (الكافية) .

(٤٩) وقد أورد الدارمى عن ابن سيرين . « من ازداد فى العلم رشدا ، ولم يزدد فى الدنيا زهدا ، لم يزدد من الله الا بعدا » سنن الدارمى ٥٨ ونثر الدر للابى ١٨٩:١ ، والحكمة الخالدة ١٦٧ ونسبه الى بعض الحكماء .

(٥٠) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

عليه فى أمرك خاصة فاستره وانسهر غيره بحسن الحال والمعرفة ، فـاذا صار عند الناس مشهورا معينا لهم عن الاول فاصرع الاول بمالك عليهمن من الحجة الظاهـرة القويـة •

ويجب أن لا يغفل القاضى عن استعمال ما تضمنته رسالـة أميـر المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبـى موسى الانسعـرى فانها أوائـل علم القضاء ، كتب اليـه :

أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، (وواس) [٥١] بيـن الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع فى حيفك شريف ، ولا يخاف جورك ضعيف • البينة على من أدعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما • لا يمنعنك قضاء قضـيته بالامس فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن تراجع الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل • الفهم الفهـم عندما يتلجلج فى صدرك ، مما ليس فى القرآن والسنة ، واعـرف الامثال والاشباه ثم قس الامور عند ذلك ، واعمد الى احبها الى الله ، وأشبهها الى الحق فيما ترى ، واجعل للمدعى أمدا ينتهى اليه ، فان أحضر بينـة أخذ بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك اجلى للعمى ، وأبلـغ فى العذر • والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا حدا أو مجربـا عليه فى شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالشبهات • ثم اياك (٦٠/أ) والضجـر والقلق ،

---

(٥١) هكذا فى الاصـل ، والاصوب (وساو) •

والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق ، التى يوجب الله بهـا الاجر ، ويحسن بها الذخر . فانه من يخلص نيته لله فيما بينه وبينـه، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلافه يشنه الله ، فما ظنك بثواب غيـر الله فى عاجل رزق اللـه وخزائن رحمته ، والسـلام »[٥٢] .

قالوا : وكتب الى معاوية بن أبى سفيـان :

« أما بعد ، فانى كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسى فيه خيرا الـزم خمس خلال ، افهمها يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك ، اذاتقـدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادله ، واليمين القاطعة ، وادن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعاهد الغريب ، فانك ان لم تتعاهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفع به رأسـا .

وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء »[٥٣] .

مراعاة مراتب النـاس :

والخامسة : أن تعرف طبقات الناس ومراتبهم ، من أبناء الملوك ،

---

(٥٢) ذكر الرساله ابن قتيبة : عيون الاخبار ١:٦٦ ، سنن الدارقطـنى ٤:٣٠٦ ، ٣٠٧ ، الجاحظ فى البيان والتبيين وبينا روانها ٢:٤٨ وقـد أوردها المـاوردى ى ألاحكام السلطانية ص ٧١ والكامل للمبرد ١:٧ وأخبار القضاه لوكيع ١:٧٠ وقد دحض ابن حزم هذه الرسالة من ناحيـة الرواه فى مـؤلفه ابطال القياس ٦ ويؤيد هذه الوجهة الشيخ محمود عرنوس فى مؤلفه تاريـخ القضاء فى الاسلام . ونرى أن رساله عمر رضى الله عنه ويعتبرها معظم علمائنا دستور القضاء . لم يكن عمر فيه مبتدعا وانما متبعا . أنظر فى ذلك كتابنا : حكم الاسلام فى القضاء الشعبى (بحث مقارن) ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥٣) ورد نصه ى رسالة الحجاب للجاحظ (ضمن رسائل الجاحـظ) تحقيق عبد السلام هارون ٢:٣١ ، وفى العقد الفريد ١:٦٢ مع تعديل طفيف .

والاشراف وذوى الانساب ، والاحساب وأولادهم ، والعلماء والنساك وذويهم ، والاغنياء[٥٤] وأرباب الضياع والارضين ، والتجار والصناع والمهنة وأصحاب الاقدار منهم ويرتبهم مراتبهم ، وينزلهم على منازلهم ، فيوفر على كلّ طبقة منهم حقهم على مقادير أسبابهم ومراتبهم من البشر والتقريب والارفاق والترتيب ، فان ذلك مما يحرضهم على التسابق فى طلب الخير والتباهى فى نيل الفضل فيما هم فيه ، فيكون ذلك سببا لانتظام أمورهم ؛ واتساق أحوالهم ، وطيبة أنفسهم • واذا عوملوا بخلاف ذلك أداهم الى الحنق على السلطان ، واضمار السوء له لان من رأى فى نفسه فضلا من شرف أو علم أو نجدة أو مجدا أو بلاء وكفاية فجهل حقه وحرم منه ما يستأهله ويستحقه أحفظه ذلك احفاظا ، وأحقده احقادا ، وخيلَ اليه أنه قد منع حقا واجبا ودينا لازما ، وظلم ظلما عظيما • ومن قدر فى نفسه ذلك اختار فى دفعه عنها ان وجد الى ذلك سبيلا ، وان لم يجد كانت طاعته مكره مجبور مضطهد مقهور ، (٦٠/ب) لا طاعة محب مختار •

وقد أوجب الله فى ذلك فى كتابه ، وبينه لنبيه عليه السلام ، وجعله من دينه حيث قال : (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [٥٥]• ويقول (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) [٥٦] •

---

(٥٤) غير واضحة بالاصل •
(٥٥) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٥ •
(٥٦) ٥٧ / الحديد : مدنية / ١٠ •

وقال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) [٥٧] .

وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمــون انما يتذكــر أولو الالباب) [٥٨] .

وقال : (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) [٥٩] . وقــال : (أم حسب الذين اجترحوا السيئــات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملــوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) [٦٠] .

وقال النبى ﷺ : (أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم) [٦١] .

وبسط رداءه لقيس بن عاصم المنقرى وقال : (اذا أتاكم كريم قوم فاكرمــوه) [٦٢] .

وقال يوم الفتح : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمــن» [٦٣] .

وقال له : «كل الصيد فى جوف الفــرا» [٦٤] .

---

(٥٧) ٤/ النساء : مدنية / ٩٥ .

(٥٨) ٣٩ / الزمر : مكية / ٩ .

(٥٩) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٢٠ .

(٦٠) ٤٥ / الجاثية : مكية / ٢١ .

(٦١) صحيح ، أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها . المسند ١٨١:٦ ، وسنن أبى داود (تحقيق الدعاس) ٥٤٠:٤ رقم ٤٣٧٥ ، والبخارى فى الادب المفرد ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامه . كشف الخفاء ١٨٣:١ ، وفى صحيح الجامع الصــغير ٣٨٢:١ برقم ١١٩٦ فيه اســتثناء الا الحــدود .

(٦٢) حديث حسن ، اخرجه ابن ماجه عن ابن عمر سنــن ابن ماجــه ١٢٢٣:٢ رقم ٣٧١٢ وشرح السنة ١٢٨:١٣ والبزار وابن خزيمة والطبرانى وابن عدى والبيهقى عن جرير ، كما اخرجه الحاكم فى مستدركه عن جابــر . صحيح الجامع الصغير ج١ ص ١٣٤ رقــم ٢٦٦و المقاصــد الحسنة ٣٣ ، ٣٤ .

(٦٣) ذكره أبو عبيد فى الاموال ١٤١ ، زاد الميعاد ج٥ : ٦٨ ، الــدرر فى اختصار المغازى ٢٣١ .

(٦٤) الفرا : الحمار الوحشى وجمعه فراء . واصل المثل أن ثلاثة نفر

وأعطى يوم حنين [٦٥] كثيرا من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطى كثيرا من فضلاء المؤمنين [٦٦] ، ثم مدح كل قوم بماهم فيه ، ودعا لكل واحد بما يستحقه ، وفضل كلا من أصحابه بما استوجبه ، وأصطفاه لما هو أهل له ، فبالله قدوة ، وفى رسوله أسوة • وهذا باب من السياسةكثيرة منفعته عظيمه مضرته •

وروى عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى أبى موسى الاشعرى :

« أما بعد ، فانه لم يزل للناس وجوه يذكرون بحوائج الناس ، فاكرم وجوه الناس قبلك ، فبحسب المرء الضعيف المسلم أن ينصف فى العدل والقسم » [٦٧] ولم يزل الملوك يتواصون بالمحافظة على هذه الخلة، والمثابرة على تعهدها ، فاذا تتبعت كتبهم وعهودهم لم تجد عهدا جامعا ولا كتابا كاملا يخلو منها •

وقد قال أردشير فى عهده : « اجعلوا حديثكم لاهل المراتب ، وحباءكم لاهل الجهاد ، وسيركم لاهل الدين » [٦٨] •

= خرجوا منصبدين فاصطاد أحدهم أرنبا ، والاخر ظبيا ، والثالث حمارا ، فاستبشر صاحب الارنب وصاحب الظبى بما نالا ، وبطاولا علبه ، فقال النالث: كل الصيد فى جوف الفرا أى هذا الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه لبس مما بصبده الناس أعظم من الحمار الوحسى ، وتالف النبى ﷺ أبا سفيان بهذا القول حين استأذن على النبى ﷺ فحجب قليلا وقال الرسول له: أنت كما قبل : كل الصيد فى جوف الفـرا بتألفه على الاسلام . الامثال للمبدانى ٢ : ٧٤ ، والامثال لابى عبيد القاسم ٣٥ .

(٦٥) يعنى غزوه حنين فى شوال من السنة الثامنة من الهجـرة الدرر فى اختصار المغازى ٢٤٢ .

(٦٦) انظر فى ذلك الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٦٧) تاريخ الامم والملوك ٤ : ٢٠٣ مع اختلاف يسير .

(٦٨) عهد اردشير ٧٢ ، وورد النص فى لباب الاداب ١٨ بلفظ (اجعل =

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « دافع عن أهل المروءات ومن كان له قديم فى الخيــر ، وان تضعضعت أحوالهم ، فــان أسلافهم فخر [٦٩] لهم ، كفاك (٦١/أ) شرفا أن يميل اليك أبناء الملوك » .

وقال : « لا يكشف أستار أهل الاقدار والانفه ، فان عيب ذلك راجع على ملكــك » .

قالوا : وقد قال أردشير : عاملوا أحرار الناس بالمــودة محضــا ، فانهم لا يحتملون الهوان ، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبــة ، وعاملــوا السفلة بالرهبة صراحا [٧٠] . فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين فجعلـــه (فقال شعــرا:) [٧١]

اذا كنتــم للنــاس أهــل سياســة
فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا
على الذل أن الذل يصلح للنــذل [٧٢]
وكونوا لاوســاط الرجــال كمــازج
زعافا وماذيا كأحلــى جــنى النحـــل
ولينـــــوا لهم طورا ببســط كــرامة
وخلوهم طورا قيامــا علــى رجــل

= مرتبك مع أهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لاهل الدين) .

(٦٩) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (لك) بدلا من (لهم) .

(٧٠) ورد منسوبا الى (أنو شروان) مع أختــلاف يسير . نهايـــة الارب ٦ : ٤٤ ، ومحاضرات الادباء ١ : ٨٠ .

(٧١) هكذا بالاصل والاولى أن تكون (شعرا فقال) .

(٧٢) ورد بنصهما فى محاضرات الادباء ١ : ٨٠ من انشاء ابى معاذ على =

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قدم من كان مشهورا بالورع، وأقضى حوائج العامة بهم [٧٣] .

دفع الظلم عن العامة :

والسادسة : أن يمنع العامة ظلمه ، وظلم أصحابه وحاشيته ،ويقطع طمعه وأطماعهم عن أموال المسلمين وفروجهم وأنسعارهم وأبشارهم ، وينصف لهم من نفسه فقد بينا ما فى الظلم من الفساد وفى خلافه من الصلاح ، وان هذا أولى الامور بالملك تكرما واستصلاحا ورأيا وأصالة لانه قادر عليهم ، وظلم الانسان من تحت يده وملكه لؤم ودناءة .

ثم ان الرعية ان ظلم بعضها بعضا ، كان السلطان هو المفزع ، والمستغاث ، والملتجأ والمستعدى ، واذا هو ظلم لم يكن فوقه يد قابضة ، فيصير ذلك عادة يصعب انتزاعها ، وذرية يتعذر تركها . على ما فى هذه الخلة أعنى العدل من الائتمار بأمر الله والاقتداء به ، والاستنان بسنن الصالحين من أنبيائه وأوليائه سلوكا لسبيل الحكماء المبرزين على ما وعد الله العادلين من جزيل الثواب وكريم المآب ، وأوعد به الجائرين من أليم العذاب وشديد العقاب . وقد قال النبى ﷺ وقد تقاضاه يهودى فأساء التقاضى وأغلظ فى القول : « دعوه فان لصاحب الحق يدا ولسانا » [٧٤]

= المتوكل حين استخلف وفى عبن الادب والسياسة ١٥٤،وأوردهما الماوردى فى سهبل النظر ص ٢٦٩ والنسطر الاول من البيت الاول كالتالى :

اذا كننم للناس فى أرض ساده . . . ، ونهاية الارب ٦ : ٤٤ .

(٧٣) رسالة أرسطوطالس فى التدبير ص ٥١ مع أختلاف يسير .

(٧٤) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ ، فهم به أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه ، فان لصاحب الحق مقالا » .. اللؤلؤ والمرجان ص ٣٩٢ الحديث رقم ١٠٣٢ وهداية البارى ١ : ٣٤٣ .

وتحاكم أمير المؤمنين عمر الى يزيد بن ثابت وعرض على خصمه اليمين حتى اصطلحا ،و تحاكم أمير المؤمنين على (٦١/ب) الى شريح [٧٥] قاضيه وحكم الحكمين واحتمل ما لزمه بعد التحكيم من الضيم •

وقال النبى ﷺ : « اتقــوا المظالم فان الظــلم هى الظلمات يــوم القيامة »[٧٦] وقال : « من غضــب شبرا من أرض طــوقه مــن ســبع أرضين »[٧٧] •

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند فى عهده الى ابنه : « واعلم أنك من نلت منه مظلمة أو أفرطت عليه فى عقوبة فان الذى أتيت به نفسك أشــد مما أتيته اليه ، فان كلوم[٧٨] الدنيا تعفو وتبيد آثارها ، وكلوم الآثام لازمة للنفوس حتى يأتى عليها القصاص » •

وكذلك لم تزل الملوك الحزمة يتواصون به ، ويأمرون به فى عهودهم،

---

(٧٥) هو شريح بن الحارث الكندى ، أبو أمية القاضى ، بعد فى كبــار التابعين ، وكان من أعلم الناس بالقضاء ، وولى القضاء ستين سنة مــن زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى زمن عبد الملك ، توفى سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة عام ، والاستيعاب ٢/٧٠٢ العبر ١:٨٩ ، طبقات الشيرازى ٨٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٠ — ١٠٦ .

(٧٦) حديث صحيح ، أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر بلفظ « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » صحيح الجامع الصغير ١:٨٧ رقم ١٠٠ ، شرح السنة ١٤ : ٣٥٧ عن جابر بن عبد الله .

(٧٧) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم عن سعيد بن زيد ، بلفظ «من أخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» اللؤلؤ والمرجان ٣٩٣ رقم ١٣٠٨ ، والترغيب والترهيب ٣ : ٥٤،٥٣ .

(٧٨) كلوم : جروح . لسان العرب المحيط ٣:٢٩١ .

ويحشون به كتبهم ، ويرسلونه آثارا فى سيرهم ، فقــد كان مــلوك آل ساسان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ، لهم فى الســنة يومان : فى النيروز والمهرجان ، يظهرون فيهما للخاصة والعامة ، فلا يحجب عنهم فى هذين اليومين أحد من صغير ولا كبير ، ولا شريف ولا وضيع ، وكان يأمر الملك منهم بالنداء فى مملكته قبل قعوده بأيام ليتأهب للناس ليوم المحفل ، فيعد المظلومون حججهم ، ويكتبون قصصهم ، ويحضرون خصومهم ، وربما اصطلح كثير من أهل المظالم قبل ذلك اليوم خوفا من الفضيحة والتنكيل والعقاب الشديد ، فردوا ظلاماتهم ، وأصــلحوا تبعاتهم . فلما كان ذلك اليوم أمر الموبذان ، وهو قاضى قضاتهم ، أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقف بباب العامة ، فلا يمنع أحدا من الدخول على الملك ، وينادى مناديه من حبس رجلا عن رفع مظلمة ، فقد عصى الله وخالــف ســنة الملك ، ومن عصى الله فقد آذن بحرب منه ، ومن الملك ، وأمر الملك أن يؤذن للنـــاس ويأخذ رقاعهم ، ويتأمل ، فان كان فيها متظلم مــن الملك بدىء به أولا ، وقدمت على كل مظلمة ، ويحضر الملك الموبذ الكبير والبرزان[٧٩] وراس ســدنه بيوت النيران ، ثم يقوم منــاد فينادى : « ليعتزل المتظلمون من الملك فيعتزلون » ، ويقوم الملك مع خصومه حتى يجثو بين يدى المــوبذ فيقول : أيها الموبذ ، انه لا ذنب عند الله أعظم من ذنب الملوك ، وانمــا خولها رعايا لتدفع عنها الظلم (٦٢ / أ) وتذب عن بيضــة الملك ظــلم الظالمين ، وجور الجائرين ، فاذا كانت هى الظلمة الجائرة فيحق لمن دونها

---

(٧٩) غير واضحة فى الاصل ، والبرزان تعنى نافخ البوق — المساعــد ٢ : ١٩٢ .

هدم بيوت النيران ، وسلب ما فى النواويس من الاكفان ، ومجلس هــذا منك ، وأنا عبد ذليل ، نسبيه مجلسك من الله غدا ، فان أثرت الله آثرك ، وان آثرت الملك عدبك . فيثنى عليه الموبذ خيرا . ويقول له جميلا وربما قال : « ان الله اذا أراد سعادة عباده ، اختار لهم خــير أهــل الارض ، واذا أراد أن يعرفهم قدره ، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك » . ثم ينظر فى أمره وأمر خصمائه بالحق والعدل ، فان صــح على الملك شىء أخذه به ، والا حبس من أدعى عليه باطلا ، ونكل به ونادى عليه : « هذا جزاء من أراد شين المملكة ، والقدح فيها بالباطل » . فاذا فرغ من مظالم الملك قام فسجد لله طويلا ، وحمد الله كثيرا على ما رفع عنه من المظالم وحط عنه من الاوزار ، ثم وضع التاج على رأســه ، وجلــس على سرير الملك ، والتفت الى قرابته وخاصته وحامته ، فقال : « انى لم أبدأ بنفسى فأنصفت منها لئلا يطمع طامع فى حيفى ، فمن كان قبله حــق ، فليرد الى خصمه منه ، اما بصلح واما بغيره » ثم كان أقرب الناس الى الملك فى الحق كأبعدهم ، وأقواهم كضعيفهم[٨٠] .

قالوا : فلم تزل الناس على هذا من لدن عهد أردشير الى أن ساسهم يزدجرد الاثيم[٨١] .

ثم غير هذه السيرة فى المعدلة وقتل أباه ، وكان من أمره ما كان[٨٢] .

---

(٨٠) النص فى التاج فى اخلاق للملوك للجاحظ ص ١٦١ — ١٦٣ مع اختلاف طفيف ، والشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ٦٨ ، والتبر المسبوك ٨٤، ٨٥ .

(٨١) يزدجرد بن سابور ذى الاكتاف ، الملقب بالاثيم ، وكانت مدة ملكه أحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما . مروج الذهب ١ : ١٩٧ ، ويقول صاحب الشاهنامه أن مده ملكه سبعين سنة . الشاهنامه ٢ : ٧٣ .

(٨٢) أنظر فى ذلك الشاهنامه ٢ : ٧٣ ، ٧٤ ، التبر المسبوك ٨٥ .

ثم عاد بهرام جور[٨٣] الى بعض السيرة فى المعدلة والنصفة وان كان قد غلب عليه فى أكثر أحواله اللهو واللعب .

وقد كتب الحكيم الى الاسكندر : خير لك يا أسكندر أن تجلس للعامة كافة فى اختلاف السنة ، وتلزم سنة الهند فانها ممدوحة ، وتفقد ما انتهى اليك وجد فى البحث عنه ، وواتر عليهم المواعظ ، وحدد الاوقات فى اجتماعهم[٨٤] . ويقول . انها سيرة حسنة لولا تراخى المدة بين المجالس، فانه اذا وقع مثل هذا فيما بين السنين والشهور ، ارتكب الناس الجور والظلم مطمئنين ساكنين الى وقت المجلس . فكم من مظلوم يموت قبل امكان طلب حقه ، وظالم يفوت ، وكم من ضعيف يعجز ، وصحيح يمرض، وغريب (٦٢/ب) يؤوب الى وطنه فيضيع حقه ، ولكن يجب على الملك أن يفعل ذلك فيما بين الاسابيع والجمعات والشهور ، وفيما بين ذلك يستكفى من يكفيه بعد أن يقوى يده وعزمه ، ويقدم اليه بالوعيد البات أو اعلمه ذلك من رأيه ان اطلع منه على اضاعة أو فتور أو حيف أو ميل على ما بيناه فى موضعه من الكتاب .

ومن مأثور آثار العجم فى هذا الباب ، أن كسرى لما بنى الايوان بالمدائن ، وقع لعجوز ضعيفة فى زاوية من زواياه بيت يمنع من اقامة تربيعة ، فطلبوه منها بأضعاف(ثمنها)[٨٥] حتى بلغوا أن يفرش وجه ذلك

---

(٨٣) هو بهرام بن يزدجرد المعروف ببهر ام جور ، وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة ويقول صاحب الشاهنامة ان مدة ملكه ستين سنة مروج الذهب ١ : ١٩٧ والشاهنامة ٢ : ٨٠ .

(٨٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف يسير .

(٨٥) هكذا في الاصل ، والاصوب (ثمنه) .

البيت بالدنانير ، فأبت .. وقالت : ان جوار الملك أحب الى من جملة هذا المال ، فبنوه منكسر التربيع ، فلما استوى البنيان جاءت الى الملك وقالت : انى لم أفعل ما فعلت بخلا على الملك ولا محبة لايحاشه[٨٦] ولكنى فعلت ذلك محبة منى لان يبقى للملك فى احتماله عنى ، وانصافه لى ، ورفقه بى منقبة تؤثر ، وفضيلة تنشر على غابر الايام ووجه الزمان ، فيكون أحسن به وأبقى لذكره من هذا البنيان على جلالة خطره وبعد سمته ، ووثيق أساسه ، وقوى أركانه ، فشكر لها ذلك وعدها لها صنيعة ، وصنيعة غرا ، وأمر باكرامها ، وحسن جوارها .

وذكر قحطبة بن حميد قال : كنت واقفا على رأس أمير المؤمنين المأمون ، وقد جلس للمظالم ، فلم يزل جالسا حتى كادت الشمس تزول ، فأقبلت أمرأة عليها أطمار بالية ، تعثر فى أثوابها فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، قال : فنظر الى يحيى بن أكثم[٨٧] ثم قال : وعليك السلام تكلمى رحمك الله فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد

ويا اماما به قد أشرقَ البلد

(٨٦) ايحاشه ، منعه التصرف فيه . لسان العرب المحيط ١ : ٧٥٥ .

(٨٧) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التممى الاسدى ، ويكنى ابا محمد ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفى حكم العرب ، تولى قضاء البصرة ثم قضاء قضاة بغداد فى عهد المأمون وتوفى ٢٤٢ هـ . وفيات الاعيان ٥:١٩٧—٢١٤ ، أخبار القضاه لوكيع ٢:١٦١—١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ — ٢٠٤ ،طبقات الحنابلة ١:٤١٠ ، ٤١٣ العبر ١:٤٣٩،سير أعلام النبلاء ١٢:٥—١٦،وشذرات الذهب ٢ : ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

تشـكو اليـك عقيـد الملك أرمـلة
عـدا عليهـا ـ فلن تقوى به ـ أسد

فابتز مـنى ضـياعى بعـد منعتها
طـرا وفارق مـنى الاهـل والولد

قال فأجابها المأمـون :

فى دون ما قلت عيل الصـبر والجـلد
وأحـرق اليـوم مـنى القلب والكبد

هـذا أوان صـلاة الظهـر فانصرفى
وأحضرى لى فى اليـوم الذى أعـد

(٦٣/ أ)

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
أنصـفك منـه والا المجلس الاحـد

قال : فولت فلما كان يوم الاحد جلس المأمون ، ولم يرد الجـلوس الا من أجلها ، فكان أول من دعا به المرأة ، فأقبلت فى ذلك الزى فسلمت فرد عليها المأمون ثم قال : أين الخصم ؟ ، فأومأت الى ابنـه العباس ، فقال : يا أحمد ، يعنى ابن أبى خالد[٨٨] ، خذ بيده فاجلسـه معها حتى يتناظرا ، فجعلت المرأة ترفع صوتها على صوت ابن أمير المؤمنين ، فقال يحيى بن أكثم : مهلا لا ترفعى صوتك على صوت ابن أمير المؤمنين فقال . دعها ، فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، ثم ان المأمون حكم برد ضيعتها،

---

(٨٨) هو أحمد بن أبى خالد ، الاحول الكاتب ، أبو العباس ، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل ، وكان جوادا ، شهما ، سائسا ، داهية ، مات سنة اثنتى عشرة ومئتين . النجوم الزاهره ٢٠٣:٢ ، تاريخ الطبرى ٥٧٥:٨، ٥٧٩، ٥٩٥ ، ٦٠٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٥٥:١٠ ، ٢٥٦ .

وظلم[٨٩] العبـاس بظلمـه لها ، وقال : يا أحمـد أكتب برد ضـيعتها عليها[٩٠] ، واكتب الى العامل هناك بارفاقها وحسن معونتها ، وادفع اليها ما تتحمل به الى أهلها .

رصـد أخبـار العـامة :

والسابعة : هى أن يجعل على الرعية عيونا ممن يداخلون طبقاتهم ، وجواسيس يتجسسون أخبارهم ، ويتبعون أنباءهم ولا سيما فى مواضـع الظنة والتهمة ، كما يفعل ذلك مع المنابذين له من الملوك والنظراء والمجاورين له (من) [٩١] الاضداد الاعداء وفى كل وقت وزمان .

ويجتهد أن يحمل ذلك على السر من يأمن ناحيتهم ، ويعلم أمانتهم ، فان ذلك من محكم التدبير ، وبليغ التقدير ، وصواب السياسة ، وفيـه التأدب بأدب الله ، والاحتذاء على رسوم أفعال الله ، وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا بدءا ، وكررناه تأكيدا وتأييدا .

ان الله ـ جل وعر ـ على أنه المنفرد بعلم الغيوب الذى لا يشركه فيه سواه ، ولا يدعى أحد بلوغ مداه ، جعل على عبـاده مـلائكته كراما كاتبين ، وحفظة يعلمون ما يفعلون ، ويكتبون ما يمكرون ، فقال حاكيا عن عباده أنهم يقولون فى موقف القيامة وعند معـاينة الاعمـال المقـدمة : (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغـادر صـغيرة ولا كبيرة الا أحصـاها ،

---

(٨٩) هكذا فى الاصل والاصوب (لام) بدلا من (ظلم) .

(٩٠) أورد الماوردى هذه القصة مع اخلاف لفظـى يسير فى الاحكـام السلطانية ص ٨٤ ، ٨٥ وكذا فى آثار الاول فى ترتيب الدول للحسن بن عبد الله ص ١٨ ، ١٩ وتهذيب الرياسة ٣٥٣ .

(٩١) (من) ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها .

ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا)[٩٢] . وقال : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)[٩٣] . فكيف يجوز لعبد ذليل لا يسمع الا بآله ضعيفة ، ولا يعلم الا بتعليم واستفادة ، وهو قد كلفه الله سياسة عباده أن يفعل هذه الخلة ، ويأمن الحوادث التى يجوز حدوثها (٦٣/ب) من اهمال هذه الخلة . على أن النبى ﷺ مع اختلاف الملائكه اليه ، ونزول الوحى عليه ، واطلاع الله اياه على ما شاء من مكنون الغيوب ، وضمائر القلوب ، لم يدع هذا الباب .

فأما عن خلفائه الراشدين فحكى عن عمر رضى الله عنه فى هذا الباب أمرا عجيبا ، وسياسة محكمة ، حتى كانوا يقولون انه علمه بما يأتى عنه من أقطار عمله كعلمه بما يأتى منه ، حتى أن العامل من عماله ليتهم أقرب الخلق اليه أن يرفع عليه[٩٤] .

وكان معاوية من الملوك كذلك ، وهذا كان أحد الاسباب المعينة له على ما بلغه ، وانتهى (اليه)[٩٥] واقتفى أثره فى ذلك زياد بن أبيه ، فانه ذكر عنه أن رجلا دخل اليه فى حاجة له فكلمه فيها ، وظن أنه لا يعرفه ، فتعرف اليه بأبيه ، وقومه ، فتبسم زياد وقال : تتعرف الى ؟ انى لاعرفك، وأباك ، وأمك ، وجدك ، وجدتك ، وأعرف هذا البرد الذى عليك ، وهو لفلان بن فلان ، فبهت الرجل وأرعب حتى أرتعد[٩٦] .

---

(٩٢) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ .
(٩٣) ٥٠ / ق : مكية / ١٨ .
(٩٤) التاج فى أخلاق الملوك ص ١٦٨ ، المحاسن والمساوىء ١:١١١ ، والمستطرف ١ : ١٠٨ مع أختلاف يسير .
(٩٥) اليه : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٩٦) التاج فى أخلاق الملوك ص ١٦٩ ، المستطرف ١ : ١٠٨ ، والمحاسن والمساوىء ١ : ١١١ .

وكذلك كان عبد الملك بن مروان من بنى أمية ، وكان من خلفاء بنى العباس أبو جعفر المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، فان لكل واحد من هؤلاء فى هذا الباب آثار كثيرة ، وأخبارا يطول بذكرها هذا الباب[٩٧] ، حتى حكى عن كثير منهم أنه كان يخرج متنكرا فيطوف فى الاسواق ، ويخرج فى جوف الليل ، فيسمع أصوات خدما فى قصوره ودوره ، وكان عبد الله بن طاهر بخراسان كثيرا ما كان يخرج الى الطريق ، فيسأل من لقى من المارة عن سيرته وسيرة عماله فيهم .

وكذلك حكى عن أردشير من ملوك العجم ، فانه كان اذا أصبح علم كل شىء بات عليه أحد فى قصبة مملكته ، وضمن داره من عامته وخاصته ، واذا أمسى علم كل ما أصبحوا عليه حتى كان ربما يقول لاوضع خدمه وأرفعهم : كان عندك البارحة كذا وكذا ، وكنت تفعل كيت وكيت ، فكان كثير منهم يقول : انه يأتيه ملك من السماء فيخبره بها[٩٨] . قال وسئل أعرابى عن وال لهم : فقال : ومن مثل فلان ؟ كان والله لا يطابق بين جفونه ، يرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم كالشاهد ، فالمحسن آمن والمسىء خائف[٩٩] .

تسهيل الحجاب :

والثامنة : هى أن يسهل حجابه ، ويلين فى الاذن جانبه ، ويتقدم الى حجابه وبوابيه أن لا تمنع عنه صاحب خبر ولا متظلم (٦٤/ أ) ،

---

(٩٧) انظر فى ذلك المحاسن والمساوىء ١ : ١١١ وما بعدها .
(٩٨) التاج فى أخلاق الملوك ١٦٧ ، ١٦٨ ، والمستطرف ١ : ١٠٨ .
(٩٩) عيون الاخبار ١ : ١٣ .

ولا متنصح يرد الباب فى وقت جلوسه حتى يأذنوا له أو يرفعوا خبره من غير تأخير ، فان من الامور أمورا يكون فى تأخيرها فساد كبير وفتق عظيم ، فمنها ما يكون فى تأخيره وفوته من الفوائت مالا يمكن تلافيه ، ولا يتهيأ تداركه ، ومنها ما يجب فى الدين تعهده وفعله واغتنامه فى وقته ، فان أعمال الدين كلها أو عامتها مؤقتة ؛ فاذا فات منه عمل فات به خير كثير ، وأجر كبير ، وثناء حسن وذكر جميل . مع أن فى هذا الباب خلة هى من كبار العدل والنظر للرعية ، واصلاح الخاصة والعامة ، وهى أن الخاصة اذا علموا ذلك وشعروا به قلت أطماعهم فى الرعية ، واضطهادهم وظلمها واقتسارها ، ثم سلم الملك من مكايد الوزراء واستبدادهم بالسلطان دونه ، وتحرز من فلتات الحوادث ، وبغتات الاعداء ، ووقف على فنون الاعداء .

قالوا : وكان مكتوبا على بساط زياد بن أبيه[100] ان لا حجاب عن صاحب ثغر ، ولا طارق ليل [101] ولذلك ما كانوا يقولون : أخوف ما تكون

---

(١٠٠) زياد بن أبيه ، أمير من الدهاه ، من أهل الطائف ، اختلفوا فى اسم ابيه فقيل : عبيد الثقفى وقيل : أبو سفيان ، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلده الثقفى) فى الطائف ، ادرك الرسول ﷺ ولم يره ، واسلم فى عهد أبى بكر ، وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة ، ثم لابى موسى الاشعرى أيام امرته على البصرة . ثم ولاه على بن أبى طالب امرة فارس ، والحقه معاوية بن أبى سفيان وولاه البصرة والكوفة والحجاز ، مات فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين سير اعلام النبلاء ٣:٤٩٤ — ٤٩٦ ومروج الذهب ٢:١٩٥ ، تاريخ الطبرى ٥ : ٢٨٨ ، دول الاسلام ١ : ٣٩ .

(١٠١) العقد الفريد ١:٥٣ ورد فيه (طارق الليل لا تحجبه ، فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة،ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة افسد عمل سنة) ، الحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢:٣٦ .

الرعية آمن ما تكون الوزراء [١٠٢] .

وليعلم الملك أن فى شدة الحجاب تنفيرا لذوى الفضائل الجليلة والهمم البعيدة ، وتكديرا للصنيعة ، واستفسادا للرعية ، ودلالة على الريبة . وقد وصف كل ما ذكرناه الفضلاء من الملوك ، والوزراء فى كتبهم والشعراء فى شعرهم . حكى الهيثم بن عدى أن خالد بن عبد الله القسرى قال لحاجبه : «لا يحجب عنى أحدا اذا أخذت مجلسى ، فان الوالى لا يحجب الا عن أحد ثلاثة : عمن يكره أن يطلع منه ، أو ريبة أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله حاجة» [١٠٣] ، فأخذ ذلك محمود الوراق فقال :

اذا اعتصم الوالى باغلاق بابه
ورد ذوى الحاجات دون حجابه
ظننت به احدى ثلاث ، وربما
نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت : به مس من العى ظاهر
ففى اذنه للناس اظهار ما به
فان لم يكن عى اللسان فغالب
من الشح يحمى ماله عن طلابه

---

(١٠٢) من أقوال اردشير ، عهد اردشير ص ١٠٤ ، كما ورد فى لباب الاداب ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(١٠٣) النص فى عيون الاخبار ١: ٨٤ والمحاسن والمساوىء ١: ١٢٣ ، ونهاية الارب ٦: ٨٧ ، والمستطرف ١: ١١٣ ، ومفيد العلوم ٢٦٥ .

فان لم يكـن هـذا ولا ذا قريبـة

يصر عليها عند اغـلاق بابـه [١٠٤]

وفى كتاب أمير نامه : لا ينبغى للملك أن يشتد حجابه فانه يـدل على الكبر (٦٤/ب) وسوء الملكة ويورث المقت، وينغص المعروف، وينسى الحسنات، ويذكر السيئات مع ما ينقطع من السلطان بذلك من منافع من يرد بابه فمن به اليهم أعظم الحاجه فى وجوه العلم والعمـل .

قالوا : وحجب بعض ذوى الهمم البعيدة والانفس الابية عن بعض الملوك فرجع، وأنشأ يقـول :

سأترك هذا البـاب مـادام اذنـه

على ما أرى، حتـى يليـن قليـلا

فمـا خاب مـن لم يأتـه متضرعـا

ولا فـاز من قد نـال منه وصـولا

اذا لم أجد يوما الـى الاذن سلمـا

وجدت الى ترك المجىء سبيلا [١٠٥]

وقـال آخـر فى قريب من هذا المعنـى :

ولقـد رأيت ببـاب دارك جفـوة

فيهـا لحسـن صنيعـة تكديـر

---

(١٠٤) الابيات فى عيون الاخبار ١:٨٤، المحاسن والمساوىء ١:١٢٦، وبهجة المجالس ١:٢٧٠، والحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢:٣٦ وقال الجاحظ أنشدنى محمود الوراق وأورد الابيات لنفسه .

(١٠٥) أورد الابيات ابن عبد ربه فى العقد الفريد ١ : ٥٥ ونهايـة الارب ٦ : ٨٩ ونسبت الى حبيب الطائى (ابى تمام) ولم اعثر عليها فى ديوانه بشرح ايليا الحاوى والبيت الاول والثالث بعيون الاخبار ١:٨٥ دون نسبة وكذا فى المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٦ .

ومفيد العلوم ٢٦٥، بهجة المجالس ج١ : ٢٧١ ونسب الابيات الى محمود الوراق، وفى محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ الى محمد بن عمـران .

ما بـــال دارك حين تدخـــل جنـــه
وبباب دارك منكـــر ونكيـــر (١٠٦)

وقـــال بعض المجفوين بالحجـــاب :

سأترك ، بابا أنـــت مالـــك اذنـــه
ولو كنت أعمى عـــن جميـــع المسالك
ولو كنت بـــواب الجنـــان بأسرهـــا
لاعرضت عنها مسرعا نحو مالك (١٠٧)

وقال بعض ملوك الهند فى عهد له : واعلم أنه لا يكمل عمل وال حتى يكمل علمه بالرعية ، ولا يكمل علمه بالرعية حتى تأتيه الرعية بذات أنفسها ويخبره أدناها عن أقصاها ، وليس ذلك كائنا الا بفتح الابواب ،ولين الجانب ، والنظر فى المظالم ، فان الملك اذا كان كذلـــك هابته العمـــال ، وتنوهى عن الظلم ، ويناصف الناس بينهم بالحق دون واليهم الاعظم، فاذا الوالى مأخوذ فيما تولى من الحق بنفسه ، وفيمـــا تعاطى للنـــاس منـــه دونه .

معرفة الحقائق وقضاء الحقـــوق :

والتاسعة : هى أن لا يجعل بحثه عن الامور واطلاعه عليها ، مـــن هذه الجهات المذكورة ، وبهذه الاسباب المعدودة ، من خاصتـــه وعامتـــه

---

(١٠٦) البيتان فى المستطرف ١:١١٤ دون نسبه .

(١٠٧) الحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢ : ٥٢ وقال : وأنشدت لبعضهم فى هجاء حاجب ، عيون الاخبار ١ : ٨٥ مع تعديل طفيف فى البيت الثانى اد نصه:

فلو كنت بواب الجنان تركتها وحولت رحلى مسرعا نحو مالك

وايضا فى المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٦ والمستطرف ١ : ١١٤ ، وبهجة المجالس ج١/٢٧١ وفى محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ نسبها الراغب الاصبهانى الى هجاء بـــواب .

وجنده ورعيته ، لعبا ولهوا ، وسلبا وهزلا ، بل لمعرفة الحقائق ،وقضاء الحقوق . واثابه المحسن وعقوبة المسىء ، ونقريب الناصح البعيد ، وتبعيد الغاش القريب ، واقامة الاود ، وسد الخلل ، وانتهاز الفرص ومبادرة ما يخاف فوته ، ومعالجة ما يضر تأخيره ، ثم رفع الولى ، وقمع العدو ، وتدبير أمر العدو الكامن فى (٦٥/أ) غمار [١٠٨] الرعية لا تخلو من عاقل محروم ، ومخاصم مخصوم [١٠٩] ، ومحق مظلوم ، ومبتدع يخالف رأيه رأى العامة والملك ، لا يألوا الملك والملك خبالا ، وكريم محدود وحسب مطرود ، وشريف مجفو ، وحكيم مجهول قدره ، وفاضل ممنوع حظه من الاجلال والتعظيم ، وناسك يرى فى دينه ازالة بعض ما يراه ويسمعه من المناكير فى الراعى والرعية ، وفاتك يتقى لخبيث سيرته وشرار طبيعته للملك عادية [١١٠] ، ويتربص به دائرة ليتهيأ له بعض ما يريده ويؤمله ويميل اليه بطبعه وسوء سيرته .

ثم ذى نعمة ورفعة ، أو سلطان ومنعة ، قد زالت على يدى الملك نعمتهم ، وبدولته دولتهم ، وبكل هؤلاء أعداء الملك والمملكة ، والراعى والرعية ، وهم اذا كانوا فى ضمن المملكة ، وقلب البيضة كانوا أشد اهتداء الى مهالكه ، وتمكنا فى مقاتله من أعدائه الخارجين ومخالفيه النائين عن داره وضمن قراره .

فالوجه فى اصلاح ذلك : أن ينظر فى العلة التى دعت الى ما

---

(١٠٨) غمار : زحمتهم وكثرتهم . لسان العرب المحيط ٢ : ١٠١٤ .

(١٠٩) مخصوم : بمعنى أنه لبس صاحب حق فيما أدعى به على غيره . لسان العرب المحيط ١ : ٨٤٤ .

(١١٠) عادية : مصيبة وخديعة ومكروه . لسان العرب المحيط ٢ : ٧٠١

يرتكبه من مخالفة ، ويضمره من مكيدة ، ويبعثه من غائلة ، ويافقه (١١١) من خديعة ، ويجرى اليه من عداوة ، فان كان ذلك من ظلم ناله أو عدوان حل به ، فالوجه أن ينفى عنه ، ويكفاه ليعود الى ما كان عليه ، ويزول عنه ما خامره ، وان كان ذلك من حرمان وجفوة ، فالوجه أن يعطوا حقوقهم ويحسن اليهم ، وان كان ذلك استزادة مبرة أو طمعا فى رفع مرتبة يجوز فى رسوم المملكة ، وأحكام الشريعه ايصالهم اليها . ونبليغ آمالهم منها . فالوجه فيه اسعافهم وترك الضن بها عليهم .

وأن كان ذلك مدفوعا فى هذه الجهات ، وكان عارضا من شهوة كاذبة وآمالا غارة ، فالوجه أن يعرف ويتقرر عنده استحالته من وجوه لطيفة ، وأبواب خفية ، ويوقف على مقداره ، وهدى الى ما يزيل ذلك عن قلبه .

وان كان ذلك لعداوة قديمة ودولة زائله ، عمل فى تداركها بالبر والايناس والتقريب والاحسان ، وتقليد من يصلح لتقليده منهم ، فان القلوب قد جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء (اليها) (١١٢) .

وان كان ذلك من مخالفة فى الدين (٦٥/ب) فالوجه : أن ينظر الملك فى دينه ومذهبه ، ورأيه ومقالته ، فان كان حقا فالصواب موافقته ، وترك المعاندة فيه ، فان ذلك من أجزل حظ يناله نائل ، وأعظم قسط يفوز به فائز ، وهى أولى الاشياء بالملك الفاضل ، والسائس العادل ، وكل مدبر عاقل فان مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

وان كان دعواه باطلا ومذهبه فاسدا ، فالوجه : أن يدعوه الى

---

(١١١) فى الاصل (بلقفه) وهو تصحيف .
(١١٢) فى الاصل : عليها .

الحق سرا ، ويدس اليه جماعة يبصرونه الدين ، ويعرفونه الحق ، فلعل ذلك مما يرده ، ويردعه ، ويكفى مؤنته ، ويصلح به ، فان لم يصلحه ذلك فالوجه أن يحضره مجلسه ، ويتهدده محفله ، ويأمره بمناظرته فيه ومحاجته عليه ، ويشهره به ليتبين للخاص والعام بطلان مذهبه ، وضعف مقالته ، ويشيع ذلك فى الجمهور ، ليقفوا عليه ويحذروه • ثم ينظر فى مقدار بدعته ومبلغ فحش مقالته ، فان استحق على مذهبه قتلا قتل بعد استتابته منه واستمساكه [١١٣] به واصراره عليه ، وأراح منه •

وان استحق تأديبا أدبه ، وان استحق حبسا حبسه ، ولا يقع هذا الباب الا فى أصول الديانة وأم الشريعة دون الفروع والاحكام ، والمسائل الفقهية التى يجوز أن يتعبد الله به وبخلافه ، فانه اذا فعل ذلك رجوت أن يدفع مضرته ، ويكفى المملكة وأهلها معرته ، ويرفع عنهم فتنته •

وان كان ما ذكرناه من حسد أو بغى وعداوة أورثه تقارب الاحوال من جهة وتباينها من جهة أخرى ، عرف أن ذلك من خلق مذموم ،وفعل مكروه فى الدين والمروءة مضر بصاحبه فاضح له لا فائدة فيه فان لم ينفع ذلك فالوجه أن يحتال أن لا يجتمع له جماعة ، ولا يصير لشرذمته [١١٥] شوكة وعدة ، ويفرق بين نياتهم وضمائرهم وأبدانهم ، فيشغل جماعة ، ويقلد طائفة ، واعطاء [١١٦] اخرى ، وعقوبة عناده (١١٧) على ما يقع

---

(١١٣) غير واضحة فى الاصل •

(١١٤) أم الشريعة : أصولها ، وهى القرآن والسنة والاجماع •

(١١٥) الشرذمة : جماعة سيئة الخلق من الناس • لسان العرب المحيط ٢ : ٢٩٦ •

(١١٦) هكذا فى الاصل والاصوب (بعطى) •

(١١٧) فى الاصل : (عده) وهو تحريف •

فى أمورهم وقديم أسبابهم من التدبير والتقدير بالرفق والمداراة ومطالعة الاسباب والاحداث ، والبحث عنها فى كل وقت ومدة ، ويوم وساعة ،فان لم يصلحوا فالوجه فيه وعظهم وتحذيرهم ، فان لم ينفع حتى (يتفاقم)[١١٨] الامر وظهر الشر (٦٦/أ) ، وبرح الخفاء عن مكنون السر ، كان سبيلهم سبيل الاعداء الخارجين على الملة أو الباغين فيها ، وسنتبين فى تدبير الاعداء من هذا الباب ما فيه كفاية بمشيئة الله .

وكل هذا الذى ذكرناه فمن تدبير الله الذى دبر عليه أمور خلقه ، وآدابه التى أدبهم بها ، ومأخوذ من دلائله التى أقامها ، اذ كان القديم — جل ذكره — لم يزل عالما بمن يعاديه من خليقته ، ويخالف أمره من بريته ، ويمرق من طاعته ، ويقصيه من عباده ، فلم يمنعه ذلك من خلقهم واتخاذهم واحداثهم ، وابتداعهم والامتنان عليهم بالحياة ، والعقول السليمة والاعضاء القوية ، والافضال على كل واحد منهم بما علمه أصلح له ، وادعى الى طاعته . ثم أراهم بعد ابداء العداوة ، واظهار المخالفة واتخاذ الالهة دونه وعبادة الاصنام معه ، واجراء كثير منهم الى ضروب من العنود والكنود . دلائله ، وأحضرهم شواهده ، وبعث اليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ، وبشرهم وأنذرهم ، ووعدهم وأوعدهم ، ودعاهم الى ما فيه نجاتهم ، وأمهلهم المدة التى يمكنهم فيها التبين والتدبر ، والمراجعة والتفكر . ثم يعاجلهم بالمؤاخذة الا بعد تحقق الكلمة ، والاياس من المراجعة ، ثم لا يجوز فى الحزم ، ولا يسوغ فى التدبير أن يستخف الملك ، وأن جل شأنه وعظم سلطانه بهذا الباب ، ويغفل عنه

---

(١١٨) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (تفاقم) .

اغترارا باقتداره على من فى رعيته وضمن مملكته ، فان الشر تبدؤه صغارة [١١٩] ، ورب مطر بدؤه مطير .

وقد حذر الله — جل وعز — نبيه ﷺ هذا الضرب من الاعداء أشد من تحذيره اياه الاعداء النائين الخارجين ، ووصفهم (به من) [١٢٠] الحنق والغيظ بما لم يصف به أهل الحرب من المشركين ، فقال : (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فأحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) [١٢١] . وقال : (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ)[١٢٢] . وقال : (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا أنا معكم ، أنما نحن مستهزءون ، الله يستهزىء بهم) [١٢٣] (٦٦/ب) وقال : (سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون)[١٢٤] . وقال : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) [١٢٥] . وقال : (ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى

---

(١١٩) من الامثلة التى تضرب فى الاغضاء على المكروه وتحمل الاذى « الشر يبدؤه صغاره » الامثال لابى عبيد القاسم ١٥٢ ، وفصل المقال ٢٣٢ .

(١٢٠) هكذا بالاصل والاصوب وضع « الباء » قبل « الحنق » .

(١٢١) ٦٣ / المنافقون : مدنية / ٤ .

(١٢٢) ٣ / آل عمرن : مدنية / ١١٩ وفى الاصل بداية الاية (أنتم هؤلاء)

(١٢٣) ٢ / البقرة : مدنية / ١٤ ، ١٥ وفى الاصل : لقوكم .

(١٢٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٢ وفى الاصل فى الاية : (يحلفون) بدلا من (سيحلفون) ، و(يشهد) بدلا من (يعلم) .

(١٢٥) ٥٩ / الحشر : مدنية / ١٢ .

عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) [١٢٦] . فى آى كثير من أمثالها وصف الله فيها حال المنافقين الذين كانوا فى جملة مسالمى النبى ﷺ ، ومظهرى الايمان به والطاعة له .

وقد عرف ذلك من قال :

لا تحقرن من الامور صغارها
ان الصغار غدا تكون كبارا
واعلم بأن كبارها اللاتى ترى
قد كن حينا قبل ذاك صغارا

وقد قال القائل فى أول نجوم دعوة بنى العباس :

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب يقدمها الكلام
فان لم تطفئوها تجن حربا
مشمرة يشيب لها الغلام
مشمرة يكشف عن سناها
يكون وقودها قصر وهام
أقول من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام

(١٢٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ١٩ و(تدور اعينهم كالذي يغشى ساقطة من الاصل .

نـــأيتـــم عـــــن بـــلاد عز فيهـــــا

لئـــام الناس واضـــطهدا الكرام(١٢٧)

فناموا ولم ينتبهوا فكان الامر على ما قال ، وكانوا يقـــولون : أصغر الاعداء أحماهم مكيدة ، وأمضهم على القلب ظفـــرا .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر فيما كتب اليه : جدد العناية والتفقد لامورك ، وعامل ضعيف أعدائك على أنه فى الدرجة العليا من القوة (١٢٨).

وقال : عامل الضعيف من أعدائك على أنه أقوى منك ، وتفقد جندك تفقد من نزلت به آفة ، فاضطرته الى مدافعتهم ، ودار الرعية مداراة من قد انتهكت عليه مملكته ، وكثرت الفتوق عليه من أعدائه (١٢٩) .

ثم لم يكن فى العالم نبوة ولا ديانة ، ولا مملكة ولا عمارة ،الا كان بدؤها ضعيفا ثم قوى .

السياسة بين اللين والشـــدة :

ولا يجب أن يظن الملك المقتدر المعجب بقدرته وأعوانـــه وجماعاتـــه (٦٧/أ) وخزائنه وعدته وعتاده أنه يقيم الاود ، ويسد الخلل فى مثل هذه الامور بالشدة والعنف والغلظة والضرب والقتل البحت ، فان ذلك ربمـــا

---

(١٢٧) قائل هذه الابيات نصر بن سيار صاحب خرسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها . عيون الاخبار ١ : ١٢٨ ، والعقد الفريد ١ : ٦٨ البيتان الاول والثانى، تاريخ الطبرى ج٧ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية ج٨ / ٢٦٤ ، بهجة المجـــالس ج١ / ٦٨ ، فصل المقال ص ٢٣٣ ، ونسب صاحب التذكرة السعدية البيتين الاول والثانى الى أبى مريم البجلى ص ١٩١ وينسبها ابن برى الى ابى مريم البجلى . اللســـان ٢ : ٥٣٢ .

(١٢٨) السياسة فى تدبير الرئاسة ٨٣ .

(١٢٩) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٩ .

يزيد النائرة (١٣٠) قوة ، والشر شدة ، والعداوة احكاما ، فان السياسة بين اللين والعنف ، والرفق أبلغ من الخرق • والصواب فى التدبير والحكمة والمصلحة والسياسة أن يقدم اللين على الشدة ، والدعوة على العقوبة، وأن لا يعاجل بالمناجزة ما وجد سبيلاالىالمحاجزة،قال الله — تبارك وتعالى — فى كتابه (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) (١٣١) • وقال : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (١٣٢) • وكانوا يقولون : الشدة فى غيرعنف واللين فى غير ضعف (١٣٣) •

وقال أردشير فى عهده : أعلموا أنا على فضل قوتنا ، واجابة الامور ايانا ، وقوة دولتنا ، وشدة بأس أنصارنا ، وحسن نية وزرائنا ، لم نستطع احكام تفتيش الرعية حتى نبلغ من الرعية مكروهها ومنأنفسنا محبوبها (١٣٤) •

وكتب ابراهيم بن العباس (١٣٥) الى أهل الحمص :

« أما بعد ، فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيما يقوم من وقع ، ويقيم من أود استعمال خلال ثلاث : يقدم بعضها أمام بعض أولاهن : الوعظ والتنبيه ، ثم الايعاد والتحذير ، ثم الواقع اذا لم يحسم

---

(١٣٠) النائرة : العداوة والفتنة والشحناء . المصباح المنير ٢ : ٦٣٠ .

(١٣١) ٧ / الاعراف : مدنية / ١٦٨ .

(١٣٢) ٢١ / الانبياء : مكية / ٣٥ .

(١٣٣) من أقوال عمر بن الخطاب « ان هذا الامر — السياسة — لا يصلح له الا اللين فى غير ضعف والقوه فى غير عنف » عيون الاخبار ١ : ٩ .

(١٣٤) عهد أردشير ٨٢ مع اختلاف يسير .

(١٣٥) ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، ويكنى أبا اسحاق ، كاتب العراق فى عصره ، أصله من خراسان ، وكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل ، وله «ديوان شعر» و «كتاب الدولة» ومات ٢٤٣هـ . وفيات الاعيان ١ : ١٢٥ تاريخ الطبرى ٩ : ٢٠٩ ، الاعلام ١ : ٣٨ .

الداء غيره . (قال الشاعر) : [١٣٦]

أناة فان لم تغن عقب بعـــدها   وعيـدا فان لم تغن غنت عـزائمه

قال الله ــ جل ذكره ــ فى أول هذه القضية : (فبما رحمـــة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهـم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامــر فاذا عزمت فتوكل علــى الله) [١٣٧] . وقال : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) [١٣٨] . ثم قال : (فاذا الـذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) [١٣٩] .وأمره باعطاء المؤلفة قلوبهم .

وقال النبى ﷺ : (نصف العقل ــ من الله ــ بعـد الايمان مـدارة الناس)[١٤٠] فعلى هــذا الترتيب يجب أن يكون اســتعطاف الاعــــداء واستجلاب قلوب أهل البغضاء .

خطر رئاسة العامـى :

والعاشرة : هى ألا يسلط الرعية والعامة بعضهما علــى بعض ، ولا يجعل فى المملكة آمرا غيره وغير خلفائه ، فانه لا أحد آلم طفرا ولا أســوأ رعاية ولا أجفى مقدرة من العامى اذا نال رياسة أو ولى ولايــة (٦٧/ب)

---

(١٣٦) وافيات الاعيان ١:٢٦ ، وجملة « قال الشــاعر » ســاقطة من الاصــل .

(١٣٧) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٩ .

(١٣٨) ٢٣ / المؤمنون : مكيــة / ٩٦ .

(١٣٩) ٤١ / فصلت : مكيــة / ٣٤ .

(١٤٠) أورده بلفظه أبو عبيد القاسم فى كتابه الامثال وقــال : حديـث مرفوع . الامثال ١٥٧ وأورده الطبرانى بلفظ « افضل الاعمال بعد الايمان ... مكارم الاخلاق » ١٣٩ وفى مسند الشهاب للقضاعى « رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس ١:١٤٧ ورواه البزار كما قال الهيثمى وفيه ضــعف . مجمع الزوائد ٨ : ١٧ .

وربما اذا نال ذلك حسده من هو مثاه ، وطمع فى مرتبه من هو شكلـه ، وصار لكل تبع ، فأدى ذلك الى مؤونة على السلطان عظيمة ، وجنايةعلى المملكة جسيمة . بل يجب على الملك أن يكون فى بعد همته وتمام قوته ،وشدة صولته ، وطهارة أخلاقه ، ومحاسن عاداته ، وصواب تدبيره ، وكريمأرائه ملكا ، وفى تواضعه لله، ولين جانبه ، واستقامة دينه ، ومخافته لربـه ومراقبة زوال دولته ، والتفكر فى عاقبته ناسكا ، وفى قربه مـن رعيتـه ورأفته بأهل مملكته ورفقه بأهل ولايته عاميا ، وفى حدة فكره ودقة نظره فى أسباب ملكه سوقيا ، وفى معرفته بما فوض اليه ، وعصب به من العدل بين رعيته عالمـا فقيها .

فهذه خصـال رجـوت أن من أحـذى عليها سـيرته ، وساس بها رعيته ،كان قد نال فضيلة السياسة ، وأدى حق المملكة ، واستحق من الله المثوبة ، ومن العقلاء على مر الايام حسن الثناء والمـديحة[١٤١] بعـون الله وقـوته .

ثم يجب على الملك أن ينوى بذلك كله اقامة الدين ، والائتمار بأمـر الله فى التأدب بأدبه ، والرغبة فيما عنده ، فانه ان فعل ذلك سدده ووفقه للصواب ، وأرشده للسداد ، وما عند الله خير للذين آمنوا ، والذين هـم محسنـون .

---

(١٤١) هكذا في الاصل والاصوب (المدح) .

البــاب الثامـــن

التدبيــر فى الامـــوال

فنقول وبالله التوفيق ، اذ فرغنا من ملــح التدبير فى أبــواب السياسات الثلاث ، أوجب حق الترتيب أن يتبعه باب التدبير فى الاموال لان الله — تبارك وتعالى — جعلها قواما للابدان،وتلوا للانفس،وسببا لبقاء الاجسام ، وحياة للبشر ، وآله لطلب المعالى ، وأداة لنيل الامانى ، وزينة للحياة الدنيا ، وطريقا الى النجاة فى الاخرة والاولى ، وأكد فيها الاحكام، وبين فيها الحلال من الحرام ، وجعل فيها من التعبد حظا وافرا ، وقسطا كاملا ، فقد قال فى تعظيم منزلته واعلاء درجته ، وما بين من حاجة الجميع اليه ، وانتفاعهم به : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعــل الله لكــم قيامها) [١] . وقال : (وأنه لحب الخير لشــديد) [٢] . وقال : (المــال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات) [٣] (٦٨/أ) وقال : (لتبلــون فى أموالكم وأنفسكم) [٤] ثم بين أن المال وان كان هذا محله فليس مما يجب أن يباع به الدين ولا (يشترى)[٥] به الاخرة ، بل يجب أن تكتسب به ، ويطلب لها ، ويقدم اليها ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) [٦] . وقال : (زين للناس حب الشهوات مــن

---

(١) ٤ / النساء : مدنية / ٥

(٢) ١٠٠ / العاديات : مكيــة / ٨ .

(٣) ١٨ / الكهف : مكيــة / ٤٦ .

(٤) ٣ / آل عمران : مدنيــة / ١٨٦ .

(٥) هكذا فى الاصل ، والاصوب (يشرى) بمعنى يبيــع .

(٦) ٩ / التوبة : مدنيــة / ١١١ .

النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب) (٧)

وقال : (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد) (٨) • وقال (أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا فى الاخرة الا قليل) (٩) • وقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا) (١٠) •

وقال لنبيه ﷺ حين أراد رفع منزلته واختصاصه بفضيلته وكرامته : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) (١١) •

المال بين الحلال والحرام :

ولا يجوز لمن أخذ فى الدنيا بالحزم ، وحكم فى أموره العقل أن يبيع دينه بدنياه وآخرته بأولاه ، اذ لا مقدار للدنيا فى الاخرة ، ولا خطر لها فى جنب الدين ، ولا يأخذ المال الا من حقه ، ولا يضعه الا فى موضعه فان الله — جل وعز — قد أغلظ الوعيد على مستحله ، وأكد النهى عن الظلم فيه فقال : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون)(١٢) • وقال : (ولا تقربوا

---

(٧) ٣ / آل عمران : مدنية ١٤ وفى الاصل : من الانعام .
(٨) ٣ / آل عمران : مكية / ١٥ وفى الاصل : انفقوا .
(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٨ .
(١٠) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٦ .
(١١) ٢٠ / طه : مدنية / ١٣١ .
(١٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٨٨ .

مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أسده)[١٣] • وقال : (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نـــارا وسيصلـــون سعيرا) [١٤] • وقال : (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبـــا كبيـــرا) [١٥] •

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : (من لم يبال من حيث كسب المـــال لم يبال الله من حيث أدخله النار) [١٦] • وقال : (لن تبرح قدما عبد يـــوم القيامة حتى يسأل عن أربع : شبابه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه فيما عمل بـــه) [١٧] (٦٨/ب) •

ثم قد حرم الله — جل وعز — من صنوف المكاسب والمطالب : الربا ، والرشا ، والغصب ، والغلول ، والغش ، والخيانة ، والسرقة ، وكل مـــال (ملأ أود من أحد من طيبه نفسه) [١٨] أو حق يجب عليه أو ميراث يورث

---

(١٣) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥٢ •
(١٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٠ •
(١٥) ٤ / النساء : مدنيـــه / ٢ •
(١٦) اخرج البخارى عن ابى هريره — فى البيوع ، باب من لم يبال مـــن حيث كسب — عن النبى ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام » صحيح البخارى ٧١:٢ ، ٧٢ •
(١٧) حديث صحيح ، أخرجه الترمذى عن ابى برزه الاسلمى ، كما أخرجه البيهقى وغيره • الترغيب والترهيب ٧٦:١ من حديث معاذ عن النبى ﷺ بلفظ « ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمـــل فيـــه » أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١١ : ٤٤٢ •
وقال المنذرى : رواه البزار والطبرانى بأسناد صحيح • وأورده الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ٢ : ٥٤٣ — ٥٤٤ رقم ٩٤٦ ، وصحيح الجامـــع الصـــغير ١٤٨:٥ رقما ٧١٧٦ ، ٧١٧٧ •
(١٨) هكذا بالاصل والاصح أن تكون « أخذ من غير طيب نفس » •

من بعده سوى ما أوجب الله على أهل الملة من حق فى أموالهم فيأخذه الامام من أغنيائهم فيرد فى فقرائهم .

فالواجب على الملك الذى أحله الله المحل الجليل ، وأنزله المنزلة الرفيعة ، أن يتوقى ما نهاه الله عنه ، فان فيه ما بينا فى غير موضع من المأثم والمذام والملاوم ، وقد كره الحكماء والعقلاء والفضلاء من أهل كل صنف وشريعة ، وجيل وديانة المكاسب الدنية ، والمطالب التى تكسب العار والفضيحة ، وتبقى قبح الاحدوثة ، ولا شىء أولى بهذه الصفة من الكسب مما حرم الله ، فان الله لم يحرم الا القبيح ، ولم يحظر على عباده الا الدنىء الخسيس . ولم يزل الملوك الفضلاء والائمة الحكماء يتنظفون عن ظلم الرعية والطمع فى أموالها الا ما وظفت عليهم سنتهم ، وأباحته لهم ملتهم وشريعتهم من أخذ فضول أموالهم ثم ردها عليهم فى عوام مصالحهم من تحصين دمائهم ، وتثمير أموالهم ، وايمان سبلهم ، ودفع معرة أعدائهم ، وقمع ذعارهم .

وقد بين ذلك أرسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر (حيث قال)[١٩] «لا تلح فى أخذ أموال رعيتك فتضعفهم ، وتتبغض اليهم ، واصرف ما تناله من أموالهم فى مصلحة عامتهم ، واشتهر بذلك تسعد به » [٢٠] .

ثم نهى الله جل وعز فيما أحله لهم من الاموال عن التبذير والتقتير جميعا ، فقال لنبيه ﷺ : (ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) [٢١] . وقال مثنيا على القاصدين :

---

(١٩) ساقطة من الاصل .
(٢٠) السياسة فى تدبير الرئاسة ٧٨ ، ٧٩ مع اختلاف لفظى يسير .
(٢١) ١٧ / الاسراء : مكية / ٢٦:٢٧ .

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما) (٢٢).
وقال لنبيه ﷺ : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)(٢٣) .

البخـــل والتبذير :

ولم يزل فضلاء الملوك وحكماء أهل الاديان وعلماء الامم يذمـــون التبذير ذمهم التقتير ، ويرون رأيا حقا أن التبذير مؤد الى التقتير ، وأن بذل ما فوق الطاقة من المال ، ووضعه فى غير موضعه قطع لمادة (٦٩/أ) الجود ، وخروج من الحدود ، وتعجيز عن القيام بالحقوق . وكانوا يقولون ما فى الارض مال وضع فى غير (موضعه) (٢٣م) الا والى جانبه حق مضيع.

وكان بعض مشايخنا يقول : ما فى الدنيا أبخل من مفسد .

وحد أرسطاطاليس الجود ، فقال : هو بذل ما يحتاج اليـــه عنـــد الحاجة وايصاله الى من يستحقه بقدر الطاقة . فمن جاوز هذا الحـــد افراطا واسرافا فقد خرج عن حد السخاء والجود الى حـــد التبذيـــر . والتبذير مؤد الى التقتير (٢٤) .

ثم قد ذم الله الباخلين بأموالهم فقال : (الذين يبخـــلون ويأمـــرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابـــا

---

(٢٢) ٢٥ / الفرقان : مكية / ٦٧ .
(٢٣) ١٧ / الاسراء : مكيه / ٢٩ .
(٢٣م) فى الاصل ، « موضع » ولا يستقيم بها المعنى .
(٢٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٣ وأدب الدنيا والدين للماوردى تحقيق السقا ١٨٥ .

مهينا) [٢٥] • وقال : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) [٢٦]

فيجب على الملك الفاضل الذى يعرف حق نعمة الله عليه ، فيما خوله منه وآتاه ، ومهد له وأعطاه ، أن لا يبخل بمال الله على عباده فيما فيه صلاحهم ، ولا يدخل نفسه نار الابد بما يستحق به عليه ذم الامد • فقد بان بما ذكرناه ما عرضناه من جلالة قدر المال ، وعظم امتنان الله وفضله به، وبان مذمة التقتير والتبذير فيه ، ومحمدة الجود به ، وحقيقة الجود ، وبان به أن البخل هو منع المال من مستحقه ، والتبذير : هو مجاوزة الحد فيه بالوجيز من القول •

ونحن نبسط معنى البخل والتبذير بسطا ، ونجرى فيهما على عادتنا من الاستشهاد بقول الله جل ذكره ، وبشواهده ، ودلائله الظاهرة ، وبقول الرسول ﷺ ، وآثار الحكماء والملوك فنقول :

ان من أدنى منازل البخل أن يمنع المال عن سبل الحق التى شرعها الدين ، واتفقت عليه كلمة المؤمنين ممن بين الله حقوقهم فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام من الفقراء والمساكين ، وما فى هذا الباب ، فان بخله بذلك بخل على نفسه يقول الله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) [٢٧] • وقالوا : ومر بالنبى ﷺ أعرابى فقيل له أن هذا أكثر بدوى نعرفه مالا ، اذا حل بواد لم يحلل ما معه من النعم ، فقال له النبى ﷺ

---

(٢٥) ٤ / النساء : مدنية / ٣٧ .

(٢٦) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٨٠ وفى الاصل (تحسبن) بدلا من (يحسبن) و (الله) ساقطة .

(٢٧) ٤٧ / محمد : مدنية / ٣٨ .

(ان ما فى مالك شركاء ثلاثة : دهر يأتى على أونه وآخره وأوسطه ، ووارث ينتظر موتك فيحصويه ، فان استطعت (٦٩/ب) أن تكون أكيس الشركاء فافعل)(٢٨) فأخذ هذا المعنى بعض الحكماء فأوجز فيه اللفظ فقال : ان لك فى مالك شريكين : الوارث والحدثان (٢٩) .

وقال ابن المعتز : بشر مال البخيل بحادث أو وارث (٣٠) .

وقد قرر الله — جل ذكره — ذلك فى عقول الحكماء قبل ايراد الخبر عليهم . وأراهم ذلك عيانا قبل استدلالهم ، بخل البخيل بماله ، عما يكسبه فى آخرته ثوابا وأجرا ، وفى دنياه شرفا وذكرا ومحمدة وفخرا ونعمة وخيرا (محل) (٣١) الاجير الذى يكد فى مال غيره ويشقى فى ملك من سواه ، فيكون حظه لغيره وتعبه عليه .

ثم انه ان جمعه من غير حله ، وأخذه من غير حقه ، ومنعه من وجهه، ثم خلفه لاحب قرابته وأقرب خاصته لديه ، كان أشقى الاشقياء ، وأجهل الجهلاء ، وأخبث ذوى الحظوظ والانصباء ، حيث باع آخرته بدنيا غيره، وباقيه بفانى من سواه ، ولم يحصل منه الا عابا قائما ، وعذابا دائما ، وعارا لازما فى حياته وبعد وفاته ، وخرج منها نادما على ما خلف سادما .

---

(٢٨) ثبت عن ابى ذر انه قال : « فى المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك ان يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها ، وانت ذميم فان استطعت أن لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكونن » حلية الاولياء ١ : ١٦٣ ، وفى نفس المعنى : العقد الفريد ١ : ١٥٥ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٠٦ .

(٢٩) من قول أبى ذر . العقد الفريد ١٥٥:١ وقارن نهج البلاغة وانه من أقوال على ٢٨١:٢ .

(٣٠) الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ٤٤٠ .

(٣١) هكذا فى الاصل ، والاصوب (مثل) .

ولقد بلغنا عن الحسن البصرى أنه دخل على عبـد الله بن الاهتم فى مرضه الذى مات فيه ، قال : فنظر اليه وعيناه تدوران فى رأسه فقال له : يا أبا سعيد ما تقول فى مائه ألف فى جانب هذا الصندوق لم تؤد منـــه زكاة ، ولم يوصل منه رحم ؟ . قال الحسن . فلأى شىء كنت تجمعهـا لا أبا لك ؟ قال : لجفوة السلطان ، وروعة الزمان ومكاثرة العشيرة . قال : فخرج الحسن من عنده فاذا الصراخ عليه ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون انظروا كيف أتاه شيطانه فخوفه جفوة سلطانه ، وروعة زمانه ، ومكاثرة عشيرته فيما استودعه الله اياه ، وعمره فيه حتى أخرجه منه حزينا سليبا لم يؤد منه زكاة ولم يوصل منه رحم دونك أيها الوارث أتاك هذا المـال عفوا صفوا لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، أتاك هذا المـال ممن كان يقطع فيه لجج البحار والمفاوز ، جمعهفأوعاه ، وشد فأوكاه ، [٣٢] من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، إياك أن تخدع كما خدع صويحبك بالأمس اذكر يوم القيامة ، فانه يوم حسرات وندامة ، وكيف ذاكم عبد آتاه الله مالا فغل يده عما افترض الله (عنه) [٣٣] فيه فمـات فورثه وراث فأنفقـه فى طاعه الله ، فاذا اجتمعا يوم القيامة ، نظر هذا فاذا هو يرى ماله فى ميزان غيره ، أدخل الله به هذا الجنة ، وأدخل هذا به النار فيالها حسرة (٧٠/أ) لا (تنال) [٣٤] ، وعثرة لا تقال [٣٥] .

---

(٣٢) أوكاه : أحكم ربطه . المصباح المنير ٢ : ٦٧١ .

(٣٣) هكذا فى الاصل ، والصحيح (عليـه) .

(٣٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب (تزال) .

(٣٥) ورد النص فى حية الاولباء ٢ : ١٤٥ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٩٦ مـع اختلاف لفظى يسير .

وأنشدوا فيما يلائم هـذا البـاب :

أنفسـك عنـدك أولـى النفـوس

فبالبـؤس مـن غمهـا جاهـدا

فان قلـت أخشـى صروف الزمـان

فكـن مـن تصاريفـه واجـدا

وان قلـت أجمعـه للبنيـن

فقـد يسبـق الولـد الوالـدا

وأنشـد :

اذا كنـت جماعـا لمالـك ممسـكا

فأنـت عليـه خـازن وأميـن

تؤديه مـذموما الى غـير حامـد

فيأكلـه عفـوا وأنـت دفيـن (٣٦)

وما أحسن ما وصف العطوى (٣٧) هذا المعنى فى قولـه :

يا جامعا مانعـا والدهـر يرمقـه

أغاديا أم بهـا تسرى فتطـرقه

---

(٣٦) أوردهما الخطيب البغدادى فى «البخلاء» ص ١٩٦ ونسبهما الى أبى العباس أحمد بن يحيى « ثعلب » المتوفى عام ٢٩١هـ .

أوردهما المـاوردى فى أدب الدنيا والدين ونسبهما الى بعض الشعراء ص ١٨٦ ، ومحاضرات الادبـاء ١ : ٢٥٢ .

(٣٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيـة ، ويكنى أبا عبـد الرحمن العطوى ، مولده ومنشأه بالبصرة ، وكان معتزليا ، وتوفى نحو ٢٥٠هـ . سمط اللالى ١٤٠ و ٣٣٩ ، طبقات الشعراء ٣٩٤ ، الثعالبى الايجاز والاعجاز ٦٠ ، والاغانى ٢٣ : ١٢٣ ، والاعلام ٧ : ٦١ .

جمعت مالا فقدر هل جمعت له

يا جامع المال أياما تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه

ما المال مالك الا حين تنفقه

أرفه ببال فتى يغدو على ثقة

أن الذى قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون ليس يدنسه

والوجه منه جديد ليس يخلقه (٣٨)

وأجاد الخزيمى (٣٩) فى هذا المعنى حيث قال :

ان كنت ذا مال فلا والذى

خولنى المال وأغنانى

ما قرت العين به ساعة

الا تذكرت فأبكانى

أذكر انى صائر للبلى

وفاقد أهلى واخوانى

وتارك مالى على حاله

نهبا لهيان بن بيان

---

(٣٨) وردت الابيات — على غير هذا الترتيب — فى الاغانى ٢٣ : ١٢٤ .

(٣٩) يبدو لنا أنه الخريمى ، وهو اسحاق بن حسان بن قوهى ، ويكنى أبا يعقوب ، وأصله من خراسان من أبناء السعد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله منسب اليه ، وله مدائح فى محمد بن منصور بن زياد ، ويحيى بن خالد وغيرهما ، وقال أبو حاتم السجستانى الخريمى ، أشعر المولدين. تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ الشعر والشعراء ٢ : ٨٥٣ ، زهر الاداب ٤ : ٢٠٨ وطبقات الشعراء ٢٩٣ .

لامـرأة ابـــنى ولـــزوج ابنـــتى
يالــك مـــن غبـــن وخسران

ان انفقـــوا كـان لهـم أجـــره
وخـف مـــن ذلـك ميـزانـــى

ومن أفحش البخل ، وأقبح التقتير والمنع كثرة المال الذى يمنع به صاحبه ثمرة ماله ، ودرة نفسه وعبرة فى حياته وبعد وفاته ، ولذلك أغلظ الله الوعيد لكانزى الاموال ، فقال : (والذين يكنزون الذهب والفضـــة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نـار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسـكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٤١) .

(٧٠/ب) وقال : (جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كـلا لينبذن فى الحطمـه) (٤٢) .

وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه أربع من الشقاء : كنز العين ، وقساوة القلب ، وبعد الامـل ، وحب الدنيـا (٤٣) .

قالوا : وكتب بعض الحكماء الى أخ له : أما بعد ، فانفق مما آتـاك الله فيما أمرك الله ، ولا تكن فى مالك كالبخيل المتعجل للفقر الذى منــه يهرب ، والتارك للسعة التى اياها يطلب ، ولعله يموت بين طلبه وهربه ، فيكون عيشة فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسـابه فى الاخـرة حســاب الاغنياء (٤٤) ، ومن أنه لم ير أحد أشقى بماله من البخيل ، لانه فى الدنيا

---

(٤١) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٤ ، ٣٥ .
(٤٢) ١٠٤ / الهمزة : مكية / ٢ — ٤ .
(٤٣) رواه البزار عن أنس عن رسول الله ﷺ . الترغيب والترهيب ٤ : ١٣١ .
(٤٤) ورد النص مع تعديل يسير للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه=

مهتم بجمعه ، وفى الاخرة محاسب على منعه ، وغير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى الاخرة من اثمه .

وفى ذلك ما أقول [٤٥] :

أمن خوف فقر تعجلته
تؤخر أنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى
وهل كان يعدوا الذى تصنع [٤٦]

ومن التبذير أن ينفق ماله فيما يجدى عليه نفعا فى دنياه ولا يكسبه أجرا فى آخره ، بل يكسبه فى دنياه ذما ، ويجمل الى آخرته اثما كانفاقه فى المحرمات ، وشرب الخمور واتيان الفواحش ، واعطائه السفهاء الذين نهى الله عن اتيانهم من المخانيث والمغنيين والملهيين والمساخر والمضحكين والفاسقين الذين يصدون عن سبيل الله ، وينسون ذكر الله ، ويدعون الى خلاف ما أمر الله ، ويندبون الى ما نهى الله عنه ، ولعل كثيرا ممن ينفق ماله على هؤلاء ، قد عرف وأبصر محاويج من أهل الشرف والفضل والدين والعقل من أولاد الرسول عليهم السلام وعترته وورثة أصحابه وأنصاره،

نهج البلاغة ٢ : ٢١٧ ، ونثر الدر ١ : ٣٢٦ .

(٤٥) يبدو لنا أن الصواب : ما قبل ، فقد اورد ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ) البيتين ٢ : ٣٦ دون نسبه ، وابن عبد ربه (٣٢٨هـ) ونسبهما الى بعض الشعراء العقد الفريد ١ : ١٥٤ .

(٤٦) البيتان فى العقد الفريد ١:١٥٤ ، ونهاية الارب ٣:٢٠٥ كالتالى :

أمن خوف فقر تعجلته
وأخرت انفاق ما تجمع ؟
فصرت الفقير وأنت الغنى
وما كنت تعدو الذي تصنع

ثم أهل العلم والادب والحكمة والنسك والعبادة ، وهم بين عابد جائع، ومضطر قانع ، ومستور متكفف ، ومحتاج متعفف ، وهو أن فكر علم أن الاجر فى هؤلاء أوجب . والذكر فيهم أشرف ، والصنيعة فيهم أبقى ، وهم بمال الله أحق وأولى •

ومن التبذير أن يشغل المال بفضول الدور التى لا يحتاج اليها ، وعساه لا يسكنها ، أو يبنيها لاعدائه أو لخراب الدهر الذى هو قاتله وسالبه •

ومن التبذير أن يجعل المال فى الفرش (الاثيرة) (٤٧) ، والأوانى الكثيرة الفضيه والذهبية التى لعل أيامه لا تتسع للارتفاق بها ، ولعله يجمعها لعدوه ، ويتنوق (٤٨) فيها لغيره ، و(يصنع) (٤٩) منها حظه ، ويثقل بها ظهره ، ويكثر بها وزره •

وكل ما أنفقه الانسان مما يكسبه عند الله أجرا ، ويرفع اليه منزلة، أو يكسب عند العقلاء وأهل التمييز حمدا ، فهو جود وليس بتبذير ، وأن عظم وكثر ، وكل ما أنفقه فى معصية الله التى يكسبة الله آثما وعند العقلاء ذما فهو تبذير وان قل ونزر • فان رسول الله ﷺ كان يقول : (ما أحب أن لى مثل أحد ذهبا أمسى ثالثة عندى منه دينار الا دينارا أرصده لدين الا أن أقول فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن يساره ومن خلفه) ثم قال : (ان الاكثرين هم الاخسرون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا) (٥٠) •

---

(٤٧) هكذا بالاصل ، والاصح أن تكون (الوثرة) •

(٤٨) يتنوق : يعجب ويتأنق . لسان العرب المحيط ١ : ١١٦ •

(٤٩) هكذا بالاصل ، والاصح (يضيع) •

(٥٠) حسن ، أخرجه ابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ « ما أحب أن أحدا عندى ذهبا . فتاتى على ثلاثة وعندى منه شىء . الا شىء أرصده فى قضاءدين» سنن ابن ماجة ١٣٨٤ رقم ٤١٣٢ وصحيح الجامع الصغير ١١٩:٥ رقم ٥٨٨٩ واخرجه الخطيب البغدادى عن ابن عباس بلفظ (الاكثرون هم الاسفلون) • تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٤ •

ولم يكن مع هذا مبذرا ، ولم يأمره الله بالتبذير ، ولم ينفق فى معصية الله درهما ولا دينارا ، ولم يكن بخيــلا •

وروى عن أمير المؤمنين على أنه قال : الناس على أربعة أصناف : جواد ، ومسرف ، وبخيل ، ومقصد • فالجواد الذى يعطى دنياه لآخرته ، والمسرف الذى يجعل نصيب آخرته لدنياه ، والبخيل الذى لا يعطى كــل واحدة منهن نصيبهــا ، والمقتصد هــو الذى يعطى كل واحــدة منهــن نصيبهــا [٥١] •

حسن تدبير المــال :

وأما جهة ترتيب المال وحسن التدبير فى جمعه وتفريقه فنقول :

ان من حسن التدبير فى المال لمن سلك فيه المذهب القويم ، والطريق المستقيم ، أن لا يؤخذ أصل المال ، ولا يؤثل [٥٢] ولا يثمر الا من حلــه ، وأن ينفق منه قدر ما يحتمله رأس المال فان النفقة اذا جــاوزت وفاقــت التمييز لم تلبث أن تضر بيت المال (وتنفذه) [٥٣]، وكذلك أن ساوى الدخل الخــرج •

ثم لايجوز أن ينفق منه الا فى أحدى ثلاث : أما ذخرللمعاد، أو نعمة ولذة فى المعاش ، أو ذكر حسن يبقى فى الحياة وبعد الممات • وقد بينا أن أشرف هذه الوجوه ما يجعله ذخرا لاخرته لانه لا يعدم من قصدها هده الوجوه كلها ، وقد بينا ذلك فيما تقدم من كتابنا ، فان أختار منفق المــال

---

(٥١) ينسب هذا القول الى سقراط . ابن مسكوية : الحكمة الخالدة ٢٨١

(٥٢) يؤثل : يؤصل بمعنى استثمار وتكثير أصل المال « راس المال » . اللســان ١ : ٢١ .

(٥٣) فى الاصل (وينفذه) وهو تصحيــف .

لهذه السبل فتمامه فى (أربعة أشياء)[٥٤] .

أولها : أن يتبع فيه أمر الله ، ولا يضع المال الا حيث أمر بوضعه ، ويتحرى من ذلك فى كل حال الاولى والاحق .

والثانية : أن يبتغى بذلك القربة (٧١/ب) الى الله — جل ذكره — والزلفة لديه لا الى غيره دون عاجل المكافأة والجزاء والشكر والثناء ، وهذبه من السمعة والرياء ، فان الله تعالى لا يقبل ما أشرك فيه غيره ، لانه يقول : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد)[٥٥] . وقال : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل)[٥٦] .

روى عن النبى ﷺ أن الله يقول : (أنا أكرم الشركاء ، من أطاعنى وأشرك فى طاعتى غيرى جعلت مالى لشريكى)[٥٧] . وقال النبى ﷺ (انما الاعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه)[٥٨] .

---

(٥٤) هكذا فى الاصل ولكنه لم يذكر غير ثلاثة أشياء .

(٥٥) ١٨ / الكهف : مكية / ١١٠ .

(٥٦) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٥ وفى الاصل : منل .

(٥٧) رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقى عن الضحاك بن قيس بلفظ (ان الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى) الترغيب والترهيب المنذرى ١ : ٢٤ .

(٥٨) صحيح ، أخرجه ابخارى ومسلم ، البخارى ١ : ٣ ، مسلم ٣ :١٥١٥ فى كتاب الامارة ، باب « انما الاعمال بالنية » ، وجامع الاصول ١١ :٥٥٥برقم ٩٨٦٣ في « النية والاخلاص » .

والثالثة : أن يزين أنفاقه بالسر والكتمان ، ويصونه من الاذى والامتنان فان الله — جل وعز — يقول : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) (٥٩) .

ويقول : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) (٦٠) .

ويقول : (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) (٦١) ويقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاحر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا) (٦٢) .

ففى هذه الخلال تزيين ما أنفق فى سبيل الله وتمامه وترتيبه .

فأما من أنفق المال واصطنع المعروف رغبة فى شرف الذكر ، وطيب النشر ، وعاجل الشكر ، فان سبيله يقرب من هذه السبل ولا يكاد يفرق بينهما الا القصد والنية ، لانه لا يحسن ذلك الا بمن عف عن المكاسب الدنية ، والمطالب الخسيسة ، ويتجنب فيها المظالم ، ويتنقى من المآثم ، فاذا فعل ذلك كان ما يتعجل من شكاية المتظلم ، وسوء ثناء المظلوم ، وفحش دعائه ، ونعته ، وحرقة قلبه ، أجل خطرا ، وأعظم قدرا فى بابه من شكر المصطنع ، وحمد المنعم عليه ، وحسن ثناء المقصود بالعرف ،

---

(٥٩) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٧١ .
(٦٠) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٣ .
(٦١) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٢ .
(٦٢) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٤ .

وفرحه به ، واذا قايست هذا بذاك (٧٢/أ) لم يف الخير بالشر ، والنفع بالضر ، والشكر بالشكاية ، وما يخيف بعد ذلك من لعن رب العالمين ، وعباد الله الصالحين ، وذم الفضلاء من أهل الدين ، ثم عذاب الله الاليم أشد ، وأبقى ، وأقطع ، وأدهى ، نعوذ بالله منها .

وكذلك روى عن عمرو بن عبيد أنه ذكر عنده الاسخياء فأكثروا فى عدهم ، وأطنبوا فى وصفهم [٦٣] وهو ساكت . فقيل كيف لا تتكلم فى هذا الباب ؟ قال : ماعسى أن أقول وماذكرتم منذ اليوم سخيا ؟ أنما السخى من جاد بماله ، وعف عن أموال الناس ولقد بالغ فى الذم من هجا بعض الظلمة الخونة ورآه قد بنى سقاية يحتسب فيها شعر [٦٤] .

بنيت ، بما خنت الانام [٦٥] سقاية
فلا شربوا الا أمر من الصبر
وما كنت الا كبائعة أستها
تعود على المرضى به طلب الاجر [٦٦]

ثم يجب على العاقل أن يختار للمعروف أهله ، فانه ليس فى وسع البشر اغناء كل البشر ، ولا الافضال على كل أحد ، فاذا لم يكن فيه مطمع فاصطناع ذوى الاخطار وأولى الاقدار ، والذين يصدقون فى مدحهم

---

(٦٣) السخاء : سماحة النفس لمستحق البذل ، وبذل الرغائب الجليلة فى مواضعها . الحكمة الخالدة ٨ ، وقيل السخاء : اعطاء الاقل وامساك الاكثر الغرر للوطواط ١٤٨ .

(٦٤) الشعر لابى نواس فى اسماعيل بن صبيح .

(٦٥) فى الديوان : « الامير » بدلا من الانام ص ٣٣٢ .

(٦٦) ديوان أبى نواس ٣٣٢ .

اذا مدحوا ، ولا يهتمون فى صدقهم اذا نسكروا أولى بالاختيار والحق بذوى الافضال • وقد روى عن النبى ﷺ : « لا تكون الصنيعة صنيعة الا عند ذى حسب أو دين » (٦٧) •

وقديما ما قيل :

ومن يجعل المعروف فى غير أهله

يكن حمده ذما عليه وينـدم (٦٨)

قالوا : وقال معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد لما بايع له : قد وطأت لك الامور ، فانظر الى كل ذى شرف من كل جنس فواجههم ، وقربهم ، وأحسن اليهم ، فانهم أشكر الناس ان أعطوا ، وأصبرهم ان جفوا (٦٩) •

وقد كان جماعة من الكرام الاسخياء المعروفين بكثرة العطاء من الملوك والفضلاء (لا) (٧٠) يفعلون المعروف شهوة وطباعا فيلقونه فى كل موضع ويصنعونه فى كل مصنع ، ويبذرونه فى كل مزرع ، وذلك مذهب قد ذهب اليه جماعة ، فقد قال قائلهم (٧١) :

---

(٦٧) أورده الماوردى فى أدب الدنيا والدين ٢٠٥ بلفظ «لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين» وذكره ابن عبد البر بلفظ « ان الصنيعه لا تكون آلا فى ذى حسب أو دين» بهجة المجالس ١ : ٣٠٥ ، وفى نثر الدر ١ : ٣٥٦ أنه من أقوال جعفر بن محمد ، وأيضا فى سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٦٢ .

(٦٨) الشاعر هو زهير بن أبى سلمى . وهو جاهلى شهر بالحكمة توفى عام ١٣ قبل الهجرة والبيت فى معلقته بجمهرة أشعار العرب ١١٠ .

(٦٩) بهجة المجالس ١ : ٣٠٦ مع أختلاف يسير .

(٧٠) هكذا فى لاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

(٧١) هو عبد الله بن المبارك ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، تابعى ززاهد ، وأول من صنف فى « الجهاد » وله كتاب الزهد والرقائق ، وتوفى ١٨١ هـ ، الحلية ٨ : ١٦٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٩٥ .

يـد المعروف غنـم حيـث كانـت

تحملهـا كفـور أو شـكور

فعنـد الشـاكريـن لهـا جـزاء

وعنـد الله مـا كفـر الكفـور (٧٢)

(٧٢/ب) وقـال آخـر :

سأمنح مالـى كل من جـاء طالبـا

وأجعله وقفا على الفرض والقـرض

فامـا كريم صنـت بالمـال عرضـه

واما لئيم صنت من لؤمه عرضى (٧٣)

وروى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قـال : «اصنـع المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهله ، فان كان هو أهله فهـو أهله ، وان لم يكن هو أهله فانت أهله » (٧٤) .

وان قصد قاصد أو ذهب ذاهب فى معروفه الى طلب الشكر وبقـاء الذكر فان تمامه فى أربعة أشياء : تعجيله ، وتيسيـره ، وستـره (٧٥) ، وترتيبة (٧٦) وقدروى التلاث من هذه الاربع عن ابن عباس وجعفر بـن

---

(٧٢) البينان فى بهجة المجالس ١ : ٣٠٧ مع نسبتهما الى عبد الله بـن المبـارك .

(٧٣) التذكرة السعبدية ٣٣٩ وينسبه الى أعرابى .

(٧٤) ضعيف ، اخرجه الخطيب البغدادى فى رواية مالك عن ابن عمر ، وابن النجار عن على . ضعيف الجامع الصغر ١ : ٢٨٧ رقم ٩٩٣ .

(٧٥) العقد الفريد ١ : ١٥٨ .

(٧٦) قارن ابن سبنا : السياسة ص ٩٥ حيث بجعل شرائط المعـروف خمسة : تعجيله ، كتمانه ، تصغره ، ربه ومواصلته ، واختيار موضعـه .

محمد كلاهما ، روى سفيان الثورى عن جعفر أنه قال له : علمت أنى نظرت فى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث ، قلت وما هى جعلت فداك ؟ قال : تعجيله ، وتصغيره ، وتيسيره [٧٧] ، فانك ان عجلته هنأته ، واذا يسرته اتممته ، واذا صغرته عظمته واذا مطلته وأخرته ، وسوفته كدرته ونغصته وأفسدته .

وجعل ابن عباس بذل التيسير من هذا الكلام الستر [٧٨] . وكان يقال : ستر رجل ما أولى وشكر ما أولى (قال) [٧٩] ثم قال جعفر بن محمد : والمعروف أوثق الحصون ، وأشرف الامور ، وهو كنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفر ، ولا جحود من جحد ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع منه بشىء .

قالوا : وكتب الحسن بن سهل الى المأمون فى شىء طلبه لبعض المتصلين به : ان داعى نداك ، ومنادى جدواك جمعا ببابك الوفود ، ويرجون نائلك العتيد منهم من يمت بحرمة ، ومنهم من يدل بخدمة ، وقد أجحف بهم ، وطالت عليهم الايام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسببه ويحقق ظنهم بطوله فعل ان شاء الله قال : فوقع المأمون : الخير متبع وأبواب الملوك مواطن لطلاب الحوائج ، فاكتب أسماءهم ، وأخبر مراتبهم ليصير الى كل أمرىء استحقاقه ، ولا يكدر معروفه بالمطل

---

(٧٧) نثر الدر ١ : ٢٥٥ وفيه « كتمانه » بدلا من تيسيره . وفى نهاية الارب ٣:٢٠٤ « ستره » وأيضا فى سير أعلام النبلاء ٦:٢٦٣ ؛ والغرر للوطواط ١٦١ .

(٧٨) بهجة المجالس ١ : ٣٠٣ . وأدب الدنيا والدين ٢٠٣ .

(٧٩) هكذا بالاصل ، والمعنى يستقيم بدونها .

والحجاب [٨٠] ، وقد قال (الاول) [٨١] :

فانـك لـن تـرى طـردا لحـر

كالصـاق به طـرف الهـوان

ولـم تحـرز مـودة ذى وفـاء

بمثل البذل أو لطـف اللسـان [٨٢]

قالوا : وقال خالد بن عبد الله القسرى [٨٣] على منبره : أول ما صعد بالعـراق :

(٧٣/أ) يا أيها الناس ، تنافسوا فى المكارم ، وسارعوا الى المغانم ، واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل ذما ، ولا تعتدوا بمعروف لم تعجلوه ، واعلموا أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم ، فلا تملوا نعم الله عليكم فتحور نقمـا .

وكذلك يجب على الكريم أن ينزه معروفه عن انتظار جزاء أو مكافأة عليه أو شكر عاجل ، فانه قد قيل فى الكتب القديمة : «من جعل المعروف لعامل الجزاء فهو كملقى البذر ليصيد به الطير لا لينفعه ، ولا يكـدره بالذكر والتعيير والمن والاذى ، فقديما ما قيل : أن المنة مفسدة للصنيعة .

---

(٨٠) ورد النص بلفظه فى زهر الاداب ٢ : ١٣١ .

(٨١) هكذا بالاصل ، والصحيح (الشـاعر) .

(٨٢) ورد البيتان بلفظهما دون نسبه فى زهر الاداب ٢ : ١٣٢ .

(٨٣) خالد بن عبد الله القسرى ، أبو الهيثم ، أمير العراقين ، وأحدخطباء العرب وأجوادهم ولى مكة سنة ٨٩هـ والكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ ، وقتـل الكامل فى التاريخ ٤ : ٢٦٢ ، وافيات الاعيـان ٢ : ٦ — ١٠ .

وكذلك ما قال الحكماء : اذا أتخذتم عند حر يدا فأنسوها ، أى لا تذكروها .

فأما ترتيبه فقل ما يفى به الا الحازم الجزل ، ولا شىء أحسن منه بالملوك والاشراف وقد أكد ذلك الحكماء ، وذكره الاسخياء والفضلاء حتى قالوا : الأبتداء بالمعروف نافلة ورده فريضة . وقالوا : الابتداء بالتفضل يد موفورة ، والبذل بغير الطلب يد منقوصة ، وأحسن أحوال الجود أن تكون أجابتك بعد السؤال ، وأنجازك بعد المطلب .

ولقد مدح بذلك مادح الكرام فقال :

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا
لم يوهنوا لبنائهم أساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى
جعلوا لها طول البقاء لباسا

وقال قائل يمدح طلحة الطلحات [٨٤] :

أرى الناس قد ملوا الثواء ولا أرى
بنى خلف الا رواة الموارد
اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه
وكائن ترى من نافع غير عائد

وقال آخر :

---

(٨٤) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، أحد الاجواد المقدمين ، كان أجود أهل البصرة فى زمانه ذهبت عينه بسمر قند ، وكان يميل الى بنى أمية ، فبكرمونه ، وولاه زياد بن مسلمة على سجستان فتوفى فيها واليا نحو سنة ٦٥ هـ . المحبر ١٥٦ ، ٣٥٦ ، البرصان ٣٦٣ خزانة البغدادى ٨ : ١٥،١٦ العقد الفريد ١ : ٢٠٢ ، الاعلام ٣ : ٣٣١ .

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا

فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا ما دنوت اليه الا

تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

سألناه الجزيل فما تأبى

وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأما من أنفق ماله فى منال اللذة أو قضاء شهوة أو أظهار جمال وزينة فلا يتم ذلك له ولا يحسن به الا اذا أخذ المال من حيث يحسن فى الدين ويجمل ، وتمتع به فيما يطيب ويحل ، تجنب فيه المحارم والمذام (٧٣ / ب) فانه ان لم يفعل ذلك كان كفراش النار الذى يتهافت فيها اغترارا بضوئها فيحرق نفسه ، وكالذباب الذى يلقى نفسه شرها فيما يموت فيه سريعا .

فلا خير فى منال شهوة تفنى لذته ، و (تنقضى) [٨٥] شهوته ، وتبقى تبعته ، (ويسوء) [٨٦] فى الناس قالته ، وتنقص آخرته ، ويدوم على مرتكبها عقوبته ، فانك اذا قايست بين حرص النفوس على منالها ، وميل الطباع اليها والتذاذها عند الظفر بها ، وبين نهى العقل والدين عنها ، وتأبى النفس الفاضلة بما يتعقبه من هذه المكاره عليها علمت أن النفع فيها أقل من الضرر ، والشر فيها أدهى من الخير ، ولذلك ما اشترط كل من أدخل هذا القسم فى القسم الثالث أقسام مساعى اللذة من غير محرم .

فقالوا : وجدت فى حكمة آل داود : ينبغى للعاقل أن لا يغفل عن

(٨٥) هكذا فى الاصل ، والاصوب (تقضى) .

(٨٦) هكذا فى الاصل ، والصواب (تسىء) .

أربع ساعات : ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعه يناجى فيها ربه ، وساعة يخلو فيها بأهل (ثقاته) [٨٧] الذين يصدقونه عـن عيوبه وينصحونـه فى نفسه ، وساعة يكون فيها بين نفسه [٨٨] وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عونا على تلك الساعات واستجماما للقلوب ، وفضل بلغة .

قالوا : وعلى العاقل أن لايرى ظاعنا الا فى أحدى ثلاث : مرمة لمعاشه أو خطوة لمعاده ، أو طلب لذة فى غير محرم [٨٩] .

وقد قال فى صدق هذه القضية بعض الشعـراء :

تفنى اللذاذة ممن نـال شـهوتها
مـن الحرام ويبقى الاثم والعـار
تبقـى عـواقب سـوء من مغبتهـا
لا خير فى لذة من بعدها النـار [٩٠]

فهذه الابواب الثلاثة هى التى يجوز لمميز عاقل أو عالم فاضل صرف شىء من الاموال ، وانفاقه فيها ، وما خرج منها ، فانما هو تبذير وفساد وذهاب عن سبيل الرشاد فى القول العام المطلق ، والرأى الاصوب الارفق

المـال العـام :

فأما أموال الله التى فى أيدى الملوك والامراء من حقوق ببيوت الاموال الاموال التى تدخل على المسلمين من : فيئهم ، وغنائمهم ، وأخرجتهـم ،

---

(٨٧) هكذا فى الاصل ، والاصوب (ثقتـه) .
(٨٨) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونـه .
(٨٩) من الامثال الواردة فى صحف ابراهيم . حلية الاولياء ١ : ١٦٧ .
(٩٠) من شعر الامام على بن أبى طالب . رضى الله عنه . انظر ديوانه٢٨

وأعشارهم ، وجزية أهل ذمتهم فان الله قد بين سبلها ، وأبان عن طرقها ، ووضعها مواضعها ، فقال : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل) [٩١] (٧٤/أ) .

وقال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن : « وأعلمهم أن الله قد اوجب عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم » [٩٢] وقال تعالى فى الفىء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) [٩٣] .

فالسنة فى صدقات السوائم [٩٤] والعشور [٩٥] والاخماس [٩٦] وكل ما فى الصدقات أن تقسم على هذه السهام المذكورة الا سهم المؤلفة قلوبهم ، لان الله قد أغنى عنهم ورفعهم بعز الاسلام ، وظهور الحق ، ويعطى العاملون عليها على مقدار الكفاية ، ولا يحل من

---

(٩١) ٩ / التوبة : مدنية / ٦٠ .

(٩٢) صحيح رواه البخارى ٣ : ٢٥٥ فى الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم اموال الناس فى الصدقة مسلم ١ : ٥٠ رقم ١٩ كتاب الايمان ، باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام الترمذى ٣ : ٢١ رقم ٦٢٥ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى) فى الزكاة ، باب ما جاء فى كراهية اخذ المال فى الصدقة ، ابو داود رقم ١٥٨٤ فى الزكاة ، بابالكنز ، والنسائى ٥ : ٥٥ فى الزكاة باب اخراج الزكاة من بلد الى بلد .

(٩٣) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٧ ولفظة (تعالى) ساقطة من الاصل .

(٩٤) السوائم : الانعام التى ترعى فى كلأ مباح . مختار الصحاح ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٩٥) العشور : جمع العشر وهو فى أموال اهل الذمة فى التجارة لسان العرب (المعارف) ٢٩٥٣ .

(٩٦) الاخماس : جمع الخمس وهو خمس أموال الغنائم . لسان العرب (المعارف) ١٢٦٤ .

الصدقات لآل الرسول ﷺ ، ولا لغنى موسر ، ولا ملك مقتدر .

وأما الغنيمة والفيء فقد كان على عهد النبى ﷺ فيآن :

أحدهما ، للنبى ﷺ خاصة ، لم يوجف [٩٧] المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من بنى النضير وآهل فدك فكان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة الا أن النبى عليه السلام لم يبن به دارا ولم يشتر به عقارا ، ولم يتمتع به فى الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته وقوت عياله ، ويجعل الباقى منها فى نوائب المسلمين ، وحوادث أمر الديـــن .

والاخر ، هو ما يفيء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمـــة أو جزية أو خراج بنى تغلب ، فانه يعطى منه ذوى القربى ، وهم عندنا قرابة النبى ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقى فى نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأغطية الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم فان فضل شيء من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيـــل .

وان نقص مال من صنوف الاموال عن هذه الوجوه فلا بأس علـــى الامام أن يجعله كله فى باب واحد اذا مست الحاجة ودعت الضرورة اليه، والله أعلـــم .

وليس للعاملين عليها الا مقدار القوت ، فهكذا كان النبى ﷺ يصنعه ويصنع به ، وينفق على نفسه ، وكان عمر يقول لعماله : «قد أنزلتكم مـــن هذا المال ونفسى منزلة وصى اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » [٩٨] .

---

(٩٧) يوجف : يحارب باعمال الخيل وغيره فى الحصول عليه . المصباح المنـــير ٢ : ٦٤٩ .

(٩٨) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٩ .

(٧٤/ب) وروى عن عمر بن عبد العزيز [٩٩] انه كان اذا سهر بالليل لعمل نفسه أسرج من ماله ، واذا سهر لامر العامة أسرج من بيت مال المسلمين [١٠٠] .

وروى مجمع بن أبى رجاء قال : خرج الينا على بن أبى طالب ـ رحمه الله ـ بسيف يبيعه . فقال : من يشترى منى هذا ؟ ولو كان عندى ثمن ازار ما بعته ، قال : فقلت أنا أبيعك وأنسئك ثمنه . قال : فلما خرج عطاؤه قضانى [١٠١] .

ثم لما فتح الله على المسلمين البلاد ، ومكنهم من خزائن الملوك ، وكثر فيها الجيوش ، جعل أمير المؤمنين عمر لطبقات الناس ديوانا ، وأجمعت الامة عليه فجعل أهل بيت الرسول ﷺ فى أول الدواوين ، ثم المهاجرين ، ثم الانصار ، ثم أحياء العرب بعضهم بعد بعض [١٠٢] . وكان يأمر بقسم ما يجتمع فى بيت المال من هذه الاموال بعد اخراج المؤن ، وازاحة العلل على ما بينه الله لرسوله فيما فضل عنده من خمس الفىء وما فى بابه قسمة بين المسلمين على ما أمر الله بـه .

وسنة أخرى فى هذا الباب هى أن ما اجتمع من هذه الوجوه فى بلد من البلدان لا ينقل منه الى غيره حتى تزاح عللهم ، ويعطى فقراؤهم كفايتهم ، ويحمل أبناء السبيل منها الى بيوتهم ، وتفك رقابهم

---

(٩٩) (بن عبد العزيز) ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .

(١٠٠) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق د. أحمد الشرباصى ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٣٦ .

(١٠١) حلية الاولياء ١ : ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨٢ ، سيرة عمر لابن الجوزى ٤٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٣٧ ، تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ١٣٩ .

التى أسرت فى عدوهم ، ويؤدى عن غارمهم ، فان النبى ﷺ قد بين ذلك فى سننه حيث قال : (لا يترك فى الاسلام مقدح) [١٠٣]. وقال : (من ترك مالا فلاهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فالى ، وعلى) [١٠٤] .

فان استغنى عنه أهل بلد فى وقت من الاوقات فاحتاج اليه بلدان أخر حمل الى أقرب البلدان اليه ، فتزاح عللهم ، ثم على هذا الترتيب حتى تزاح العلل التى فى ذلك الوجه كلها ، ويسد الخلل ، فان فضلت فضلة تحمل الى بيت المال الذى عند الامام .

وروى عيسى بن رستم قال : قرىء علينا كتاب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وكان عامله على الكوفة : أيما رجل كان عليه دين لا يقدر على قضائه فاعطوه من مال الله أيما رجل تزوج امرأة ولم يقدر على صداقها فاعطوه من مال الله وأمر للمؤدبين والزمنى [١٠٥] .

وسن رسول الله ﷺ التفضيل فى العطاء مرة ، والتسوية تارة على ما أوجبته (٧٥/أ) الحال .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية ، وكان عمر وعثمان يفضلان على مقدار البلاء فى الاسلام والغناء عنه ، ومواجب الاحوال . ثم كان على يرى التسوية [١٠٦]

---

(١٠٣) مقدح : عيب أو نقيصة . المصباح المنير ٢ : ٤٩١ وفى لسان العرب المحيط ٣ : ٢٨ مقدح : ضامر لفقره ولكونه معدما .

(١٠٤) حديث حسن ، أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابى كريمة . صحيح الجامع الصغير ٥ : ٢٦٩ رقم ٦٠٢٣ ، سنن ابن ماجه ٨٠٧ رقم ٢٤١٦ ، وص ٩١٥ رقم ٢٧٣٨ .

(١٠٥) الزمنى : المعمرون ، والمرضى بأمراض مزمنة . المصباح المنير ١ : ٢٥٦ .

(١٠٦) تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ص ١١٨ .

والتفضيل عندنا هو الاختيار ، وهو أشبه بكتاب الله عز وجل لان الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ودرجات منه) [١٠٧] • وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [١٠٨] • فى أبواب قد تلونا فيما تقدم من كتابنا •

فهذه جمل السنن التى أوجبها الله — جل وعز — فى هذه الاموال •

فليعلم الملك المسلط ذلك ، ولينظر نفسه فى هده الامور ، وليعلم أن كل فقير فى الاسلام ، وغارم ، وابن سبيل ، وأسير ، وغاز فى سبيل الله ، ومسكين ، خصماؤه عند من لا يظلم مثقال ذرة ، وما هو بظلام للعبيد •

ولا ينبغى أن يضيق صدر ملك عن اخراج هذه الاموال الى أربابها ، والله تعالى يأجره عليها ، ويعوضه عنها الجنة ، فانه ان صرفها عن جهاتها • وضن بها على مستحقيها ، تركها لغير حامد ، وخرج منها غيره مشكور ، وورد على غير عاذر ، ولم يحصل له الا الاثم والعار ، وعذاب النار ، وسوء الدار ، وليس بينهما الا الحمد والذم والاجر والاثم ، فان رغب الملك فى المال الكثير فان الله — تبارك وتعالى — قد جعل لطلب الاموال سبلا معلومة ، وأسبابا معروفة ، فهى أطيب ما أخذا وأحمد عاقبة ، فلا يعوزه المال من تلك الجهات أن طلبه ، ولايتعذر عليه أن أكتسبه من تمييز القليل وادراك الجليل ، وما قدره الله له ، وهو ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

---

(١٠٧) ٤ / النساء : مدنية / ٩٥ •
(١٠٨) ٣٩ / الزمر : مكية / ٩ •

الباب التاسع

فى تدبير الاعداء وأهل الجنايات

ان الله — جل وعز — حرم نفس الفطرة وأول التعبد دماء الخليقة والبشر وأشعارهم وأبشارهم بعضهم على بعض ، فلم يبح أهراق دم ، ولا ازهاق نفس ، ولانقص نفس ، ولا أيلام أحد من الناس الا لحاضر من الفساد يتقى أو لمتخوف منه يتوقى ، أو لصلاح عام يرتجى أو لعائدة يؤمل عودها على عامة المسلمين وجماعة المؤمنين ، أو يكون فيه تأييدا للدين وانتقاما من المذنبين ، واعتبارا للمتفكرين المعتبرين ، كالطبيب الحاذق الرفيق ، والوالد البر الشفيق الذى يقطع من ولده الجارحه الدونة أبقاء على البقية ، ويجرعه الادوية البشعة الكريهة (٧٥/ب) تأميلا لدفع علة أو أعادة صحة أو بقاء سلامة وعافية ، و(كالبائن)[١] الحاذق الحريص على عمارة بستانه ، وتعهد ريحانه ، يقلع منه الحشيش الضار ، ليحيا به الريحان النافع ويقطع منه الشجر الذى يضر بظله ولا ينفع ثمره لينشىء وينمى المثمر الذى يجدى ثمره ، ويطيب جناه . وكالحريص على توفير ماله وتدبير قنيانه[٢] يغذى بعضها بعضا ، وينفق كثيرا من أجزائها قصدا لتوفير ما يبقى منها .

قال الله — جل وعز — فى صحة جملة هذه القضية : (لا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما)[٣] . وقال : (ولا تلقوا بأيديكم الى

---

(١) هكذا فى الاصل ، والصحيح (كالبستانى) .

(٢) قنيانه : مصادر كسبه . لسان العرب (المعارف) ٣٧٥٩ .

(٣) ٤ / النساء : مدنية / ٢٩ .

التهلكة) [٤] . وقال : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) [٥] . وقال : (فلا يسرف فى القتل أنه كان منصورا)[٦] ثم قال من بعد ذلك (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) . وقال (كتب عليكم القصاص وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) [٨] .

فأباح الله جل ثناؤه على هذه القضية وصحة هذه الدلالة ، دماء ثلاث أصناف ، بل أمر باهراقها اعزازا للدين ، ونصرة للانبياء والمرسلين وأوليائه من المؤمنين ، وارادة منه لحياة العباد وعمارة البلاد .

الاعداء على الحقيقة :

أولهم : المشركون الذين يقاتلون على أصل التوحيد والنبوة والشريعة التى هى أس المملكة ، ورأس العمارة ، والطريق الى تمام السعادة .

وهؤلاء هم الاعداء على الحقيقة ، نص الله على قتالهم فى كتابه فقال : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [٩] . وقال : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) [١٠] . وبين عند ذلك العلة فيه حيث قال : (والفتنة أشد من القتل) [١١] . وقال : (فاقتلوا

---

(٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩٥ .
(٥) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥١ ، و١٧ الاسراء : مدنية ٣٣ .
(٦) ١٧ / الاسراء : مدنية / ٣٣ .
(٧) ٢ / البقره : مدنية / ١٧٩ .
(٨) ٢ / البقرة : مدنية / ٢١٦ .
(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٦ .
(١٠) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ .
(١١) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ .

المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) [١٢] وقال : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الاخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [١٣] ،ثم خص الله أهل العهد والذمة من هؤلاء فأمر بالوفاء لهما بما وقعت شرائطهم عليه فقال : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) [١٤] (٧٦/أ) وقال : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أن الله يحب المتقين) [١٥] • وقال : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) [١٦] • وقال النبى صلى الله عليه «أنا أحق من أوفى بذمته» [١٧] وقال :«لايقتل مسلم لكافر ولاذو عهد » [١٨] ، فهؤلاء صنف •

الباغــــون :

والصنف الثانى : وهم الباغون ، الذين يخرجون على المسلمين ، والائمة العادلين متغلبين أو متأولين ، من أهل الملة ، أمر الله ــجل وعزــ

(١٢) ٩ / التوبة : مدنية / ٥ وفى الاصل : واقتلوهم •
(١٣) ٩ / التوبة : مدنية / ٢٩ •
(١٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٦ •
(١٥) ٩ / التوبة : مدنية / ٧ •
(١٦) ١٦ / النحل : مكيــة / ٩١ •
(١٧) ضعيف ، اخرجه دار قطنى عن ابن عمر ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ، ٣٣٧ وشرح السنة للبغوى ١٠ : ١٧٥ ، ١٧٦ •
(١٨) حديث حسن ، أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس بلفظ «لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده» سنن ابن ماجه ٢ : ٨٨٨ رقم ٢٦٦٠ ، صحيح الجامع الصغير ٦ : ٢٤٣ رقم ٧٦٢٨ •

بقتالهم بعد دعودتهم الى السلم ، والفىء ، والصلح ، ومناظرتهم فيه ، وبيان الحق لهم ، فقال : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (١٩) . وقال : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) (٢٠) .

روى عن أمير المؤمنين على رضوان الله عليه أنه قال : «أمرت بقتال القاسطين والناكثين والمارقين» .

وروى عن النبى صلى الله عليه أنه قال (للشهيد نوران، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار) (٢١) . قال : وذكر بين يدى أمير المؤمنين «على» أيام صفين أصحاب معاوية فكفرهم بعضهم ، فقال : لا تكفروهم فانهم زعموا أننا بغينا عليهم ،وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم على ذلك .

وقال النبى صلى الله عليه لعمار بن ياسر (٢٢) : « تقتلك الفئة الباغية

---

(١٩) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ٩ .

(٢٠) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ١٠ .

(٢١) لم أقف عليه ، ويبدو لى أنه من الاحاديث الموضوعة فى الحث على محاربة الخوارج وقتالهم ، وأن واضعه من شيعة الامام على بعد خروج بعض المسلمين عن طاعته ابان فترة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان .

(٢٢) عمار بن يسار بن عامر الكنانى ، صحابى ، من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، وهو أحد السابقين الى الاسلام والجهر به، وكان يلقبه الرسول ﷺ « الطيب المطيب » ، وهو الذى بنى أول مسجد بالمدينة (قباء) ، واستشهد فى صفين عام ٣٧ هـ . الاستيعاب ١١٣٥ والمحبر ٢٨٩ ، ٢٩٦ وحلية الاولياء ١ : ١٣٩ .

تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار»[٢٣] .

وقال أمير المؤمنين ان قاتلوا اماما عدلا فقاتلوهم ، فان قاتلوا اماما جائرا فلا تقاتلوهم فان لهم بذلك مقـــالا .

فالسنة فى قتال هؤلاء : أن يدعوا الى الرجوع والصلح ، ويناظروا فيما أداهم الى البغى ، فان وجدوا محقين فى دعواهم ، حمل الباقـــون على الخروج من حقوقهم ، وتسليم مالهم اليه ، وتوفيره عليهـــم ، وان وجدوا مبطلين بين لهم بطلان دعواهم ، وألزموا الحجة على ذلك ، فـــان أبوا الا اصرارا على البغى ، وتماديا فى الغى ، قوتلوا عليه حتى يفيئوا الى أمر الله ، فان فـــاءوا كف عنهم ، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم مـــا عليهم [٢٤] فان استحقوا القتال وقوتلوا فالسنة فى قتالهم أن يتربص بهم حتى يكون منهم أو يظهر على فساد من قتل أو أخذ مال ، فاذا فعلوا شيئا من ذلك طولبوا برد المال وبذل (٧٦/ب) القود ، فان أبوا حـــلَّ قتالهم ، هكذا فعل أمير المؤمنين على يوم الجمل ، ويوم صفين ، ويوم نهروان[٢٥]

---

(٢٣) اخرجه ابن عبد البر من حديث عمار . الاستيعاب ١١٣٩ ويقـــول ابن عبد البرص ١١٤٠ تواترت الاثار عن النبى ﷺ انه قال:«تقتل عمار الفئـــة الباغية» وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الاحاديث . وأخرجه مسلم عن أم سلمة . صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ رقم ٢٩١٦ فى الفتـــن واشراط الساعة ، وأحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى ٥ : ٣٠٦ ، ٣٠٧. وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ٢ : ٢٦٩ رقم ٧١٠ .

(٢٤) انظر فى ذلك : الام ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ ، المهذب ٢ : ٢١٨ ، والروضة ١٠ : ٥ ، تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ٢٤٠ .

(٢٥) النهروان هو مكان بقرب بغداد ، وذكره ابن الجواليقى فى كتابه المعرب بفتح النون والراء فارسى معرب . المعرب ٣٨٦ ، وتهذيب الاسمـــاء واللغات القسم الثانى الجزء الثانى ١٧٨ .

على ما جاءت به الروايات . وان لم يكن ذلك ففى ابائهم أكفى كفايـــة فى ايجاب قتالهم .

ثم السنة الاخرى فيهم ألا يجهز على جريحهم ، ولا يتبع موليهم ، ولا يسبى ذراريهم ، ولا يكون شيء من أموالهم مغنما للمؤمنين بل هو لهم أو ميراث لورثتهم [٢٦] ، فانهم كانوا على جملة الدين ، وكان لهم ولاء قبل القتال . فرقت السنة به بينهم وبين المشركين وهؤلاء صنف .

قطـــاع الطـــــرق :

والصنف الثالث : قطاع الطرق ومخيفو السبيل ، الذين لا يستحلون دماءهم بتأويل ولا يعتقدونه بتنزيل ، بين الله أحكامهم ، وفرض عقابهم وخالف بين أحوالهم نصا فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال : (أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعـــون فى الارض فسادا أن يقتلـــوا أو يصلبوا أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض)[٢٧] ماختلف العلماء فى اقامة هذه الحدود عليهم .

فقال بعضهم : الامام مخير فى هذه العقوبات فمن ظفر به منهم ان شاء قتله وصلبه ، وان شاء قطع يده ورجله من خلاف ، وان شاء نفاه [٢٨]

---

(٢٦) أنظـــر فى ذلك : المغنى ١٠:٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، المهـــذب ٢:٢١٨ الروضة ١٠ : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢٧) ٥ / المائدة : مدنية / ٣٣ .

(٢٨) هذا قول سعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن والضحــــاك والنخعى وأبى الزناد وأبى ثور وداود . المغنى ١٠:٣٠٥ . وقال ابو حنيفـــة ان أخذوا المال وقتلوا ، فالامام بالخيار ، ان شاء قطع أيديهم وأرجلهم مـــــن خلاف أو قتلهم أو صلبهم وان شاء صلبهم ، وان شـــاء قتلهم ولم يصلبهـــم . الافصاح : ٢ : ٢٦٢ .

واختلفوا فى النفى ، فقال بعضهم : هو الحبس [٢٩] وقال بعضهم : هو النفى عن أرضه التى أحدث فيها هذا الحدث ، وجنى فيها هذه الجناية الى غيرها من الارضين النائية عنها [٣٠] .

وقال بعضهم : ان الله قد بين تأويل هذه الاية ورتب هذه العقوبات وخص كل طبقه ، وأهل كل مرتبة ، من ذوى الجنايات منهم بعقوبة خاصة به ملائمة لمقدار جنايته [٣١] بما روى عن النبى ﷺ أن جبريل أتاه عن ربه فقال : (من قتل وأخذ المال صلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع) [٣٢] .

قالوا : ومن سعى بعد ذلك فى الارض فسادا ، أو حمل سلاحا فأخاف السبيل أو قطع الطريق ، ورأى الامام نفيه أو حبسه كان له ذلك .

الجنايات والعقوبات :

فأما أصحاب الجنايات الذين يأتون الامام سلما فقد حقنت مله

---

(٢٩) هو رأى أبو حنيفة وأصحابه ، قال أبو حنيفة : نفيه حبسه حتى يحدث توبة ونحو هذا قال الشافعى : فانه فى هذه الحال يعزرهم الامام ،وان رأى أن يحبسهم حبسهم . المغنى لابن قدامة ١٠ : ٣١٤ ، والروضة ١٠ : ١٥٦. وهو منسهور ومذهب مالك فى غير بلد الجناية . أحكام القرآن لابن العربى ٢ : ٥٩٨ وتفسير القرطبى ٦ : ١٥٣ .

(٣٠) وهو رأى الامام أحمد بن حنبل وأصحابه . المغنى ١٠ : ٣١٤ .

(٣١) فى حد قطاع الطريق . قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد : هو على الترتيب وقال مالك : ليس هو على الترتيب ، بل هو على صفة قاطع الطريق، وللامام اجتهاده فيما يراه من القتل أو الصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفى أو الحبس . الافصاح ٢ : ٢٦٢ ، أحكام القرآن لابن العربى ٢ : ٥٩٦، ٥٩٧ ، والمنهج المسلوك فى سياسة الملوك ١١٥ .

(٣٢) رواه ابن جرير عن أنس فى تفسيره ١٠ : ٢٥٠ ، ٢٦٧ الاثران ١١٨١٦ ، ١١٨٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٣ : ٩٤ .

الاسلام دم كل مؤمن بالله واليوم الاخر ، الا بردة بعد اسلام أو زنى بعد احصان او نفس بنفس ، ومن آرتكب دون ذلك من أبدان أهل الملة فالجروح قصاص ،ومن قتل مؤمنا(٧٧/أ)خطأ فقد أوجب الله على عاقلته الديةيسلمها الى أهله الا أن يشاءوا أن يصدقوا ، وتحرير رقبة مؤمنة ، ليس للسلطان فيه يد ولا معتــرض .

ومن أرتكب مادون القصاص ففيه أرش [٣٣] قد بينت السنة أحكامها وشرعت الملة فروضها ، ومقاديرها . قال الله ــ جل وعز ــ : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعيــن بالعين والانف بالانــف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) [٣٤] .

وقال : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [٣٥]

وقال : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان مــن قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان بينكــم وبينهــم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجــد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيمــا) [٣٦] .

وقال فيما دون الاحصان من الزنى : (والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) [٣٧] .

---

(٣٣) الارش : الجراحات التى ليس لها قدر معلوم . لســان العــرب المحيــط ١ : ٤٦ .

(٣٤) ٥ / المائده : مدنبه / ٤٥ .

(٣٥) ٢ / البقره : مدنبة / ١٩٤ .

(٣٦) ٤ / النساء : مدنية / ٩٢ .

(٣٧) ٢٤ / النور : مدنىة / ٢ .

وقال فى القاذف : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) (٣٨) •

وأجمعت الامة على جلد السكران ثمانين (٣٩) •

وفى السارق قال الله تبارك وتعالى: (والسارق والسارقه فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (٤٠) •

وفيما دون الحدود من ذلك من قذع أو شتم أو سوء أدب يعود بجرأة على السلطان أو استخفاف بالدين تعزير على ما يراه السلطان فى مذهبه أن كان أهل العلم أو يفتى له المفتون ، فان العلماء قد أختلفوا فى ذلك فمنهم من جاوز بالتعزير الحد الى ثلاثمائة سوط وأقل وأكثر ، ومنهم من لا يرى بالتعزير الحدود فى العدد ويرى أن تجاوز به الحد فى الشدة والا يلام •

ثم من أظهر فى الدين بدعة خرق بها أجماع الامة ، وناقض بها التوحيد وأصول الشريعة ، أو خرج منه بشىء أو دخل فيه فعلى الامام والسلطان أن يحضره مجلسه أو مجلس صاحبه ، ويأمر بمناظرته أو

---

(٣٨) ٢٤ / النور : مدنية / ٤ •

(٣٩) هذا رأى جمهور الفقهاء بيد أن الشافعى وابو ثور وداود قالوا : الحد فى ذلك أربعون على الحر (بداية المجتهد ٢ : ٤٧٩) ، ورجحه ابن قدامة فقد قال: أن الحد اربعون هو اختيار ابى بكر ومذهب الشافعى لان عليا جلد الوليد ابن عقبه أربعين ، ثم قال جلد النبى ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنه . وهذا أحب الى . رواه مسلم ... وفعل النبى ﷺ حجة لا يجوزتركه بفعل غيره ، ولا ينعقد الاجماع على ما خالف فعل النبى وابى بكر وعلى رضى الله عنهما فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزيز يجوز فعلها أذا رآه الامام . المغنى ١٠ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ •

(٤٠) ٥ / المائدة : مدنية ٣٨ •

يناظره بنفسه بحضرة العلماء من المتكامين والفقهاء العارفين بأصول الدين فيقيم عليه حجة الله فان قبلها ورجع عن البدعه التى أحدثها (٧٧/ب) عفا عنه ، وان لم يقبلها ولم يرجع عنها فعليه ما على المرتد بعد الاستتابة وهكذا روى رسول الله ﷺ :(من بدل دينه فاقتلوه) (٤١) •

وأختلف العلماء فى المرتدة فأوجب بعضهم قتلها ، وبعضهم حبسا واجبارها على الدين •

مبدا درا الحدود بالشبهـــات :

وسن النبى ﷺ مع ذلك « درأ الحدود بالشبهات » (٤٢) •

فمن شهد عليه الشهود بارتكاب حد من الحدود وأقر على نفسه •

فان السنة ان يستأنى به الى أن يدفع عن نفسه بحجة أو شبهة ، فان أتى بها درىء عنه الحد ، وكذلك ان اختلف الشهود فى الشهادة ، أو شهدوا بعد مدة ، وأورد الامام المقر على نفسه ، فقال : قد سهوت أو غلطت أوكذبت أو سرقت من دارى أو دار من أخرجه من ملكى ، وما أشبه هذه الامور •

ولا تقبل الشهادة بالزنى حتى يشهد أربعة من المسلمين بلا اختلاف ولامرية على ما جاءت به السـنة (٤٣) •

وكذلك السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا أنه سرق ما تبلغ قيمتـه

---

(٤١) حديث صحيح ، أخرجه البخارى،وأبو داود ، والترمذى،والنسائى وابن ماجه عن أبن عباس •

صحيح الجامع الصغر ٢٦٤:٥ رقم ٦٠٠١ وهداية السـارى ٢٠٩:٢ وسنن ابن ماجه ٨٤٨:٢ رقم ٢٥٣٥ واخرجه مالك فى الموطأ بلفظ «من غير دينه فاضربوا عنقه » الموطأ ٧٣٦:٢ ، كتاب الاقضية ، باب القضاء فيمن ارتدعن الاســـلام •

(٤٢) سبق تخريجه ص ٢٢٩ •

(٤٣) أخرج مسلم عن أبى هريرة : ان سعد بن عبادة ــ رضى الله عنهــ قال : يا رسول الله ، ارأيت لو أنى وجدت مع أمرأتى رجلا ، أأمهله حتى آتــى بأربعة شهداء ؟ فقال ﷺ : « نعم » • مسلم ٢ : ١١٣٥ رقم ١٤٩٨ ، ومالــك، فى الموطأ ٢ : ٨٢٣ •

عشرة دراهم من حــرز (٤٤) .

فهذه جمل أصول ماأباح الله فيه القتال والقتل ، والحد وسفك الدم، والجلد ، ولها فروع يطول ذكرها عما عرضناه فى كتابنا ، وهى معروفــة عند الفقهاء مسطورة فى كتب العلمــاء .

وما سوى ذلك فهو داخل فى قول الله : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (٤٥) . وفى قول النبى ﷺ : (أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم الا بحقها) (٤٦) . وهذه الاسباب والابواب من حقوقها . وفى قول النبــى ﷺ «أنا أحق من وفى بذمته» (٤٧) لايحل لامام ولا لصاحب أمام شــىء من أشعار أهل الملة والذمة تعصبا الا تأديبا وتثقيفــا .

ثم قيد الاسلام (الغيلة والمثلة)(٤٨) فحرمها ، فليتق الله ملك قادر أو سلطان قاهر ، وليحذر أن تحمله قدرته (الجروية) (٤٩) القلبية على ظلم

---

(٤٤) هذا رأى فقهاء العراق ، قال به : عطاء وأبو حنيفة . أما فقهــاء الحجاز مالك والشافعى وأحمد وغيرهم فأوجبوا القطع فى ثلاثة دارهم مــن فضة وربع دينار من ذهب . بدايــة المجتهد ٢ : ٤٨٣ ، والمغنى لابن قدامــة ١٠ : ٢٤١ ـــ ٢٤٣ .

(٤٥) ١٩ / التوبة : مدنيـــة / ٥ .

(٤٦) حديث متواتر متفق عليه بين أئمة أهل الحديث . اللؤلؤ والمرجان ٦،٥ صحيح الجامع الصغير ١ : ٤٣٤ رقم ١٣٦٦ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ج١ برقم ٤٠٧ .

(٤٧) ضعيف ، اخرجه الدارقطنى ١ : ٣٤٥ ، شرح السنــة للبغــوى ١٠ : ١٧٥ ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ، ٣٣٧ .

(٤٨) الغيلة : هى الخيانة ، والخديعة ، والاحتيال فى القتل . لســان العرب المحيط ٢ : ١٠٣٨ ، والمثلة : سبق التعريف بها ص .

(٤٩) هكذا فى الاصل ، والصحيح (الجزئية) .

الرعية ، ولؤم المقدرة والاسراف فى المعاقبة ، واذا دعته قدرته الى ظلم عباد الله فليذكر قدرة الله . حيث يفارق ما هو فيه ويتعرى مما هو بسببيله . ويرد على ما مهد لنفسه ، وقدم لها أيام مهلته فعسى أن يكون قريبا .
وقد أغلظ الله الوعيد على قاتل النفس المؤمنة بغير حقها فقال(٧٨/أ) :(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمـــا) (٥٠) .

فهذا ما أوجب الله فى الدين من قتال الاعداء والمخالفين وقتلهم ، وقتل أهل الجنايات وتأديبهم ، فاذا حقت الكلمة ، وظهرت العداوة ، وجب فى السياسة والشريعة منابذة بعض المخالفيــن أو مناجزتهم ، فالوجــهأن يستعمل فيها ويستعان عليها بخصال عشر من خصال السياسة وتدابيــر المناجزة والمقارعــة :

خصال تدبيــر الاعــداء :

أولها : المداراة والمسالمة وعرض السلم والصلح على العدو ماوجـــد الى ذلك سبيلا ولم يخف أن يزداد العدو بالمطاولة وفورا وقوة وعــددا وعدة ، ويهتدى الى ما لم يهتد اليه من خديعة ومكيدة ، فقد قدمنا أن ذلك من أدب الله ــجل وعزــ الذى أدب به نبيه ، وآياته التى أقامها فى خلقه، وأن فى المناجزة الخطار بالاملاك والمهج والابدان والقنيان (٥١) ، وممـا منها الا مضنون به ، ومشحوح (٥٢) عليه فى العقل والدين ، والـــى حمايتها

---

(٥٠) ٤ / النساء : مدنيــة / ٩٣ .
(٥١) القنيان : سبق التعريف بها ص ٣٢٣ هامش رقم ٢ .
(٥٢) مشحوح : من الشح وهو حرص النفس على ما ملكت وبخلها به . لسان العرب المحيط ٢ : ٢٧٦ .

ما يسعى العقلاء ، والى صيانتها ما يجرى الملوك • فما وجد الملك الـــى (توفيرها) (٥٣) ومنعها سبيلا،والى فداء بعضها ببعض طريقا فالوجه فيهأن يفعـــك •

ثم لا يجوز للعاقل أن يخاطر بشىء حتى يتيقن أن ما يخاطر له أجل مما يخاطر به ، ولا يقدم على المحاربة والمقاتلة حتى يكون فى أكثر رأيه أنه ان قاتك أو قتك نالٰ به احدى الثلاث من المحامـــد والمحاب أو عامتهـــا أو أكثرها ، وانتفى به من أضدادها من المكاره والمثالب : ــ

أولها ، ثواب الله الذى أعده الله لاوليائـــه •

والثانية : تحصيل الملك الذى هو أجل مراتب الدنيا وأعلاها درجة ، الملك الذى هو مدبره وسائسه وحاميه وحارسه عليه ، وان تركه زال عنه كله ، وقل طمعه فى مثله •

والثالثة : محمدة تبقى على غابر الايام يحيا بها ذكره ، ويطيب بهـــا بعد فنائه نشره ، وان تركها خاف لزوم عار ، وبقاء شنـــار فى الاخـــلاف والاعقاب ، فان الله ــ جل وعز ــ لما قرر فى أنفس المتدينين أن عيش الجنة ، ونعيم الابد أفضل من نعيم الامد أضعافا لا يحصيها الا الله حثهم علـــى الجود بأنفسهم وأموالهم فى جنب ما يأملونه من عظيم ثواب الله الـــذى أعده لاوليائه (٧٨/ب) وأهل طاعته ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلـــون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن) (٥٤) •

وكذلك القولٰ فى اصطفاء المحامد ، واقتناء المادح ، وحسن الذكر ،

---

(٥٣) هكذا فى الاصل ، والصحيح (توقيهـــا) •
(٥٤) ٩ / التوبة : مدنية / ١١١

وطيب النشر ، فقد قدمنا من رغبة أولى العزم من رسل الله ، وأنبيائه عليهم السلام ، وذوى الفضل من أوليائه فيه بعد رفضهم الدنيا واستخفافهم بزخرفها وزبرجها [٥٥] ، واحتقارهم لما فيها .

وكذلك (بقاء العار لشىء) [٥٦] لم يزل أنفس الكرام تتعافاه ، وطبائع الفضلاء تأباه ، وذوو الهمم البعيدة والانفس القوية ينفرون عنه ، ويحتالون فى غسل أنفسهم منه ، (ويجروا) [٥٧] من العقل والحزم والكرم والفضل أن لا يشتروا حياة سريعة الفناء بعار طويل البقاء ، ولذة وشيكة الانقضاء بقبح أحدوثة تذكر على غابر الايام وباقى الدهور والاعوام .

ولقد أوجز العبارة عنه الحسن البصرى حيث قال : «انما أنت أحاديث فان استطعت أن تكون حديثا حسنا فافعل» [٥٨] وأحسن أرسطاطاليس فى مواعظه للاسكندر حيث قال : «واعمل على أنهم فى عقبك ، وأن مديحهم أطول عمرا منك» .

وقد قال فى ذلك بعض الجلة من الملوك :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا

على قضاء الله ما كان جالبا [٥٩]

(٥٥) زبرجها : زينتها وحسنها . لسان العرب المحيط ٢ : ٨٦٧ .

(٥٦) هكذا بالاصل ، والصواب (نفيا للعار الذى)

(٥٧) هكذا فى الاصل ، والصحيح (يجدون) .

(٥٨) ورد منسوبا الى بزرجمهر حينما قدم للقتل . المحاسن والمساوىء ١ : ١٤٥ .

(٥٩) قاله سعد بن ناشب ، شاعر من بنى العنبر بالبصرة ، مات نحو ١١٠ هـ . الاعلام ٣ : ١٣٩ ، والشعر والشعراء ٧٠٠ ، والامثال لابى عبيد القاسم ١١٧ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٦٧ — ٧٤ وعيون الاخبار ١ : ١٨٧ ، والعقد الفريد ٣ : ١٤ ط لجنة التاليف والنشر والخزانة ٣ : ٤٤٤ ط بولاق ، وفصل المقال ١٧٤ ، والتذكرة السعيدية ٦٠ .

وقد قال بعض المفرطين فيه وهو الليث بن رافع بن الليث بن نصر بـن سنـان (٦٠)

نار ولا عـــار فكـــن سـيدا

فــر مـن العـار الـى النـار

وقد قال فيه الحسين بن على — رضى الله عنه — فأنصف وأتى بما يشـــبهه .

المـوت خير مـن ركـوب العـار

والعار خيـر من دخول النـار (٦١)

وقال الزبير بن العوام حين ولى عن أمير المؤمنين «علـى» بعـد مناظرته اياه وقيام الحجة عليـه :

ترك الامور التى يخشـى عواقبهـا

لله أروح فى دنيـا وفى ديـن (٦٢)

آثرت عـارا علـى نـار مؤججـة

أنـى يقـوم لهـا خلق مـن طيـن

وهذا هو حد الانصاف فى هذا الباب ، اذ ليس ينبغـى أن يكـون شىء أشد على (٧٩/أ) المتدين الموقن من عذاب النار ، ثم لا يكون شىء

---

(٦٠) هو الليث بن رافع بن نصر بن بسار ، وقيل : الليث بن المظفـر بن نصر بن يسار ، كان من أكتب الناس فى زمانه بصيرا بالشعر والغريب والنحو بارعا فى الادب ، وكان كتابا للبرامكة ، وتقرب اليه الخليل بن أحمد فكتب له كتابه «العـين» واهداه له . طبقات الشعراء ٩٧ معجم الادباء ٦ : ٢٢٢ ، ونزهة الالبـاء ٤٥ .

(٦١) البيان والتبيين ٣ : ٢٧٨ ، وادب الدنيا والدين ١٤٥ نسبا البيت الى الحسن بن على وفى نثر الدر للابى ١ : ٣٣٧ الى الحسين بن علـى .

(٦٢) ورد البيت الاول فى حلية الاولياء ١ : ٩١ ، وسير أعلام النبلاء ١ : ٦٠

من مصائب الدنيا عليه أشد من ركوب العار ، ولا يحتمل العار فى موضع من المواضع ولشىء من الاشياء الا عند مخافة عذاب النار ، وما أقبح ما هجا به من يقـــــول :

وكنـــت اذا حللت بـــدار قـــــوم

رحلـــت بخزية وتركـــت عـــارا (٦٣)

والشعر الحسن والحديث الجيد فى هذا الباب كثير ، وفيما ذكرنا ما يبين عن الغرض ، ويوضح عن محض الحـــق .

الوعـــــد والوعيـــــد :

والثانية : تقديم الوعيد والايعاد ، والتحذيـــر والانذار ، واقامـــة الحجة وابلاغ المعذرة ، فقد ذكرنا أن ذلك من أدب الله الذى أدب بـــه عباده ، وسننه التى استعملها فيهم ، فانه بعد ما ابتداهم به من الافضال والانعام والمنن الجسام ، ودعاهم الى ما هو أكثر منه وأفضـــل وأبقى وأجزل ، ثم أراهم دلائله ، وأحضرهم شواهده ، وحذرهم ، وأنذرهم ، ووعدهم ، وأوعدهم بالكتب الواضحة ، والاعلام اللائحة ، والانبيـــاء والمرسلين ، والائمة الراشدين المهديين ثم أمهلهم المدة التى يمكن فيهـــا التذكير والتفكير ، وتنقطع فيها مواد المعاذير كما ذكر ـــجل وعزـــ مـــن ذلك فى كتابه حيث يقول : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقـــى معاذيره) (٦٤) ، وقال : : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقـــت ، والـــى

---

(٦٣) هو لجرير بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠ هـ ، وورد البيـــت فى قصيدته الرائية فى ديوانه المطبوع بمصر ١٢٧:١ — ١٢٩ ، ولباب الاداب ٣٧ ، وتحفة الادباء ٣ : ١٩٥ ، ومفيد العلوم ومبيد الهموم ١٣٧ .

(٦٤) ٧٥ / القيامة : مكيـــة / ١٤ ، ١٥ .

السمـــاء كيف رفعت ، والى الجبـــال كيفة نصبت ، والى الارض كيـــف سطحت) [٦٥] ، فى آيات كثيرة ذكرهم بها ما يلزمهم من حجج العقول التى ان فكروا فيها ، عرفوا الله،وأوجبوا شكره عليهم ، ثم قال : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [٦٦] وقال : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن يذل ونخزى) [٦٧] . وقال : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) [٦٨] .

فقطع من جميع الوجوه عذرهم ، وألزمهم فى كل ذلك وزرهم .

ثم قال النبى ﷺ : (أن الله بعثنى بين يدى الساعة رحمة لمن تبعنى ، وحجة على من خالفنى) [٦٩] .

ثم ان ذلك لم يزل من عادة الملوك الحزمة والائمة الكملة ، فكم مـــن جيش مجتمع قد شتت جمعهم ظهور الحجة عليهم ، وفرق بين نياتهم ، وعزائمهم انقلاب الدلائل عليهم ، وأضعف منتهم [٧٠] بيان باطلهم لهم ، وكم (٧٩/ب) من خطيب مصقع وبليغ مفوه صور الباطل عند أصحابه فى

---

(٦٥) ٨٨ / الغاشية : مكـــة / من ١٧ الى ٢٠ .
(٦٦) ٤ / النساء : مدنية / ١٦٥ .
(٦٧) ٢٠ / طه : مكـــة / ١٣٤ فى الاصل : لـــو .
(٦٨) ٣٥ / فاطر : مكـــة / ٣٧ .
(٦٩) صحيح عن ابن عمر ، أخرجه أحمد بن حنبـــل والطبرانـــى بلفظ «بعثت بين يدى الساعة بالسيف ، حتى يعبد اللـــه تعالى وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمـــرى » صحيح الجامع الصغير ٣ : ٨ رقم ٢٨٢٨ .
(٧٠) المنة (بضم الميم) : القوه . مختار الصحـــاح : ٦٣٦ .

صورة الحق وأراهم الشبهة فى لباس الحجة ، فاستغواهم به حتى قاتلوا وقتلوا ، وهم عند أنفسهم محقون ، فكان فيه هلاكهـم ولذلك مـا قـال أرسطاطاليس للاسكندر : «اذكر احتجاجك عليهم من كتبك ، ودع من كتبهم ما يجب ستره من العامـة » .

رقال الله تبارك وتعالى : (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال)[٧١]

ولن يؤيد صاحب جيش وقائد عسكر بصائر أصحابه ولن يقوى منهم بشىء هو أحرى وأولى ببلوغ الغاية منهم ، من أن يريهم أن حجة الله معهم ويقرر عندهم أنهم ان قتلوا أجروا وأثيبوا ، وان قتلوا انقلبوا الى خير مما بهم منقلبا ، وأحسن مما يؤملونه مكتسبا . وكذلك فعل أمير المؤمنين (على) [٧٢] فىحروبه ووقائعه،فما فرق بين طلحة والزبيروبين عسكرهماالا بالحجة والمناظرة ، وكذلك فعل بالخوارج حتى خالف بين كلمتهم ، وفرق بين آرائهم ، وشتت بين المجتمع من أهوائهم وغلبهم . ومن جهتها احتال معاوية حين أحس من أصحابه بالوهن والضعف حيث رفع المصاحف على أطراف القنا [٧٣] ودعا الى كتاب الله الذى كان يدعى اليه فيأبى ؛ وهـذا باب لو أخذنا نتتبع ما يحضرنا منه لطال الكتـاب .

اليقظـــة :

والثالثة هى استعمال اليقظة ، وترك التناوم والغفلة والاشتغـال بشىء من اللذات والملاهى والملاعب والمطارب مالم يفرغ من الحـرب ،

---

(٧١) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .

(٧٢) (على) ساقطة مـن الاصل .

(٧٣) القنا : جمع قناة وهي الرمح . مختار الصحاح ٥٥٤ .

ويشغله من هذه الامور ، ولا يرضى حتى يجعل على العدو فى كل أحوالــه عيونا راقبة ، وآذانا واعية ، فانه يجمع بذلك خصالا جليلــة هى أزمــة تدابير الحروب : منها أن يطلع على ما يحدثه العدو من مكيدة أو يضمره من خديعة أو يجمعه من مباتة ، فيأخذ من ذلك حذره ، ويعد له عدته فلا ينال منه غرة ، ولا يصاب منه غفلة ، فيهلــك .

ومنها ، أن ينتهز الفرصة ، ويراقب منهم النهزة ، فان ذلك أبلــغ ما يستعمله المحارب فى حروبه ، «فان الفرص تمرمر السحاب» [٧٤] وقل ما فات منها فائت فأدرك على غابر الايام ، ورب من ضيع شيئا فمات عليه حسرة .

وفى كتب الاولين : من استمكن من الجسيم فأضاعه لم ينله بعد . ومن طلب فرصة فأمكنته فتركها فاته العمل ولم ترجع اليه الفرصة .

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : «افترص (٨٠/أ) من عدوك الفرصة واعلم على أن الدنيا دول » [٧٥] .

ومن بليغ الهجاء قول القائــل :

وعاجــز الرأى مضيــاع لفرصتــه
حتى اذا فات أمر عاتب القــدرا [٧٦]

(٧٤) من حكم الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه . نهــج البلاغــة ٢ : ١٨٧ العقد الفريد ١ : ٧١ ، نهاية الارب ٦ : ٤٧ ، بهجة المجالس ٢ : ١٨٧

(٧٥) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٨ ، ولباب الاداب ٦٣ ، ٦٤ مع اختلاف يسير ، وفى السياسة فى تدبير الرئاسة ١٥ بلفظ : « وتأمل أحوال العدو ، فحيث رأيت خللا فاجعل الصدمة فيه » .

(٧٦) نسبه ابن قتيبة الى الرياشى . عيون الاخبار ١ : ٣٤ ، ٢ : ١٤١ وأورده الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٣٥ والماوردى فى قوانين الوزارة ١٥٣ وادب الدنيا والدين ٨٩ دون نسبة

منها ، أن يقف على عدد العدو وعدته وآلته التى يحذق باستعمالها فى حروبه من رمى أو طعن أو ضرب أو هذ (٧٧) فانما هى جماع آلات الحروب .

فمن العدو من الغالب عليه الرمى بالنشاب ، ومنهم من الغالب عليه الطعن بالرماح والرايات والمزاريق والزوبينات (٧٨) ومنهم الغالب عليه الضرب بالسيوف . ومنهم من الغالب عليه الكسر والهد بالعصى والاحجار، وهو الامر الطبيعى الذى ربما يستعمله كثير من حرس الحيوان والناس فى كثير من الاحياء والبلدان .

ومنها أن يقف على رسوم العدو فى وقائعهم ، فمن الاعداء من رسمه فى ذلك المغالبة بحمله أو حملتين وثلاث ثم يولى اذا لم ينفذ له ما يريد ، ومنهم من يغلب بالثبات والصبر على المكان حتى يعيا عدوه بكثرة الحملات ويتعب بالحركات ثم يحمل عليه وادعا مستريحا . ومنهم من يفعل ذلك بالكمين والغدر وصنوف المعانى التى يخرجها والبدع التى يبتدعها فى الحرب ، والكراديس (٧٩) التى يقيمها ، والمصافات التى يصفها ، فاذا وقف صاحب الجيش على ذلك من عدوه ، أعد لكل باب من ذلك عدته ، وأخذ له أهبته ، وتهيأ له أن يبتدع عليه عند الوقعة بدعة لعله لا يعرفها فيكون ذلك أحد أسباب الغلبة ، فان القليل من البدعة يدهش ، ويحير ، ويرعب ويهول .

---

(٧٧) الهذ : القطع السريع . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ .

(٧٨) الزوبنات : نوع من الرماح القصيرة كالمزارق . لسان العرب (المعارف) . هامش ١٨٩٤ .

(٧٩) الكرادبس : مجموعات كبرة من الخيل لسان العرب «المعارف» ٣٨٥٠ .

بلغنا أن ملوك الاعاجم كانت سيرتهم أو سيرة عامتهم ، اذا دهمهم أمر جليل ، وظهر لهم عدو قوى ، أمروا بالموائد التى كانت توضـــع لهم فترفع وظائفها ، واقتصرت على مائدة ويحضر ثلاثة : الموبذان ، ومؤبذ (والدبيريدبدو) [٨٠] وزير الحرب ، ولا يوضع عليها الا الخبـــز والبقـــل والخل والملح فيأكل منه شيئا ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بالبرماورد [٨١] فيأكل منه شيئا ، ثم ترفع المـــائدة ، ويشتغل الملك بتدبير حربه ، وتجهيز سراياه وجنوده ، فلا يزال هذا حاله حتى يفتح عليه ويرتق فتقه ويأتيـــه من النصر ما يحبه ، فاذا أتاه ذلك أمر باعادة الموائد الى حالتها ، والمراتب عليها على ما كانت عليه [٨٢] ، وكانوا يقولون . « من حق النعمة ان يرى أثرها ويؤدى شكرها »[٨٣] .

وكذلك حكى عن غير واحد (٨٠/ب) من الملوك الاسلاميين : فحكى عن معاوية أنه كان يقول : ما ذقت أيام صفين لحما ولا شحما ، ولا حلـــوا ولا حامضا ، ما كان الا الخبز والجبن وجريش الملح [٨٤] حتـــى نصر الله وليه وخذل عـــدوه .

وكذلك حكى عن مروان بن محمد أنه أقام ثلاثين شهرا لا يطأ جارية حتى قتل ، وكان اذا استهدفت له جارية يقول : اليك عنى فوالله لا دنـــت منى ، ولا حللت لها عقدا ، وخراسان ترجف بنصر بن سيار وأبو مجرم[٨٥]

---

(٨٠) الدبيريدبو : وزير الحـــرب « كما فسرها المؤلف » .

(٨١) البرماورد : هكذا فى الاصل ، والصحيح (البزماورد) وهو طعـــام من البيض واللحم (معرب) لسان العرب (المعارف) : هامش ٤١٢٩ .

(٨٢) النص فى التاج لاخلاق الملوك ١٧٤ مع اختلاف يسير .

(٨٣) التاج فى اخـــلاق الملوك ١٧٤ .

(٨٤) نفس المصدر ١٨٤

(٨٥) أبو مجرم : هكذا بالاصل ، ويبدو انه يقصد أبا مسلم الخراسانى داعية العباسيين .

قد أخذ منه بالمخنق [٨٦] .

ولذلك ما قالوا : ان الحزم بيت قالته العرب قول القائل : [٨٧]

قـوم اذا حاربوا شدوا مآزرهـم
دون النساء ولو باتـت بأطهار [٨٨]

تعهـد العسكـر :

والرابعة : هى أن يتعهد أمر عسكره فى الحل والترحال والانهاض والانزال ، ومن محكم التدبير فى ذلك أن لا ينزل عسكـره الا فى أحصن المواقع وأوثقها، وأخفها لمؤنهم وأرفقها بهم فى نقل العلوفة والماء والسقى والاستسقاء، وأنزهها بقعة وأوسعها رقعة،فان لكل شىءمن هذه المعانى نفعا بينا، وعوناظاهرا،فان لم يتفق هذا فأحصنها وأرفقها بهم فى ابتياع حوائجهم ووجود مالا بدلهم منه من مرافقهم ، فان لم يتفق فأرفقها بهم ، فان الملك الشهم حصن ما لا حصن له،وفى تفـرق الجيوش فى طلـب الحوائـج واضطرارهم اليها شق عظيم ، وضرر جسيم ، فاذا دبر ذلك فالتدبيـر فى انزال العسكر أن يتعهد منه خلالا عـدة .

منها ، أن لا ينزل منزلا ولا ينيخ [٨٩] بمعسكر حتى يعرف طرفيه ومناهجه وسبله ومبايته كلها حتى لا يخفى عليه شىء منهـا .

---

(٨٦) نفس المصدر (التاج) ١٧٥ .

(٨٧) القائل هو الاخطل : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ، ويكنى أبا مالك ، شاعر فى شعره ابداع ، اشتهر بمدح ملوك بنى امية ، توفى ٩٠هـ . الاغانى ٨ : ٢٨٠ ،والشعر والشعراء ١ : ٤٩ ، خزانة الادب ٢ : ٤٥٩ .

(٨٨) البيت فى التاج ١٧٥ ، وآثار الاول ١٧٤ ، والبيت للاخطل يمـدح يزيد بن معاوية لما منع قطع لسانه ، والاغانى ١٥ : ١٠٦ ، والمستطرف ١ :٢٥٦

(٨٩) ينيخ : من الاستناخة للابل بمعنـى ابراكها ، ومنها النوخـة أى الاقامة . لسان العرب (المعارف) : ٤٥٧١ والمختار الصحاح : ٦٨٤ والمصباح المنيـر : ٢ : ٦٢٩ .

والثانية ، أن يأمر بضرب أخبيتهم [٩٠] وفساطيطهم [٩١] متلاصقة متدانية متشابكة الاطناب والاوتاد ، ويصفها صفا يشبه تشكله شكل مدينة مجتمعة البنيان عامرة السور والحيطان ، وأوثقها أن تكون مدورة الشكل أو ما يقرب من الدائرة ، ويجعل أبوابها أقل ما يحتمل حال ذلك العسكر فى مقداره وعدده من واحد أو اثنين أو ثلاثة أو اربعة منها ، واليها يخرج ويدخل من أراد الدخول والخروج .

والثالثة : أن يقيم لها سوقا يجـدون فيه عامة مالابد لهم منـه من مرافقهم وحوائجهم ، ويتقدم اليهم فى انصاف أهل السوق ، وتحقيق معاملتهم ، وينهى عـن (معاشرتهم) [٩٢] ومضايقتهم والحيف عليهـم فى المعاملة والمبايعة ليرغب فيه (٨١/أ) أهل الصناعه فيعمر سوقهم ، ويكون للعسكر فيه رفق كثير وخير عظيـم .

والرابعة : أن يرتب على كل باب من أبواب المعسكر قائدا جلـدا ، ورجلا شهما ، يكون فى عدة من أصحابه أو جماعة لهم شوكة تكون حفظة الابواب والموكلين بعهدها وضبطهـا .

وخامسة : أن يأمر بحفر خندق يحيط بمعسكره أو على (أبوابها) [٩٣] على مقدار ما يوجبه الحال من الاحتياط ، ولا سيما اذا كان العدو قريبا والمقام طويـلا .

---

(٩٠) أخبيتهم : مفردها (خابية) وهى كل ما يختبىء فيه الانسان ويستتر مختار الصحـاح : ١٦٧ .

(٩١) فساطيطهم : مفردها (فسطاط) وهى بيت من الشعر . المصباح المنـير ٢ : ٤٧٢ ، ومختار الصحاح : ٥٠٣ .

(٩٢) هكذا فى الاصل ، والصحيح (معاسرتهم) أى سوء معاملتهم .

(٩٣) هكذا فى الاصل ، والاولى (أبوابه) لان الضمير يعود على (المعسكر) قبلـه .

وسادسة : وهى أن يتقدم الى أهل معسكره بالتزام الاسلحة فى كل حال حتى يكونوا كأنهم قد أظلهم العدو ، واضطرهم للمقارعة والمدافعة.

وسابعة : أن يبث طلائعه فى (الطريق) [٩٤] التى يتوهم منها مفاجأة العدو نائيا ودانيا ، ويرسم لذلك غير واحد من جلد أصحابـه ومتيقظهم يتناوبون ويطوفون عليهم ، ويأمرونهم بالتزام الاسلحة وأخذ الاهبة .

وثامنة :هى أن ينزل خاصته الذين يعول على دفاعهم عنه ووزراءه الذين يعتمدون فى الاشارة عليه قريبا منه ، وبحيث ان دعاهم أجابوه وان أرادهم بلغوا اليه ، وجاءوه فى أقرب مدة وأوحى لمعة [٩٥] ، وان فاجأهم أمـر كانوا أقرب الناس منه .

وتاسعة : أن ينهى أهل العسكر من افشاء فسق أو فجور أو شرب أو سكر فان فيه فسادا كثيرا وقد أتينا على ذكر بعضه فيما تقدم من كتابنا وسبق من كلامنا ، وحكينا عن غيرنا ، وخبرنا أن ذلك من علامات البوار والهلاك وأمارات الزوال .

وعاشرة : هى من تمام الحزم فى هذا الباب ، وهى ان لا ينزل الملك حتى ينزل أهل عسكره ، ويطوف حوالى عسكره فيأمر بسـد ما يراه من الخلل ، ورم ما يشاهده من (الثلم) [٩٦] واصلاح ما يجب اصلاحه ، فان لم يقع ذلك منه كذلك . فليوكل الامين الثقة الذى يقوم مقامه ويكـون مكانه ، ويسد مسده من اليقظة والشفقة ، والرأى والشهامة ، والمعرفة

---

(٩٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب (الطـرق) .
(٩٥) أوحى لمعه : اى فى أسرع اشارة خفية . مختار الصحاح : ٧١٣ .
(٩٦) الثلم : بضم الثاء . الخلل . المصباح المنير .

والتجربة وكذلك القول فى الترحال فان مــن تمام الحزم فيه أن يسيرهم على حالة يصلح أن يلقوا فيها العدو ، (ويناجزوا) [٩٧] فيها اللقاء مــن العتاد والعدة ، وأخذ السلاح والاهبة ، ويجعل على مقدمته مــن يصلح أن يكون مقدمته عند اللقاء ويوم الوقعــة .

وكذلك على ساقته (٨١/ب) ويكون بين يديه ووراءه من يصلح أن يكونوا معه فى القلب عند القراع والحرب ، ويكون فى (ابقاء له) [٩٨] عدد بمكنهم الدفع والمنع ان دهمهم أمر أو عرض لهم عارض ، وأن يكون جنده وجماعته متفقة غير مختلفــة ، ومجتمعه غير متفرقة ، وأن يقارب بيــن مراحله ما أمكنه ، فان ذلك أبلــغ فى (جمامهم) [٩٩] ، وأقرب من تقويــة أبدانهم ودوابهم ، وأدل على استخفافهم بعدوهم وأسبه بآداب الله التى أدب بها خلقه ، وأجرى عليه تدبيره ، فهذه خلال من تعهدها رجــوت أن يكون قد أدى حق الحل والترحال فى عسكره ، وأخذ بالثقة والاحتياط لجنده وجماعتــه .

مواضع المقارنــة مــع العــدو :

والخامسة : هو أن يقايس بينه وبين عدوه فى أربعة أشياء قد ذكرها العلماء بالحرب فى مواضع كثيرة من الكتب الحديثة والعتيقة ، وهى المكان والامة ، والعدد ، والعــدة .

أما الامة : فمعناه أن بعض الامم (مــن) [١٠٠] الناس أشجع مــن بعض ، وأكثر ممارسة للحروب ودربة بالوقائع ، وأكثرها ظفرا بمساعدة

---

(٩٧) هكذا فى الاصل ، والاصح (يناجزوه) .

(٩٨) هكذا فى الاصل ، والاولى (اقباله) .

(٩٩) جمامهم : بفتح الجيم ، والميم الاولى . راحتهم . المصباح المنــير ١ : ١١٠ .

(١٠٠) «من» ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها .

الدول فى بعض الزمان ، ولذلك ما حكى فى سير العجم : أن ملوكهم كانوا اذا أنفذوا جيشا الى الهند انفذوا بازاء كل رجلين رجلا ، واذا أنفذوا الى الترك انفذوا بازاء كل رجل رجلا ، واذا أنفذوا الى الديلم انفذوا الى كل رجل رجلين ، فكان مقدار الرجل من الديلم عندهم مقدار أربعة من الهند وقد أمر الله (عزوجل) (١٠١) الرجل من المؤمنين لما تكفل بنصرهم،وامدادهم وتفرد بتأييدهم بأن يخرج الى كل عشرة من المشركين رجل واحد ، فقال : (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) (١٠٢) • ووعدهم النصر والغلبة والظفر على ذلك ،فلما كان من المؤمنين من جزع من ذلك ، وضعف قلبه ، ولم يف بالشرط الــذى شرطه الله عليه من الصبر لقلة جرى العادة به خفف ذلك عنهم ، وأمرهم أن يبرر الى كل رجلين رجل منهم ففعلوا • (ففعل) (١٠٣) وقد كــان مــن المؤمنين من انتصر بالدين وبالنبى ﷺ قبل ذلك وبعده ، فبرز الرجل منهم الى عشرة من المشركين فغلبوا وهزموا ونصروا وانتقموا • وقــد كان فى أول خروج النبى ﷺ واقعة بكر بن وائل (١٠٤) وخيول العجم وهى أربعة آلاف على ما جاءت به الاثار (٨٢/أ) والعجم على ما ذكروا فى هذه الاخبار ستون ألفا فغلبوا وقتلوا « هامون » زعيمهم •

---

(١٠١) الجملة الدعائية (عز وجل) ساقطة من الاصل .

(١٠٢) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .

(١٠٣) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعنى بدونهــا .

(١٠٤) يبدو لنا انها واقعة « ذى قار » وكانت بين الجيش الذى انتذه كسرى أبرويز وبين بكر بن وائل وكان ذلك عند أول الرسول ــ ﷺ ــ وقــال فيها (هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبى نصروا) وفيها انتصرت بكر بن وائل وقتل قائد الفرس «الهامــرز» تاريــخ الطبــرى ٢:١٩٣ ، ٢١٠ ، الكامل ١ : ٢٨٥ ونهاية الارب ١٥ : ٤٣١ .

وكان المسلمون يوم « القادسية » (١٠٥) وهو أعظم يوم كان بين العرب والعجم على ما جاءت به الكتب ثمانون ألفا والعرب اثنى عشر ألفا، وهم أشد الاعداء فغلبوهم وهزموهم وقتلوا « رستم » (١٠٦) ، وكان فى ذلك اليوم ملكهم وزعيمهم ، ، وهم أولوا البأس الشديد الذى ذكر الله فى القرآن على ما جاءت به التفاسيـــر .

فأما الروم فقد اتفق غير مرة أن لقى الفئة القليلة من المؤمنين الفئة الكثيرة منهم فغلبوا وظفروا ، الا أن هذا ليس فى القياس ولا فى العام ، ولكن وعد من الله ــ جل وعز ــ لرسوله وللمؤمنين أنجزه لهم حيث يقول : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولـــو كره المشركون) (١٠٧) . ويقول : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمـــة الله هى العليـــا) (١٠٨) .

وأما المكان فان بعض الامكنة والملاجىء أحصن وأمنع وأصعب من بعض ، وقد اتفق غير مرة أن منع ودفع العدد القليل الجيش العظيم عن أنفسهم بحصانة العقل ووثاقه أركان الموئل من عمارات طبيعية وتكليفية فلم يتهيأ للجيش العظيم فيهم شيء .

---

(١٠٥) القادسية : واقعة بين المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقـــاص ، وبين الفرس بقيادة رستم بن الفرخزاد الارمنى وفيها انتصر المسلمون علـــى الفرس عام ١٤ هجرية . المعارف : ٢٤١ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٤٩٥ ، نهايـــة الارب ١٩ : ١٨٩ / ١٩٤ .

(١٠٦) هو رستم بن فرخزاد ، كان من أعظم رجـــال فارس ، وقائـــد الجيوش يزدجرد ملك ساسان فى وقعة القادسية ، وقد قتل فى هذه الموقعة . نهاية الارب ١٩ : ١٨٩ ، ١٩٤ .

(١٠٧) ٦١ / الصف : مدنية / ٩ ، ٩ / التوبة : مدنية / ٣٣ .

(١٠٨) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٠ .

ولقد بلغني أن (أحد) [١٠٩] أصحاب الجيوش المحدثين في عصرنا هذا نازله العدو وحاذاه في أضعاف عدده ، وكان معسكره يحاذى عين الشمس من مشرقها اذا طلعت ، عسكر عدوه يدابرها ، فأمر صاحبه أن يبادر العدو بتعبئة الجيوش وتحويلهم الى موضع تدابرهم عين الشمس اذا طلعت ، ففعل ذلك ، فاضطر العدو الى التحول عن مكانه ومقابلة قرص الشمس بعيونهم ، ثم ركب وواقف القوم حتى بزغت الشمس في وجوههم ، ثـم حمل عليهم وجالدهم فكان ذلك أحد أسباب ظفره بهم .

وكذلك فقد ظهر غير واحد من العساكر بالمكامن (بأرض) [١١٠] فيها من الكمين ما لم يتهيأ لصاحبه ، فكان ذلك سبب غلبته ، وكان منهم من احتال للسبق الى ماء ونهر كان بينهما فأخذه على العدو فأعطشه ، فكان ذلـك سبب هلاكــه .

فيجب على الملك السائس أن يعرف أمور الامكنة التى يلاقى فيهـا عدوه ، فان الامر فى ذلك عظيم والخطب فيه جليل . فان كان العدو أصعب من مكانه وامنع احتال فى جــذبه عنه واخــراجه منه (بحليلــة) [١١١] أو مكيدة ليصير بحيث يتهيأ له موازاته فى المكان ، فان لم يكن ذلك بالمسارعة فبالمطاولة حتى يضطره بالمجاعة وسد الطرق عنه الى الانقياد للصلــح والسلم والطاعة وبوجوه كثيرة من الحيل . فان لم يكن شىء من ذلك فترك المناجزة خير من ركوب الغرر وتسليم النفس والعسكر للعطب ، والقاء النفس فى التهلكــــة .

---

(١٠٩) (أحد) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها. قارن بدائع الملك فى طبــائع الملك ١:١٦٦ .

(١١٠) (بأرض) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

(١١١) هكذا بالاصل ، والصحيح (بحيلة) .

وأما العدد والعدة : فانه لا يجب أن يقاتل العدد القليل بالعدد الكثير من جنسه وأمته الذى لم تجر العادة أن يغلب مثله بمثلــه

وكذلك لا يجب أن يقاتل العراة العزل الدارعين المستلئميــن (١١٢) الا عند انتهاز فرصة أو مصادفة غرة ، والا كان القتال قتال غرر وتهـور ، ان غلب لم يحمد ولم يشكر ، وان غلب لم يعذر ولم يؤجر ، فان الله قــد نهى عن الالقاء فى التهلكة ، ولم تزل الملوك الحزمة تذم هذه الخلة وتعدها تهورا لا تجلدا ، وتجاهلا لا تيقظا .

وما أحسن ما قال فيه عبد الله بن طاهر حيث يقول :

ركوبــك الهول ما لم تبــد فرصتــه
جهل وأمــــرك بالاقــدام تغريــر

فكن مصبيــا وخذ بالحــزم مأثــرة
فان يــذم لاهــل الحــزم تدبيــر

فــان ظفرت بجهــل ثم فــــزت بــه
قالــوا جهــول أعانتــه المقــاديــر

وان ظفرت بحــزم أو هلكــت بــه
فأنت عند ذوى الالبــاب معــذور

---

(١١٢) المستلئمين : مفردها (مستلئم) اى لبس لامته بمعنى درعه أو ما يتخفى به . المصباح المنير ٢:٥٦٠ .

أنكد بدنيــا ينــال المخطئــون بهــا
حظ المصيبين والمغرور مغرور (١١٣)

فهذه الخلال الاربع التى ذكرنا أنه يجب أن يقايس بها بينه وبيــن عدوه ، ويراقبها من محــاربه .

تحصين الاسرار :

والسادسة : من هذه الخصال تحصين الاسرار من أن يقف العدو منه على مثل ما ذكرنا أنه يجب أن يقف عليها منه . فانه لا شىء أبلغ من تنفيذ الحيل ، وأعون على بلوغ الغرض من كتمان السر، والملوك أحوج الناس الى ذلك ، وأولاهم بالضن به والشح عليه . وقد ذكرنا أن النبى ﷺ كان اذا أراد سفرا ورى بغيره (١١٤) وكان يقول . « استعينواعلــى قضــاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود » (١١٥) ، وقال أرسطاطاليس (ليس) (١١٦) آى ملك جاوز سره وزيره فهو فى حد ضعيفى السوقة .

---

(١١٣) تنسب هذه الابيات لطاهر بن الحسين والد عبد الله — السالف ذكره — المتوفى ٢٠٧ هـ بمدينة مرو ، وهو الذى انتزع بغداد والعراق من يد الامين وقتله وخان المأمون أواخر ايامه وعزم على الخروج عليه وخطب ولم بدع للمأمون فوجد ميتا فى فراشه . وفيات الاعيان ٢٠١:٢ — ٢٠٦ . ونهايـة الارب ٧٧:٦ — ٧٨ .

وأورد الماوردى البيت الاول والثانى فى تسهيــل النظــر ١٢٨ ، ١٢٩] ونسبهما الى طاهر بن الحسين ، وفى البيت الاول «الامر» بدلا من «الهول» كما وردت الابيــات منسوبة اليه ايضا فى تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعى ٢٣٧ ، وفى لباب الاداب ٧٤ غير منسوب .

(١١٤) فيقول مثلا اذا أراد غزوة حنين : كيف طريق نجد ومياهها ومن بها من العدو . زاد الميعاد ٣ : ٩٦ فى صحيح البخارى تحقيق البغاص ١٠٧٨ الحديث رقم ٢٧٨٨ ، كان رسول الله ﷺ كلما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا عدوهــم وأخبرهم بوجهه الذى يريد .

(١١٥) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

(١١٦) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعني بدونها .

وقد ذكرنا ما فى هذه (٨٣/أ) الخلة من الفضل والحزم فيما تقــدم من كتابنــا •

الحيلة قبل القــوة :

والسابعة : أن تقدم الحيلة على القوة فقديما ما قيل : الحيلة أبلغ من القوة ، وهى خاصه الانسان لان الله انما فضله بالعقل ، وخصه بالتمييز ابانة له عن سائر الحيوان المباشر بالابدان من البهائم الراعية والسبــاع الضارية ، فكلما بعد المباغت عن المباشرة من الفتوح كان أروج وأحســن وأهنأ وأزين • وقد قال النبى ﷺ : « الحرب خدعة » [١١٧] وقال أميــر المؤمنين على مهما حدثتكم بشىء عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب على رسول الله ﷺ ومهما حدثتكم بشىء فان الحرب خدعـــة •

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : « لا تطلب الغلبــة بالمباشرة ولكن بالمكايدة واستعمل المكائد فان فتوحها أهنأ الفتوح وأسلمها » [١١٨]

وفى حكم الاولين عن بعض الملوك المتقدمين : « صرعة اللين بالمكــر والحيلة أبلغ من صرعة الشدة بالمكابرة ، كالماء بلينة وبرده يتغلغل الــى عروق الشجر فيضبط أصلها ، والنار بحدتها وحرها لا تحرق الا ما فوق الارض » •

---

(١١٧) حديث صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وأحمد ابن حنبل عن جابر . الجامع الصغير ١٣٩ اللؤلؤ والمرجان ٤٣٧ برقمى ١١٣٤ و١١٣٥ ، والبخارى بحقيق البغا ١١٠٢ الاحاديــث ٢٨٦٤ و ٢٨٦٥ : ٢٨٨٦ ، مسلم ١٧٣٩ — ٢٧٤١ الترمذى رقم ١٦٧٥ ، أبــو داود رقم ٦٢٣٦ ، وجامــع الاصول ٢ : ٢٧٥ رقم ١٠٥٤ •

(١١٨) سر الاسرار ١٥١ مع أختلاف يسير •

وقالوا : النجد اذا اجتهد قتل عشرة والمدبر بحيلته يهلك العسكر بأسره [١١٩] .

وقالوا : وأهدى ملك الروم الى هارون الرشيد هدايا فيها سيوف مكتوب على سيف منها أيها المقاتل احتل تغنم ولا تفكر فى العاقبة فتهزم ، وعلى الثانى : اذا لم يصل سيفك فصله باللقاء خوفك .

رمما وجد فى دفائن الاولين وكنوز الملوك المتقدمين : ثلاث تبطل مع ثلاث : الشدة مع الحيلة ، والعجلة مع التأنى ، والاسراف مع القصد [١٢٠]

قالوا : ووجد حجر مكتوب عليه بالحميرية [١٢١] : أيها الشديد احذر الحيلة ، أيها العجول أحذر التأنى . وقال : وأوصى حكيم ملكا أراد سفرا فقال : «اجعل تأنيك زمام عجلتك ، وحيلتك رسول شدتك ، وعفوك مالك قدرتك » .

قالوا : وكانت ملوك الاعاجم تقول : «ينبغى للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخر حيلة ، فان النفقة فى كل شىء انما هى من الاموال ، والنفقة فى الحروب انما هى من الانفس فان كان للحيل عاقبة محمودة فذلك بسعادة الملك اذ ربح مال ، وحقن دماء جيوشه ، وان اعيت المكايدة والحيل كانت المحاربة من وراء ذلك » وللملوك العجم فى هذا تدبير وتقدم على سائر

---

(١١٩) التمثيل والمحاضرة ١٥٣ بلفظ « المكيدة أبلغ من النجدة»ومحاضرات الادباء ٢ : ٥٧ « المكر ابلغ من النجدة » .

(١٢٠) الحكمة الخالدة ٩ مع تعديل يسير .

(١٢١) الحميرية : لغة حمير ، وحمير اسم ابو ملوك اليمن واليه تنتهى القبيلة ، ولهم الفاظ ولغات تخالف لغات سائر العرب . اللسان لمحيط ٢ : ٧١٦ التاج فى اخلاق الملوك ١٧٦ ، سوك المالك فى تدبير الممالك ١٠٧ مع اختلاف يسير

(٨٣/ب) الملوك ، ولذلك ما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : احذر مكايد الفرس فان الملك فيهم منذ دهر غير قصيـــر •

الرســـل الـــى الاعــداء :

والثامنة : أن يتفقد أمر رسله وكتبه الى العدو فلا يرسل الا مـــن يرضى أن تكون صورته الممثلة عند عدوه ، ولسانه الناطق بحضرته ، فـــلا يختار لرسالته الا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل ، حاضر البديهه ذكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ، ظاهر النصيحة موثوقا بدينـــه وأمانته ، مجربا منه حسن الاستماع والتأدية ، كتوما للاسرار ، عفيفا عن الاطماع ، غير منهمك فى الفواحش والسكر والشرب ، فان كل هذه الخلال عوائد يعود نفعها على الملك والملكة اذا وجدت فى الرسول ، وفى أضدادها ضرر عليها • واختيار الرسل على ما بينا أولا مأخوذ عن الله ـــ جل وعز ـــ لان الله لم يبعث رسولا من الملائكة الا أفضلهم ، ومن الانس الى الفاضل المختار الذى يستجمع عامة هذه الخلال وأضعافها من الفضائل والمناقب • وجملته أن (الله جـــل وعـــز) [١٢٢] لم يبعـــث مهتوكـــا ولا فاسقـــا ولا ضنينا [١٢٣] ولا ماجنا ولا متهما ، بل اختار لكل رسالة أفضل أهل زمانه ، وآمنهم ، وأعفهم ، وأقواهم قلبا ، وأصبرهم نفسا ، وأكرمهم خلقا ، كما أقسم بخلق نبيه فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) [١٢٤] وبذلك جرت السنة من النبى ﷺ فى اختيار الرسل من نخبة أصحابه وبنى عمومته وقرابته •

---

(١٢٢) ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه

(١٢٣) ضنينا : بخيلا • مختار الصحـــاح : ٣٨٥ •

(١٢٤) ٦٨ / القلم : مكية / ٤١ •

وكان للملوك الاولين من العرب والعجم فى هذا الباب استقصاء عجيب ، ونظر دقيق وامتحان كبير ، فقد حكى عن أردشير أنه كان يقول : « كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله ، وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد هزمت ، وحرمة قد انتهكت ، وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه » [١٢٥] وكان يقول : « على الملك اذا وجه رسولا أن يردفه بآخر فان وجه رسولين اتبعهما باثنين ، وان أمكنه أن لا يجمع بين رسولين فى طريق ولا ملاقاة فلا يتعارفان فيتواطآن فعل ، ثم عليه ان أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك فى خير أو شر ، أن لا يحدث فيه حدثا حتى يكتب اليه مع رسول اخر يحكى له كتابا ، أولا ، حرفا حرفا ومعنى ومعنى . فان الرسول ربما حرم ما أمل (٨٤/أ) ، فافتعل على الملك وحرض المرسل على المرسل اليه ، وأغراه به ، وكذب عليه [١٢٦] .

ولقد بلغنا عن الاسكندر أنه وجه رسولا الى بعض ملوك المشرق فجاءه [١٢٧] برسالة شك الاسكندر فى حرف منها فقال له : « ويحك ان أبواب الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد اذ مالت ، وقد جئتنى برسالة صحيحة الالفاظ ، بينة العبارة ، غير أن منها حرفا ينقضها ، أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شاك فيه ؟ » فقال الرسول : « بل على يقين أنه قاله » . فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ، ويعاد الى الملك مع

---

(١٢٥) عهد اردشير ٩١ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، التاج فى اخلاق الملوك ١٢٤ ، وبدائع السلك ٢ : ٨٠ .

(١٢٦) التاج فى أخلاق الملوك ١٢٤ ، ١٢٥ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، عهد اردشير ٩٢ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، صبح الاعشى ١ : ٧٣ .

(١٢٧) فى الاصل : فخباه ، وهو تحريف .

رسول آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له • فلما قرىء على الملك مر بذلك الحرف فأنكره ، فقال للمترجم ، «ضع يدى على هذا الحرف فوضعها ، فأمر بقطع ذلك الحرف بسكينة فقطع • وكتب الى الاسكندر ان أس المملكة صحة فطنة الملك ، وأس الملك صحة لهجة رسوله ، اذ كان عن لسانه ينطق ،والى اذنه يؤدى • وقد قطعت بسكينى مالم يكن من كلامى اذ لم أجد الى قطع لسان رسولك سبيلا» فلما جاء الرسول الى الاسكندر دعا الرسول الاول فقال : « ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكى ؟ فأقر الرسول ان ذلك لتقصير رآه من الموجه اليه • فقال الاسكندر : « فأراك لنفسك سعيت ، لا لنا ، فلما فاتك بعض ما أملت اشعلت نارا فى الانفس الخطيرة الرفيعة ، فأمر بلسانه فنزع من قفاه » [١٢٨] •

وقد كان من الملوك الاولين من كان يرسل على رسله العيون ثم يقابل ما يأتى به العيون ، بما تأتى به الرسل ، فان وجد بينهما خللا عاقب الرسل [١٢٩] •

وهذا باب عظيم نفعه ، كثير ضرره •

الملك والحرب :

والتاسعة : أنه ما وجد الملك الى انفاذ السرية ، وتوجيه جيش يتولى عنه اللقاء ويكفيه الحرب سبيلا فلا ينبغى له أن يلقى حربا بنفسه ، لان كل فائت مع بقاء الملك فى قرار ملكه مرجو تداركه ، وكل ذاهب سواه مؤمل تلافيه •

---

(١٢٨) التاج فى اخلاق الملوك ١٢٥ ، ١٢٦ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٢ ، وبدائع السلك ٢ : ٨١ ، والتبر المسبوك ٨٣ •

(١٢٩) التاج ١٢٤ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، والمحاسن والمساوىء ١ : ١٢٠

ولم تزل هذه العادة من سنن الملوك المتقدمين والانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين • فقد كان النبى ﷺ بعد ما قوى شأنه ، وكثف جمعه وأعوانه ، يعول على هذا الباب ، وكان يبعث رجالا من أصحابه على سرايا معروفة مثل على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد (٨٤/ب) ، وعمرو بن العاص ، وخرج من الدنيا وكان قد أمر أسامة بن زيد [١٣٠] على جيش ، فكان يجود بنفسه عليه السلام ويقول : « أنفذوا جيش أسامة » [١٣١] •

وكذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان رحمهم الله — وباشر أمير المؤمنين على — رحمه الله — الحروب والوقائع بنفسه فلم يتم له ما أراد •

واعتاد ذلك أكثر الملوك والخلفاء من بعدهم فأضر [١٣٢] الافراط فيه بكثير منهم ، وبهذا كان أمير المؤمنين على أشار على عمر — رحمهما الله — حيث استشاره فى المسير الى العدو : « انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك لم يكن للمسلمين طائفة دون أقصى بلادهم وليس بعدك من جمع يرجعون اليه ، ومتى تعلم العجم أنك المتولى لقتالهم بنفسك يكن أشد لشوكتهم ، واحتشادهم طمعا فى أنك ان نكبت لم يكن وراءك غاية ولا للمسلمين فئة » [١٣٣] •

---

(١٣٠) أسامة بن زيد بن حارثة ، ابو محمد ، صحابى جليل ، ولد بمكة ، ونشأ على الاسلام (لان أباه كان من أول الناس اسلاما) وكان الرسول يحبه حبا جما وينظر اليه نظره الى حفيديه الحسن والحسين ، وأمره الرسول ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، ومات سنة ٥٤ هـ . الاستيعاب ١ : ٧٥ — ٧٧، طبقات ابن سعد ٤ : ٦١ — ٧٢ أسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣١) أورده ابن سعد فى طبقاته ٤:٦٧ . وقال ابن الاثير ، ان النبى ﷺ استعمل اسامة على جيش أمره ان يسير الى الشام وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما اشتد المرض برسول الله ﷺ أوصى أن يسير جيش أسامة ، فساروا بعد موته ، اسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣٢) فى الاصل : (فاضطر) .

(١٣٣) نهج البلاغة ١:٣١١ مع اختلاف طفيف .

ولقد كتب أرسطاطاليس بذلك الى الاسكندر : « اياك واللقاء ببدنك فانك ان سلمت كنت مخطئا مخاطرا ، وان ظفر بك كنت قتيل خرق » (١٣٤) وقال : « لا تلق حربا ان قدرت وان ضعف محاربك ، فان لم يتهيأ له ذلك وأعياه كل هذه المقدمات ولم يروجها دون اللقاء ببدنه فوجه الصواب أن يستعين عن اللقاء (بستة خلال) (١٣٥) :

أولها : أن يكون متوكلا على الله ، ومتبرئا اليه من الحول والقوة الا به ، وله أن لا يقاتل الا وهو عند نفسه محق متقرب الى الله متيقن أنه ان فاته جميع ما هو فيه من بدنه وأملاكه وفتيانه فانه يستعيض منه ما هـو أجل منه قدرا وأعظم خطرا ، ويقرر ذلك عند أصحابه عند تحريضهم علـى القتال وحثهم على اللقـاء .

والثانية : تأليف أصحابه وجمع كلمتهم على معاونته بالبذل والاحسان قديما ،والوعد والاطماع حديثا،وتوفير الارزاق والعطايا واقامة الجرايات والوظائف فى الحال ، فان لقاء العدو بقلوب مختلفة وأيد متعادية ، وآراء متباينة ، وأهواء متفرقة صعب شديد ، واغترارا عتيد ، وقل ما يسلم معه جيش ، ويظفر به ملـك .

والثالثة : ان يستعد للقاء بأوفر عدة ، ويتخذ له أتم أهبة ، وأجمع آلة يستعان بها على مثل تلك الحال ، فان أحوال اللقاء تختلف فى المكـان والجنس (٨٥/أ) والوقت على ما بينا منه أطرافا ، فلا يدع شيئا مما فيه الحزم الا جمعه ، واستوثق به ، واحتاط من جهتـه .

---

(١٣٤) لباب الاداب ٦٤ مع اختلاف يسـير .

(١٣٥) هكذا فى الاصل ، والصواب (بسبع خلال) : أولها أن يكـون .

والرابعة : أن يجعل شغله وشغل وزرائه مطالعة الفئتين ومراقبة أحوال الجيش دون الاشتغال بالقتال ببدنه وبالطعان بنفسه ، بل فيما يحدثه العدو من بدعة فى الحرب أو يبدعه من مكيدة أو يلفقه من خديعة أو يجدده من حملة أو يخرجه من كمين من ناحية ، أو يحدث فى عسكره من وهن أو نكساف من نواحى مصافه ، لينتهز من عدوه الفرصة ، ويسد من أنحاره الخلة بالامداد والتأييد ، والتقديم والتأخير ، والتحريض (والتخيير) (١٣٦) من فئة الى فئة ، والاراحة من شدة التعب ودوام النصب فان اشتد القتال وتفاقم الامر ، واحتاج الى تولى ذلك بنفسه ، فالواجب أن يكون قتاله قتال (المحرج) (١٣٧) الذى يعلم أنه أن هرب وأدبر قتل لا محالة وذم وأثم . واذا قتل وصبر ربما غلب وظفر وحمد وأجر ، ويضرب عن ذكر كل ما خلفه من نعمة وقينة ودار ومملكة وأهل وقرابة ، وخدم وحرمة ، ويتوهم أنه فائت بائد ان لم يستفده بالصبر والثبات مستأنفا ثم يتذكر ويذكر أصحابه عند التحريض أن من قتل مدبرا أكثر ممن قتل مقبلا ، وليس الادبار بمنج مما (سبق) (١٣٨) به الاقدار ، ولا الاقبال بمقرب من الاجال ، ويذكر الايات التى أنزلها الله فى هذا الباب مثل قوله : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم) (١٣٩) . وقوله : (أينما تكونوا

(١٣٦) هكذا فى الاصل ، والاولى أن تكون (والتحييز) .
(١٣٧) المحرج : من حرج بمعنى ضاق وتعب واضطر . المصباح المنير ١٢٧ ، ومختار الصحاح : ١٢٩ .
(١٣٨) هكذا فى الاصل ، والاصوب (سبقت) .
(١٣٩) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٤ .

يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) [١٤٠] . وقوله : (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) [١٤١] .

ومثل قول النبى ﷺ : « لثلثمائة ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » [١٤٢] . وقوله : « أكرم الموت الشهادة » ثم الابيات التى تذكر عن أهل القدوة فى الدين والشجاعة مثل أبيات على رضى الله عنه :

أى يومى من الموت أفر

يوم لا يقدر أم يوم قدر

ومثل بيتى معاوية :

كأن الجبان يرى أنه

سيقتل قبل القضاء الاجل

(٨٥/ب) فقد يدرك الحدثان الجبان

ويسلم منها الشجاع البطل [١٤٣]

وأبيات الشجعان والابطال التى ذكرنا شيئا منها فيما تقدم من كتابنا .

ونذكر الايات التى حث الله بها المؤمنين على القتال ، وأوجبه بها عليهم ، وما أوعد به الفار من الزحف مثل قوله : (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) [١٤٤] وقوله : (قاتلوهم يعذبهم الله

---

(١٤٠) ٤ / النساء : مدنية / ٧٨ .
(١٤١) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٦٠ .
(١٤٢) (لثلثمائه) هكذا فى الاصل ، والصواب (لثلاثمائة) .
(١٤٣) عيون الاخبار مجلد ١ / ١٦٥ وكان يتمثل بالبيتين معاوية بن أبى سفيان .
(١٤٤) ٦١ / الصف : مدنية / ٤ .

بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) (١٤٥) فإن في تذكر هذه الآيات في المعارك والمواقف الصعبة تأييـــدا للقلوب علـــى مباشرة القتال ، وضربـــا من الفـــأل ، والفأل تحريك (للجـــدود) (١٤٦) ، وبشارة للنفوس ، وتقوية للقلوب ، وربما خطر ببال الملوك ، وأصحـــاب الجيوش ، وجرى على ألسنتهم في تلك المواقف وغيرها من أوقات المخاوف والاخطار آية أو بيت أو كلام يتطير بها فتنكسر بذلك قلوب السامعيـــن ، وتضعف به منتهم ، ويكون سببا للضعف والخور والخذلان والفشل .ولقد ذكر المدائني أن أبا مسلم صاحب الدعوة بينما هو يسير مع عيسى بـــن موسى (١٤٧) منصرفه الى أبي جعفر المنصور في اليوم الذي قتل فيه ،اذ جرى على لسان عيسى فقـــال :

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضـــت

وما حـــل في أكناف عـــاد وجرهـــم

ومن كان أربى منك عـــزا ومفخـــرا

وانهد بالجيش اللهام العرمرم (١٤٨)

فقال أبو مسلم : ويحك هذا مع الامان الذي أعطيتني ، فحلف عيسى أو اعتق ما يملكه من رقيق ، ان كان هذا الشيء من أمرك وما هو الا خاطر

---

(١٤٥) ٩ / التوبة : مدنية / ١٤ .

(١٤٦) الجدود : الحظوظ . مختار الصحاح : ٩٤ ، المصباح المنير ١ :٩٢

(١٤٧) عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، أبو موسى ، يلقب «شيخ الدولة» ، كان من الولاة القادة وهو ابن اخي السفاح ، مات سنة١٦٧هـ .تاريخ الطبري ٨ : ١٦٧ ،الكامل في التاريخ ٥ : ٦٩ ، دول الاسلام للذهبي ١ : ١١٢ في وفيات ١٦٨ هـ ،وسير أعلام النبلاء ٧ : ٤٣٥ .

(١٤٨) أوردهما الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦ : ٧١ ونسبهما الى صالح عم المنصـــور .

أبداه اسانى . فقال : بئس والله الخاطر ، اذن ، وظن أنه هالك ، وكان على ما ظـــن .

ولقد ذكر أن دعبل بن على الخزاعى (١٤٩) ورد على «محمد بن طاهر بن عبد الله» فطال عليه مجابه ، فجعل يسأل على بابه عن أحواله وأوقاتـــه حتى بلغه أنه يريد التفرغ للهو يوما فى بعض بساتينه وهناك نهى علـــى شفاه مجلسه ، فأخذ بطة وعلق على جناحها رقعة مكتوب فيهـــا :

يـــا أيهـــا الملـــك المسربـــل هيبـــة
لا تأمنـــــن بوائـــق الحدثـــــان
صاح الزمـــان بآل برمـــك صيحـــة
خـــروا لحينهـــا علـــى الاذقـــــان
(٨٦/آ) وثنى عليهم فاستباح حريمهم
وأتى الزمـــان على بنـــى هامـــان
هذا لعمـــرك قد شهـــدت وقوعـــه
والدهـــر رقب عن بنـــى ساســـان

وأرسلها فى الماء ، فأخذت ، وقرئت الرقعة ، فتنغص عليه سروره ، وتمكن ذلك من نفسه فما نسيه حتى حل به ما حل ، وطلب كاتبها فلم يقدر عليه ولا شعر به الا بعد حيـــن .

ولقد أخبرت أن يحيى بن خالد لما قرب زوال دولته رأى فى منامـــه كأن هاتفا يهتف به ويقول :

---

(١٤٩) دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، أبو على ، شاعر هجاء ، أصله من الكوفة ، أقام ببغداد ، له أخبار ، وشعره جيد ، عمر قرابة قرن من الزمان ، مات سنة ٢٤٦ هـ . وفيات الاعيان ٢ : ٣٤ — ٣٨ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ، والشعر والشعراء ٨٥٣ ، طبقات الشعـــراء ٢٦٤ — ٢٦٨ .

وكأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس لـم يسمـر بمكـة سامـر

فأجابه يحيى وهو فى منامـه :

بلى نحن كنـا أهلهـا فأبـادنـا

صروف الليالى والجدود العواثـر

وجعل هذا البيت يتردد على لسانه حتى صار الامر الى ما قال .

وبلغنا أن أبا خالد الاعور لما لقى العرب من جيوش بنى أمية علـى قنطره السرحان ببلخ ، وكان (قدروا)[١٥٠] ما لقيه منهم أربعين ألف فارس من قواد العرب وأنجادها ووجوههم وأعيانهم ، وأبطالهم ، وفرسانهم ، وأبو داود فى عدد قليل فلما (التقيا)[١٥١] الفئتان صـاح منهم صـائح (نحن جميع منتصر) [١٥٢] فسمع ذلك أبو داود فقال مجيبا بما أجاب الله به أهل هذه الدعوة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [١٥٣] . فكان كما قال .

وهذا باب محكم والاخبار فيه كثيرة فيجب على صاحب الجيش أن يتعهده فلا يجرى على لسانه ، ولا يفعل ما يتطير به ، ويتعمد لمـا يتفاءل به ، «فان النبى ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة» [١٥٤] .

ولقد كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر وأكد عليه وأخبره أن الفرس

---

(١٥٠) هكذا فى الاصل ، والصواب (قدر).

(١٥١) هكذا فى الاصل ، والصواب (التقت) .

(١٥٣) ٥٤ / القمر : مدنيـة / ٤٥ .

(١٥٤) أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ٢ : ٣٣٢ والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ٥ : ٤٠ .

أصحاب فأل فاستعمله معهم ، ووصف من ذلك أبوابا عدة وفنونا مذكورة •

والخامسة : أن يراقب حال جيشه ، ويتعهد أمر أصحابه فان رأى منهم لا محالة ضعفا لا يمكن تقويته ، وخورا لا يستطيع تداركه باصلاح أو علتهم هزيمه لا حيلة فى ردها واحتال فى الرجوع سالما • ولا يهلك نفسه لجاجا ، وبعد خروج الامر من اليد ، فان الحرب سجال ، والدنيا ادبار واقبال ، وفى الايام دول والقاء النفس الى التهلكة خطأ ، وكم من ملك غلب ثم غلب ، وظفر به ثم ظفر،وهزم(٨٦/ب)ثم هزم، وليس مع فقد الحياة رجاء الظفر ، ولا مع بقائها يأس من تقلب الاحوال •

والسادسة : هى حسن الظفر ان فتح الله عليه ، وكرم المقدرة ان نصره الله ، وبذل العفو ان غلب ، واستعمال السنة فى أهل القبلة حتى لا يغرق فى اتباع المنهزمين ولا الاجهاز على جرحاهم ان وجدوا ، الا أن يكون كافرا لا يرجى ايمانه ولا يؤمل الخير فى ابقائه ، فان هذا من أدب الله الذى أدب به نبيه ﷺ حيث قال : (خذو العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) [١٥٥] وقال : (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) [١٥٦] • واحتال النبى ﷺ يوم فتح مكة بكل حيلة ليعفو فقال : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» [١٥٧] • ومن على عمه العباس ، وكذلك فعل الخلفاء بمن قدروا عليه حيا ، كفعل أبى بكر

---

(١٥٥) ٧ / الاعراف : مكية / ١٩٩ •

(١٥٦) ٤٧ / محمد : مدنية / ٤ •

(١٥٧) سبق تخريجه ص ٢٦٦ •

رحمه الله بقيس بن معد يكرب حين قوتل على الردة فأخذ ، وكذلك كانت السنة .

وبشر أمير المؤمنين «على» بن جرموز بالنار لما قتل الزبير مدبرا .

وقد قال أرسطاطاليس للاسكندر : (لا تقتل صريعا ولا تطلب منهزما أكثر من ليلة) .

والسابعة : أن يحذر كل الحذر كرة العدو عليه بعد الهزيمة بغدرة أو خبرة أو انتهاز فرصة ، وليجعل حذره من ذلك فى ثلاثة أبواب :

منها - أن لا يفرق جيشه فى اتباع المنهزمين وينفرد عنهم ، أو يبقى فى عدد قليل لا منعة لهم وفيهم .

ومنها - أن لا يدع أصحابه يشتغلون بأخذ الغنائم عن كرة تكون للعدو وساعة الهزيمة ، فانها احدى حيل الملوك وأصحاب الجيوش ، فكثيرا ما سمعنا من أمثال ذلك فى قديم الايام وحديثها أن اشتغل عسكر غالب هازم بأخذ الغنائم فكان فيه هلاكه ، وكم من صاحب جيش احتال بتسليم معسكره وخزائنه العامرة الوافرة وأمواله الجمة الكثيرة الى العدو ، وصب كثيرا مما معه من الصفراء والبيضاء والصوامت [١٥٨] والقيمات المضنون بها على طريق العدو الذى فى أثره ، فكان ذلك سببا لقوته أو ظفره .

ومنها - أن لا يبادر بالنزول ووضع السلاح قبل الامعان بأخذ (الحذر) [١٥٩] من العدو أو قتله أو بعده عنه بعدا لا يخاف كروره عليه وسرعة رجوعه اليه ، واقامة الطلائع على الطرق التى يخاف رجوعه منها (٨٧/أ) .

---

(١٥٨) الصوامت : الذهب والفضة . لسان العرب المحيط ٢ : ٤٧٢ .

(١٥٩) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعني بدونها .

فهذه الخلال (الست)[١٦٠] التى ذكرناها . انها مما يجب أن يستعملها الملك اذا دفع الى القتال بنفسه ، ويتقدم بها الى صاحب جيشه ان تولى عنه الحرب .

ثم العاشرة من التقسيم الاول هى أن بشكر الله — عز وجل — اذ فتح عليه ونصره ، سرا وعلانية ، وفى الخلاء والملأ ، ويفوض الامر كله اليه ويتبرأ من الحول والقوة الا بالله ، ويحمده فى كتبه الى الاولياء والاعداء فان الله عز وجل يقول : (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد)[١٦٠م] . وقديما ما قيل فى الشكور يزاد .

وقال الله : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور)[١٦١] .

على أن ذلك لم يزل من عادة الانبياء والمؤمنين والملوك الاولين عند تجديد الله — عز وجل — لهم الفتوح ، واظهارهم على العدو ، ويشكر أهل البلاء والكفاية والغناء والبسالة من أصحابه وخاصته وعامة أوليائه ويمدحهم فى مغيبهم ومشهدهم ، ويشهر باسم من صدق الوقعة واللقاء ، وبارز الاقران وانكمش [١٦٢] فى القراع ، ويجدد لهم العطايا والجوائز والمبار ورفع المراتب لمن استحقها منهم . فان الله قد أدب بذلك خلقه وحث عليه فى قوله : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا

---

(١٦٠) هكذا فى الاصل ، والصحيح « السبع » .
(١٦٠م) ١٤/ ابراهيم : مكية / ٧ .
(١٦١) ٣٤ / سبأ : مكية / ١٦ .
(١٦٢) انكمش : أسرع وشمر عن ساعده . لسان العرب المحيط ٣ : ٢٩٥ .

كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) [١٦٣] . وقال الله عز وجل :(وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) [١٦٤] . وقال الله فى عام من يتقرب اليه بطاعته أو يعصيه بمعصيته قلت أو كثرت (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) [١٦٥] . وقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) [١٦٦] . وجعل من دلائل حكمته وعدله ورأفته (أن من) [١٦٧] تقرب اليه بطاعته أوجب له جزاءين عاجلا وآجلا ، فالعاجل أن أمر المؤمنين بتعظيمه وتبجيله والثناء عليه والدعاء له وقبول شهادته والصلاة خلفه ثم أمده بتوفيقه وعصمته وتسديده ، وحبب اليه طاعته وبغض اليه معصيته (٨٧/ب) كما ذكر من ذلك فى كتابه حيث خاطب به المطيعين من عباده ، فقال : (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) [١٦٨] فى آيات كثيرة ودلائل حاضرة تشهد بما ذكرنا وتبين عما قلنا .

ثم يتعهد جيوشه بتفقد أحوالهم ، فيأمر بمداواة جرحاهم ، وتمريض مرضاهم ، ودفن قتلاهم ، وابدال ما ينفق من دوابهم ، ويضيع ويفسد من

---

(١٦٣) ٩ / التوبة : مدنية / ١٢٠ ، ١٢١ .
(١٦٤) ٤ / النساء : مدنية / ٩٥ ، ٩٦ .
(١٦٥) ٦ / الانعام : مكية / ١٦٠ .
(١٦٦) ٩٩ / الزلزلة : مدنية / ٧ ، وفى الاصل (ومن) بدلا من (فمن) .
(١٦٧) فى الاصل « من أن » وهو تحريف .
(١٦٨) ٤٩ / الحجرات : مكية / ٧ .

كراعهم وسلاحهم ، ويكفى ويعول ورثة قتلاهم وموتاهم ، فان ذلك ممـــا يحثهم على العود الى مثله من اظهار البلاء والغناء وتحمل المشقة والعناء، والاجتهاد فى التقدم فى المراتب •

فهذه الخلال تمام ما يستعان به على كسر الاعداء واذلالهم ، واعزاز الاولياء وانعاشهم ، وهى كلها من أوامر الله تعالى فى الديـــن ، وأفعـــال الائمة المهديين والخلفاء الراشدين • وبالله نستعين فانه خير موفق ومعين

من البيع والهبة والميراث والعوض من التعاون والتعاضد ، لما علم فى ذلك من فساد (٨٨/أ) العباد وهلاك البلاد .

ومنها ، أشياء خلقها لهم لضرب من ضروب المرافق ، ونوع من أنواع المنافع ، ونهاهم عن أن يعدلوا بها عن جهتها الى غير ما خلقها له ، جهلا بموضع النفع فيه ، ومكان الرفق به ، مثل السموم التى جعلها للادوية ، فربما جعلها بعضهم فى الاغذية وكان فيه هلاكه وهلاك غيره .

ومنها ، أشياء حظرها عليهم اقتصارا بهم على المقدار الذى يكون فيه كفايتهم ، وينسد به خلتهم ، وتنزاح به علتهم ، ثم يكون أرفق بهم وأفرغ لقلوبهم من دواعى البغى والكفران والتعدى والطغيان ، فنهاهم أن يتعدوا أطوارهم وتجاوزوا أقدارهم .

ومنها ، أشياء جعلها لهم فى أول الخلقة لضرب من الاستعمال ونهاهم عن استعمالها فى غيره تأديبا لهم . وتنظيفا كالميته التى حرم عليهم أكلها [٥] وأباح لهم عند أكثر العلماء الانتفاع باهابها [٦] وعظامها ، وجعل لحمها غذاء للسباع الارضية والهوائية من كلاب تحرسهم ، وتصطاد لهم وتؤنسهم ، وسباع جعل لهم فى عظام كثير منها ومرارها وجلودها وبراثنها [٧] وأنيابها مرافق مختلفة . فلم يحرم شيئا منها من جهة الا جعل عنه عوضا هو أنفع منه وأرفق بهم ، ثم أباحه لهم من جهة أخرى ليتم به المنفعة والغرض ، ويستحق به العبد على الطاعة من الله — تبارك

---

(٥) الاجماع لابن المنذر تحقيقنا ص ١٢٥ وفيه:أن ما يقطع من الانعام وهى أحياء ميتة ، ويحرم أكل ذلك ، كما أجمعوا على اباحة الميتة عند الضرورة .

(٦) الاهاب : الجلود . المصباح المنير ١ : ٢٨ .

(٧) براثنها : جمع « برثن » وهو الظفر من صيد كالسباع والطير المصباح المنير ١ : ٤١ .

اسمه ـ العوض • فيجب على العبد اذا علم أن ذلك كذلك أن لا يتعدى حدود الله ، ولا ينتهك محارمه ، فيحرم حظه من العوض دنيا • ويلتزم سمة الجهل دينا ، ويستحق من الله ـ جل وعز ـ العقوبة فى العقبى ، ومن العقلاء من المتدينين الذم فى الاولى •

ثم ان الاشياء تنقسم فى بابى التحليل والتحريم الى ثلاثة أقسام : حرام بين ، وحلال بين ، ومشتبه مكروه •

فأقل ما يجب من حق الله على المرء المسلم أن يتجنب الحرام ، ومن حق الورع أن يتجنب الشبهة ، فمن لم يفعل ذلك طلب فى الشبهة موضع تأويل يتأوله وحجة يعتمدها • ثم ينقسم هذا الباب قسمة ثانية ، وهى أن منها أشياء حرمها الله بالاجماع والاطلاق ، وأشياء أحلها وأباحها بالاتفاق ، وأشياء قد أختلف العلماء فيها • فالواجب على المقر بالله وبالشريعة ، والمعترف بحق التنزيل والديانة أن يجتنب الحرام المطلق بالاتفاق ، وينظر فى موضع الاختلاف ، فمن لم يفعل واقتصر على أحد أقاويل الامة وأئمة أهل الملة كان أوسع طريقا وأقرب الى الحق سبيلا •

ثم جعل الله ـ وله الحمد ـ الى استبانة المشكل واستيضاح المشتبه منها طرقا لائحة ، وسبلا واضحة ، وجعل (٨٨/ب) للهارب من الحرام الى الحلال سبلا معلومة ، وعن كل محرم بدلا يستكن اليه المتدين ، ويقنع به المستخرج •

طبقات الناس :

والناس فى هذا الباب على طبقات ثلاث .

فمنهم ، الناسك الورع الذى يدع كثيرا مما أحل الله له ، ويقنع من الدنيا بالقوت الذى (يزجى) [٨] به يومه ، رغبة عنها وزهدا فيها ، اذ عرفة

---

(٨) مزجى : أى بدفع الايام برفق . مختار الصحاح : ٢٦٩ .

وعاين سرعة زوال ما فى هذه الدار ووشك انتقالها من حال الى حال ، وكثرة غدرها بأهلها : واذلالها لمن أعزها ، وقتلها لمن عمرها ، سموا بهمته البعيدة ونفسه الزكية الى نعيم لا زوال له ، ودار لا انتقال عنها ، فصار فى الدنيا ملكا بطيب الحياة ، وفى الاخرة ملكا بنيل المثوبات والمكرمات وبهذا كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له : «ان أمكنك أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل ، فان من استوعب الحلال كله تاقت نفسه الى الحرام » (٩)

ومنهم : المتهتك بمحارم الله ، الذى لا يفكر فى عاقبة ولا ينظر فى آخرة ، ولا يترفع فى الدنيا عن لؤم الاحدونة وقبح المقالة ، ولا يعتبر بالعقوبات المؤلمة المعجلة ، فمن كانت هذه سبيله وطريقه فبعدا لهم وسحقا

ومنهم : من رغب من الدنيا فى لذة العيش وطيب الحياة ، ومن الاخرة فى نيل الاجر والثواب ، فتوخى فيه الحلال واجتنب الحرام ، وتمتع بالدنيا ، وقام بوظائف الدين ، وأمل أن يكون من الذين آتاهم الله فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ، ومن الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعسى الله أن يتوب عليهم اذا تابوا ، ويغفر لهم اذا أنابوا •

فمن الواجب على الملك العاقل الفاضل اذا عرف ما قلنا : ان لم تطاوعه نفسه على رفض الدنيا حتى يلحق بمنزلة الزهاد الاخيار ، أن لا يرضى بمنزلة الفساق الفجار فيكتسب المآثم ، ويدخل النار فيخسر الدنيا والاخرة ، ذلك هو الخسران المبين •

(٩) نثر الدر للابى ٢ : ١٢٧ ، ١٢٩ .

مدى جواز العمل مـع الملـك الجائــر :

ثم قد اختلف العلماء فى تولى العمل للملك الجائر والسلطان الظالم فحرمه كثير منهم ، وكرهه طائفة ، وأجازه آخرون ، مالم يأمر السلطان العامل بالجور ولم يجبره على الظلم ، فاذا أمره بذلك حرم عليه تولـى عمله الا مضطرا كارها (٨٩/أ) خائفا على نفسه القتـل والضرب الـذى لا صبر له عليه وخالف كثير منهم بين هذه الاعمال فحرم منها بعضـا دون بعض وهو كل عمل يدخل فيه أخذ المال من غير حله ، أو اهراق دم فى غيـر حقه ، أو حبس أوتعذيب وأباحوا الكتابة ، والقضاء ، والحسبة و(الحجابة والهدى) [١٠] وأشباه هذه الاعمال •

واحتج المحرمون بقول الله عز وجل : (لا ينال عهدى الظالمين) [١١] وقوله : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) [١٢] • وبقول النبى ﷺ : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) [١٣] •

قالوا : فكيف يجوز مؤازرته ومعاضدته ، وليس له من الله ولاية ولا عهـــد ؟ •

وقال اخرون : اذا لم يأمره بالمعصية وأباح له الحكم بما أمره بـه فالمستحب له أن يفعل ذلك ليقيم حقا ، ويمضى حكما ، ويرد باطلا ، ويدفع ظلما ، فقد قال الله : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسـكم لا يضركم من

---

(١٠) غير واضحة فى الاصل ، والهدى : هو العمل على النصح والارشاد الى الطريق القويم . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ ، مختار الصحاح ٦٩٢ .

(١١) ٢ / البقرة : من الاية / ١٢٤ .

(١٢) ١٨ / الكهف : من الاية / ٥١ .

(١٣) سبق تخريجه ، انظر ص ٢٥٤ .

ضك اذا اهتديتم) (١٤) . قالوا : ولا قدوة أجل من يوسف النبى ﷺ حيث تقلد العمل من تحت يد الريان بن الوليد وهو كافر ، وقومه كفار ، وهو نبى من الانبياء صلى الله عليهم وأن دلك جائز أو واجبا لما علم فيه صلاحا ، ونوى فيه خيرا . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «ما أحد أعظم أجرا من وزير مع سلطان يأمره بذات الله » (١٥) . فعلى المتقلد أن ينوى الصلاح والخير ، ويأمر بالانصاف والعدل ، ولا يضره التقلد وان كان من يدى ظالم ؛ وقد روى عن النبى ﷺ : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو لامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » (١٦) .

وكره كثير من المسلمين ماأحدثه الملوك من اقامة الحجاب والغلمان شده الحجاب ، وقالوا انه بدعة ودلالة على الخيلاء والتكبر ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من أحب أن يمثل له العبد قياما فليتبوأ مقعده من النار » (١٧) .

---

(١٤) ٥ / المائدة : من الاية / ١٠٥ .

(١٥) ورد هذا الحديث فى «قوانين الوزارة» للماوردى ص ٤٧ هكذا «ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع امام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى» . والحديث ضعيف ، انظر مسند الشهاب للقضاعى بتحقيق الشيخ / حمدى عبد المجيد السلفى ٢ : ٢٤٢٣ ، الحديثان رقما ٨٠٧ ، ٨٠٨ .

(١٦) سبق تخريجه انظر ص ٣٠٧ .

(١٧) حسن ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى عن معاوية . الجامع الصغير ٢٩٥ أبو داود رقم ٥٢٢٩ فى الادب ، باب فى قيام الرجل للرجل ، والترمذى رقم ٢٧٥٦ فى الادب باب ما جاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ، واسناده صحيح نقلا عن جامع الاصول ٦ : ٥٣٦ .

وأحازه آخرون اذا لم يقصد به هذه الاسباب ، وتوقى فيه الاحتياط لدينه والذب عن نفسه وحريمه ، واعزاز مملكة الاسلام سيما عند فساد الزمان وأهله ، وادبار الامور وتهافت الناس فى دور السلطان ، وتحارصهم على (صحبته) [١٨] مرة والغدر به تارة .

الملـــك وشراء العبيـــــد :

(٨٩/ب) ولذلك فلا بأس بشراء العبيد [١٩] لينصر بهم الدين ، ويذب عن حوذة المسلمين من غير ميل الى شهوة ، أو قصد الى محرم ، اذا جعل ذلك من خاصة ماله (فيكون)[٢٠] عبيـــده ، ولا خـــير فى الغلمان المزوقة والباسهم الملابس المكروهة فى الدين من الديباج والحرير الا ما رخص منه فى الوقعة والحرب وعندالطعن والضرب ، فان النبى ﷺ قدحرمهما على رجال أمته الا فى تلك الحـــال .

ثيـــاب الملـــك وســـلاحـــه :

ولا بأس بعد الحرير والديباج بلبس كل ثوب فاخر من الخـــزوز والبرود . وكره كثير من العلماء قياسا على الحرير والديباج كل ثوب نسج من الابريسم [٢١] الخالص ، ورجعوا فى الثياب التى سداها قطن ولحمتها

---

(١٨) فى الاصـــل : صحبتهم .

(١٩) ألاسلام أقر الرق كضرورة وقتية ومعامله للاعداء بالمثل ، وقد حـــرم العالم اليوم الرق مستضيئا بنور الاسلام ومقتبسا من روحه فالاسلام لا يبيـــح الدق وشراء العبيد فى العصر الحديث ، وقد قرر مجمع البحوث الاسلاميةبالازهر عدم وجود رق فى أى جزء من أجزاء العالم يقره الاسلام . راجع رسالتنا للدكتوراه فى مبدأ المساواة فى الاسلام ، دراسة مقارنة ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢٠) هكذا فى الاصل ، والصحيح (فيكونوا) .

(٢١) الابرسيم : نوع من الحرير الخالص . لسان العرب «المعارف» : ٢٥٧ ، المزهر ١ : ٢٨٦ .

ابريسم مثل المسمط [٢٢] والملحم [٢٣] ، وكل ما لم يكن فيه ذب عن الحوزة ومعونة للامة وصيانة للملة ولا عدة للحرب ونصر لمنفعة فيه يثبت المـــال فهو حرام ، الا أن يفعل ذلك السلطان من خاصة ماله أو رزقه فى الديوان .

فأما سائر أنواع العدد والعتاد والسلاح من الطبول والاعلام ومعاون الاسلام فلا بأس به اذا نوى بها الخير الذى ذكرناه ، فقد كان للنبى ﷺ فرسان ونعلان وراية ودرع وسيف محلى وقضيب ورمح وترس [٢٤] وكان لاصحابه سلاح كثير ، وكان لعمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ ولعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة سيوف محـــلاة .

استعمال الاوانى الذهبية والفضيـــة :

وأما استعمال أوانى الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجوهر فان الدين قد حرمها كلها وأوعد النبى ﷺ على الشرب بآنية فضية أو ذهـــب وعيدا غليظا ؛ فلا يجوز للسلطان فى الاسلام ولا لغيره استعمالهـــا أو صرف أمواله وأموال المسلمين وبيت مال المؤمنين اليها فان فيها سرفـــا وتبذيرا ، وقد جعل الله الزجاج النظيف وأنواع الجواهر التى خلقهـــا للالات بدلا من الذهب والفضة اللذين لم يخلقا للاوانى والشرب . علـــى ما فى ذلك من اضاعة الجيوش ، واغفار الجنود ، وفتنة الرعية ، والاجحاف بها ، وكل ذلك ايذان بزوال الملك والملكة ، ودلالة على الخيـــلاء والشره والحرص المذموم فى الدين والعقل ووضع الشىء فى غير موضعـــه .

---

(٢٢) المسمط : هو الخيط ما دام فيه الخرز ، وهو السيور أيضا . مختار الصحـــــاح : ٣١٣ .

(٢٣) الملحم : الثوب الملحوم آى الذى ضم أجزاؤه فنقول : ألحم الناسج الثوب . مختار الصحاح : ٥٩٤ .

(٢٤) أنظر فى ذلك : تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ١٢٩ ـــ ١٣٤ .

على الملـــك اجتناب الفـــواحش :

فأما الفواحش المحرمة (٩٠/أ) فى الدين بالاتفاق والتى يقع فيها قطع النسل وفساد الانساب ، وابطال المواريث والاحساب فالملك أجل حالا وأرفع منزلة من التدنس به والتقذر . بعاره وتسناره [٢٥] ، بل الواجـــب عليه فى جلالة رتبته وشرف همته وعلو منزلته أن لا يخطره بباله فضلا عن تناوله ، وليس يبعث عليه الا الشيطان وسوء العادة التى يتعودها الانسان وقد عوض الله عنه وأبدل منه ما هو أرفع منه ، وأطيب وأحمــد عاقبـــة وأصوب ، وأعمل فى عمارة الدنيا ، وبقاء النسل وخيرة الذكر ، من تزوج النساء مثنى وثلاث ورباع ، واستبدال زوج مكان زوج الى ما لا غايه له ، وشراء الاماء وتسرى الجوارى الى ما تبلغ اليه الطاقة وتنتهى اليه الهمة .

وأما الشرب فقد أجمعت الامه ونطقت الايه بتحريم الخمر [٢٦] ، وهو عند العرب عصير العنب غير المطبوخ ، فلم تختلف الامة أن الله حرمها قليلها وكثيرها ، وحرم السكر من كل شراب لما ذكر الله فيه من أنواع الفساد من وقوع العداوة والبغضاء المؤديين الى خراب العالم وتضييع الصلاة والدين المؤدى الى أليم عذاب الله [٢٧] وشديد عقابه ، نعوذ بالله منـــه . واختلفوا فيما دون السكر مما دون الخمر من الاشربة ، مثل الباذق [٢٨] والنبيذ الزبيبى والتمرى فمنهم من حرم كل مســـكر الجنس ، ومنهم من

---

(٢٥) الشنـــار : العيب والعـــار . لسان العرب المحيط ٢ : ٣٦٧ .

(٢٦) الاجماع لابن المنـــذر ص ١١١ .

(٢٧) فى الاصل : عذاب الىم الله ، ولا يستقيم المعنى بهـــا .

(٢٨) الباذق : ما طبخ من عصير العنب ادنى الطبخ ، وهو مسكر ، **واصله** فارسى . لسان العرب المحيط ١ : ١٨١ .

أباح بعضه دون بعض . ووردت الرخصه والروايات عن النبى ﷺ وأهل القدوة من الصحابة والتابعين والعلماء المتقدمين دلالة وتصريحا فى اباحة بعضه والزبيبى خاصة . فالاحوط فى الدين بكليتها ومجتبتها بجملتها لما يتوقع ميها من الفساد . ومن لم يسلك هذا المسلك فالمختلف فيه أقرب من الحق وأشبه من المتفق على تحريمه .

فيجب على الملك أن لا يختار أفحش المذاهب وأبعدها من الدين .

مدى جواز سماع المزامر والمعازف :

وأما السماع من المزامر والطنابير والمعازف فان الناس قد اختلفوا فيه ، فحرمه كثير منهم ، وتحرج عنه عامة أهل الدين والورع والفضل . قالوا وذلك أنه لهو ولعب وصد عن سبيل الله ، وقد جاء الدين بتحريم هذه الابواب جملة وقد قال الله : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) (٢٩) وقال : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (٣٠) . (٩٠/ب) وقال بعضهم ان ذلك مباح مالم يتغن فيه بكلام قبيح من حث على الزنى أو فاحشة أو كفر أو هجاء ، فان النبى ﷺ سن فى الدف(٣١) سنة عند العرس والزفاف ، ولقن فيه كلاما صدقا ، وهو مشهور بالحجاز ومكة الى يومنا هذا ، وقد كان مباحا بل ومأمورا به فى الشرائع المتقدمة . وعلى لسان داود عليه

---

(٢٩) ٦ / الانعام : مكية / ٧٠ .
(٣٠) ٢٣ / المؤمنون : من الاية ١١٥ .
(٣١) أخرجه الترمذى فى النكاح . باب ما جاء فى اعلان النكاح — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «اعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » ، الحديث رقم ١٠٨٩ ، وجامع الاصول ١١:٤٣٩ برقم ٨٩٧٥ .

الصلاة والسلام على ما جاءت به الروايات ولجلالة حال السماع عند الاوائل وإباحته لهم بما ألفت الفلاسفة فيه كتاب الموسيقى وعنوا به العناية الشديدة ، وأما العرب فقد كانت لهم ضروب من الاغانى فى صدر الامة وقبله وبعده قد عرفت فيما بينهم فلم ينهوا عنه نهيا باتا ، وما ورد بالنهى الفاصل فيه كتاب محكم ولا خبر مجمع عليه . والوجه فيه أن يتحرج من كثير منه ويكتفى من جميع السماع والاغانى بالقرآن فقد روى عن النبى ﷺ : «زينوا القرآن بأصواتكم» [٣٢] وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما أذن الله لشىء عما أذن لنبى يتغنى بالقرآن) [٣٣] .

فان جاوز ذلك فراوية الاشعار العربية وغيرها مما يفيد المعانى الشريفة ويبعث على مكارم الاخلاق من الجود والشجاعة والكرم والسماحة والحلم والعفة والعلم والديانة ، وينتقى منها أجودها وأفصحها وأبلغها وأحكمها وتكون النية فى ذلك استفادتها واستعمالها [٣٤] .

واختلف الناس فيما يستعمله الملوك — فى الملة — من الركوب الى الصيد والصولجان والطبطابة [٣٥] وما أشبهها ، فحرمه قوم وكرهه قوم ،

---

(٣٢) أخرجه أبو داود رقم ١٤٦٨ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة والنسائى ٢ : ١٧٩، ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، واسناده صحيح ، وأخرجه الدارمى ٢: ٤٧٤ ، وأحمد ٤: ٢٨٣، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، وابن ماجه رقم ١٣٤٢ نقلا عن جامع الاصول ٢ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ برقم ٩٠٩ .

(٣٣) فتح البارى ٩: ٦٠ ، ٦١ فى فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن ، مسلم ١ : ٥٤٥ برقم ٧٩٢ فى صلاة المسافرين ، باب استحباب تحسين الصوت ، وأبو داود رقم ١٤٧٣ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة ، والنسائى ٢ : ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، وجامع الاصول ٢: ٤٥٥ برقم ٩١٠ فى آداب التلاوة ، تحسين القراءة والتغنى بها .

(٣٤) أنظر فى هذا الموضوع : نهاية الارب ٤ : ١٣٣ — ١٧٠ .

(٣٥) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . المعجم الوسيط ٢: ٥٥٥ لسان العرب المحيط ٢ : ٥٦٦ .

وزعموا أن ذلك من باب اللعب واللهو ، وفيه حمل على الدواب فوق طاقتها وافناء للعمر فيما لا فائدة فيه ، ولا معنى لـــه •

وأجازه آخرون واختاروا منها ما يخف على الدواب والافـــراس ، وأجازوا الاصطياد على نية الانتفاع والنفع به ودفع ضرر الحيوانـــات المؤذية عن المسلمين ، ورياضة الدواب والابدان بالفروسية للذب عن الملة وحماية الحوزة • قالوا : ولا بأس به اذا قصد هذا القصد ، وذهب الـــى هذا النحو ، وتجنب فيه الافراط ، فقد روى عن النبى ﷺ أنه كان يسابق بناقته العضباء [٣٦] ، وقل ما كانت تسبق •

قالوا : وكانوا يستبقون على الركاب وعلى الخيل وعلى أقدامهـــم • (٩١ / أ) •

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب ــ رحمه الله ــ الى أهـــل حمص أن علموا أولادكم الفروسية والرمى ، واختلفوا بين الاغراض • وروى النزال بن سبرة [٣٧] ، قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب ــ رحمه الله ــ بثلاث : تعلموا الرمى ، واختتنوا ، وارفعوا الازر • وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الملائكـــة لا تحضر شيئا من لهوكـــم الا النضال والرهـــان » [٣٨]

---

(٣٦) اخرجه البخارى ٦ : ٥٥ فى الجهاد ، باب ناقة النبى ﷺ ، وابو داود رقم ٤٨٠٢ فى الادب ، باب فى كراهية الرفعة فى الامور ، والنسائى ٦ : ٢٢٧ فى الخيل ، باب السبق ، جامع الاصول ٥ : ٤٠ رقم ٣٠٣٨ فى السبـــق •

(٣٧) النزال بن سبرة الهلالى ، ذكروه فيمن رأى النبى ﷺ وسمع منه قال ابن عبد البر : ولا أعلم له رواية عن على وابن مسعود ، وهو معروف فى كبار التابعين وفضلائهم الاستيعاب ١٥٢٤ •

(٣٨) لم أقف عليه بلفظه،وقد صح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: لا سبق الا فى خف أو حافر ، أو نصل ، صحيح الجامع الصغير ٦:١٩٢ رقـــم ٧٣٧٤ •

وليس بين هذه الابواب وبينها فرق • وقد كان للنبى ﷺ من المهاجرين والانصار فرسان أشداء مذكورون أبطال مشهورون : كالزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعباس بن مرداس السلمى[٣٩] ، وعبد الله بن رواحة الانصارى [٤٠] ، وكعب بن مالك [٤١] ودونهم ومعلوم ان مثل تلك الفروسية لا يبلغها الانسان الا بالرياضة الكثيرة والعناية الشديدة •

وأما الصيد فأصله مباح ،وهو حلال بالاتفاق مالم تقع فيه نية فاسدة •

فهذه جمل ما أردنا أن نذكره من الخصال التى يشتغل بها الملوك والامراء والرؤساء ، ويولعون بها ويستعملونها ؛ وقد شرحناها ، وبيناها ، وأوضحنا ما يجب أن يقدم فيها من نية صادقة أو يتأول لها من تأويل صحيح •

---

(٣٩) العباس بن مرداس السلمى ، يكنى ابا الفضل ، أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وممن حسن اسلامه منهم ، وكان شاعرا محسنا شجاعا ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية . الاستيعاب ٨١٧-٨٢٠، تهذيب الاسماء واللغات ١/٢ : ٤٩ .

(٤٠) هو عبد الله بن رواحة الثعلبى ، الانصار الخزرجى،يكنى أبا محمد وابا رواحة ، وليس له عقب ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ الا الفتح وما بعدها لانه قتل يوم مؤته شهيدا ،وهو أحد الامراء فى غزوة مؤته. الاستيعاب ٨٩٨ ، حلية الاولياء ١١٨:١ - ١٢١ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٥:١ سير اعلام النبلاء ١ : ٢٣٠-٢٤٢ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢ ، وامتاع الاسماع ٢٧٥ .

(٤١) كعب بن مالك الخزرجى الانصارى السلمى،يكنى ابا عبد الله،شهد العقبة الثانية ، وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الاذى عنه وكان مجودا مطبوعا ، وهو أحد الثلاثة الانصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم ، وعذرهم ، وغفر له ، ونزل القرآن المتلوفى شأنهم ، توفى كعب فى زمن معاوية ، سنة خمسين . الاستيعاب ١٣٢٤:٣،سير أعلام النبلاء ٢ : ٥٢٣ - ٥٣٠ ، العبر ١ : ٥٦ ، وشذرات الذهب ١ : ٥٦ .

خـــاتمـــــة

خـلال الملـوك الاولـيـن والخلفـاء الراشديـن :

ورأينا أن نختم الكتاب بخصال مأثورة وخلال مذكورة عن الملوك الاولين والخلفاء الراشدين والحكماء المتقدمين ، وذوى التجارب والحجى والاحلام والنهى مما مدحوا بها وامتدحوا ، وفاخروا وافتخروا ، وعدوها أعمدة السلطان ، وأركان الدول ، وأساس السياسة ، وجمال الملك والخلافة وان كانت قد دخلت متفرقة فى خلال الابواب التى قد مناهـا .

روينا عن النبى ﷺ أنه قال : «ايما راع بات ليلة واحدة غاشا لرعيته حرمت عليه الجنــــة» (٤٢) .

قالوا : وتخاير غلامان الى الحسن بن على — رضى الله عنهما — فى خط قد كتباه فى لوح ، فقال على تثبت فيه يا بنى ، فانه حكم الله سائلـك عنه يوم القيامــة (٤٣) .

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى بعد كلام له «باشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغنى أنه فشا لك ولاهل بيتك هيئة فى لبـاسك ومركبـك ومطعمـك

---

(٤١) أخرجه احمد فى المسند ٥ : ٢٥ ، ٢٧ والبخارى ومسلم بلفظ « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » . فتح البارى ١٣ : ١١٢ فى الاحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح . ومسلم برقم ١٤٢ فى الايمان ، باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار . جامع الاصول ٤ : ٥٤،٥٣ برقم ٢٠٣١ فيما يجب على الامام والامير .

(٤٣) قارن عيون الاخبار ١:٧٥ ورد فيه « يأتى لمعلم الصبيان يوم القيامة، فان كان عدل بين الغلمان والا أقيم مع الظلمة » وينسبه الى مجاهد .

(٩١/ب) ليس مثلها . فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها فى السمن » (٤٤)

وقال عامل من عمال عمر بن الخطاب له : عظنى ، قال : «أوصيك بتقوى الله ، ودعوتين ترجو احدهما وتخاف الاخرى ، دعوة لهفان تعينه بالسيء فيدعو لك ، ودعوة مظلوم وهى أوشك صعودا الى الله وأسرع كرة، ان الله أمر بالطاعه ، وأعان عليها ، ولم يجعل فى تركها عذرا ، ونهى عن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل فى ركوبها حجة » .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يقول : «والله لولا أنى أنعش سنة أو أميت بدعة لما سرنى أن أعيش فى الدنيا فواقا ، ولو ددت أنى كلما أنعشت سنة أو أمت بدعة أن عضوا من أعضائى سقط » (٤٥) .

قالوا:وكتب عمر الى أبى بكربن محمدبن عمرو بن حزم (٤٦) «أن أنظر كل ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عم فاكتبه . فانى قد خفت دروس العلم وأهله » (٤٧) .

وقال : «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه » (٤٨) .

ورؤى عمر بن العزيز وهو يقول: «اللهم زد محسن أمة محمد احسانا، وأرجع مسيئهم الى التوبة » .

---

(٤٤) البيان والتبيين ٢٩٣:٢ ، نثر الدر للابى ٣١:٢ ، عيون الاخبار ٢٠:١

(٤٥) تاريخ الخلفاء ٢٤٠ ، طبقات ابن سعد ٥ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٨٣ .

(٤٦) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، قاضى المدينة ، ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة حين عزل عمر ، وابقاه عمر والبا عليها . ولد حوالى سنة ٤٠هـ ومات سنة ١٢٠هـ دول الاسلام ١ : ٨٢ ، شذرات الذهب ١ : ٩٧ ، ١٥٧ .

(٤٧) الاموال لابى عبيد القاسم ٥٧٨ ، سنن الدارمى من ١٢٦:١ .

(٤٨) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٧٢ ، حلية الاولياء ٥ : ٢٩٠ .

وقال : « باصبعه اللهم حط من أوزارهم برحمتك » [٤٩] .

قالوا : ووفد عمرو بن أمية الضمرى [٥٠] على النجاشى ، فدخل عليه فقال : انا وجدناك كأنك فى الرقة علينا منا ، وكأنا فى الثقة بك منك ، لانا لم نردك لامر قط الا نلناه ولم نخفك عليه الا أمناه .

قالوا : ووفد وفد على سليمان بن عبد الملك،فدنا متكلمهم فقال:يا أمير المؤمنين انا والله ما أتيناك رغبة ولا رهبة،قال : فما جاء بك؟ لا جاء الله بك، فقال أما الرغبة فقد وصلت الينا فى رحالنا ، وأما الرهبة فقد أمنا ها بعد ذلك ، ولقد حببت الينا الحياة وهونت علينا الموت ، فانا نرجوك لمن نخلف من أعقابنا [٥١] .

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : (من حسن التدبير أن يأمن أهل الورع والسلامة عقوبتك ، ويوطن أهل الريبة والذعارة أنفسهم على نزول نقمتك بهم)[٥٢] ولقد حسن فى هذا المعنى صريع[٥٣] حيث يقول فى يزيد بن مزيد [٥٤] (٩٢/أ) :

---

(٤٩) حلية الاولياء ٥ : ٢٣٩ .

(٥٠) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمرى ، نسبه الى ضمره، صحابى جليل من الشجعان ، عاش أيام الخلفاء الراشدين ، وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته فى لبسالة ، ومات بالمدينة فى خلافة معاوية نحو ٥٥ هـ . تاريخ الطبرى ٢ : ٣٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤٥ — ٥٤٥ ، الاستيعاب ١١٦٢ ، الاعلام ٥ : ٢٣٨ .

(٥١) عيون الاخبار ١ : ١٠٦ .

(٥٢) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٩ مع اختلاف يسير .

(٥٣) هو مسلم بن الوليد الانصارى ، المعروف بصريع الغوانى ،لقبه به الرشيد ، شاعر غزل ومدح الرشيد والبرامكة وغيرهم ، مات سنة ٢٠٨هـ تاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ ، الشعر والشعراء ٨٣٦ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٦ ، الاغانى ١٩ : ٣١ — ٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨ : ٣٦٥ .

(٥٤) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى ، أبو خالد ، من القادة الشجعان الكرماء ، ولى اليمن ، ومات سنة ١٨٥ هـ . تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٤ ، وفيات الاعيان ٥ : ٣٧٠ ترجمة ٧٩١ ، المعارف ٤١٣ ، مرآن الجنان ١ : ٤٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٩ : ٧١ .

الزائديــون قـــوم فى رماحهـــم

خوف المخوف وأمن الخائف الوجل [٥٥]

وفى كليلة ودمنة : «انما يؤتى السلطان من قبل ست : الحرمــان ، والفتنة ، والفظاظة ، والهوى ، والزمان ، والخرق » •

أما الحرمان : فأن يحرم ست خصال أو يعطاها نواقص منها : صلح الوزراء ، والحياة ، والمــال ، والبلد ، والحصون ، والرسل •

وأما الفتنة : فتهيج الاعوان ، وتشعب الجند ، وتحارب الناس •

وأما الفظاظة : فافراط الخشونة بارسال اللسان بالشتم ، واليــد بالبسط فى غير موضعها •

وأما الهوى : فالاغرام بالنساء والشراب والملاهى والصيد ، حتى يستفرغ الفراغ فيه •

وأما الزمان : فما يصيب الناس فيه من السنين ، والموتان ، ونقص الثمرات ، والافات فى الحرث والنسل •

وأما الخرق : فسوء التدبير ، ومعاملة العدو فى حال السلم بالحرب ، وفى حال الحرب بالهدنة ، وأعمال الشدة فى موضع الليــن ، والليــن فى موضع الشــدة (٥٥م) •

وقالوا ان الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يرهب المواثبة ان قرب، والغارة ان بعد والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولى ، والمكــر ان

---

(٥٥) ديوان صريع الغوانى ص ٦٠ وفى الديوان «المخيف» بدلا من «المخوف»

(٥٥م) كليلة ودمنة ترجمة عبد الله المقفع ٧٠ تذكرة ابن حمدون ٤٤٥٤مع اختلاف لفظــي يسير واللبــاب ٤٢ ؛

اتاه وحيدا ، ويكره القتال ما وجد منه بدا ، لان النفقة فيه من الانفس ، والنفقة فى غيره من المـال (٥٦) .

وفيه : اذا كان الملك محصنا لسره ، بعيدا من أن يعرف ما فى نفسه ، متخيرا للوزراء ، مهيبا فى أنفس العامة ، متكافيا بحسن البلاء ، لا يخافه البرىء ولا يأمنه المريب ، مقدرا لما ينفق كان خليقا ببقاء ملكه (٥٧) .

قالوا : وقال الفضل بن سهل (٥٨) : وان كانت رسل الملوك الاطراف اذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافها الى ، فيكون للجوابات ولما معهم من ذلك موضع من ديوانى . وكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم، وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عرفه وجرد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، ولا يبهظ (٥٩) جنده ولا يحرج رعيته ، سهل النوال ، حزن (٦٠) البطال ، فالرجاء والخـوف معقودان فى يده . قلت فكيف حكمه؟ قال : يردع الظالم ويـرد الظلم ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فهم اثنان راض ومغتبط قلت وكيف هيبتهم له ؟ قال : يتصور فى القلوب فتغضى له العيون (٩٢/ب) . قال : فنظر رسـول

---

(٥٦) كليلة ودمنة ١٢٨ ، عيون الاخبار ١ : ١١٢ ، ونهاية الارب ٣ : ٣٥٠ .
(٥٧) كليلة ودمنة ١٢٨ ، ١٢٩ مع اختلاف لفظى طفيف .
(٥٨) فى الاصل : الفضل بن مروان ، وهو خطأ ، لانه وزير المعتصـم ، ومات الفضل ٢٥٠ هـ . بينما الفضل بن سهل ، هو وزير المأمون وصاحب تدبيره ويلقب بذى الرئاستين (الحرب والسياسة) ، وقد ولد فى ١٥٤هـ وقتل سنة ٢٠٢ هـ . انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣٩ ، وسـير أعـلام النبـلاء ١٠ : ٩٩ ، ١٠٠ .
(٥٩) يبهظ : يثقل ويشق عليه . مختار الصحاح : ٦٧ .
(٦٠) حزن : من الغلظة ، وهي خلاف السهولة . المصباح المنير ١ : ١٣٤

الحبشة الى اصغائى اليه واقبالى عليه ، فسأل ترجمانه ما الذى يقــول ؟ قال : يصف ملكهم وسيرته . قال فكلم الترجمان بشىء فقال لى الترجمان انه يسألك أن تصغى اليه ، وتقبل بعينك عليه ليحدثك عن ملكهم ، ففعلت فكلم الترجمان طويلا ، ثم قال الترجمان : انه يقول ان ملكهم ذو أنــاة عند المقدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام [٦١] ، وقد كسا رعيتــه جميل نعمتــه ، وقصد بهم تعنيف عقوبته ، يتراءونه ترائى الهلال جمالا ، ويخافونه مخافة المــوت نكالا ، قد وسعهم عدلا ، وردعهم سوطه وكيله ، ولا تمتهنه مرحة ، ولا تؤنسه غفلة ، اذا أعطى أوسع ، واذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان راج وخائــف ، فلا الراجى خائب الامل ، ولا الخائف يفقد الاجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ فقال : لا ترفع اليه العيون أجفانها ، ولا تتبعه الابصار انسانها كأن رعيته قطا فرقت عليه صقــور .

قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين ، فقال لى : كم قيمة (مقالة) [٦٢] الرجلين عندك ؟ قلت ألفا درهم يا أمير المؤمنين . قال : والله يا فضل ان قيمتها عندى أكثر من الخلافة . أما عرفت حديث أمير المؤمنين على ـ رحمه الله ـ وفيه : كل انسان وما يحسن ؟ أتعرف أحدا يحسن أن يصــف بعض خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هاتين الصفتين ؟ قلت : لا . قــال : فهذان قد أمرت لهما بعشرين ألف دينار ، وأنا مستزيد لهما فاخلع عليهما ، وأجعل العذر سدة بينى وبينهمافلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما

(٦١) الاجترام اى عند معاقبة المجرمين والمذنبين . مختار الصحاح : ١٠٠ .
(٦٢) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونهــا .

ما فى بيت مال الخاصة والعامه دون ما يستحقانـــه [٦٣]

قاله الواقدى [٦٤] : توفى بعض رسل الملوك بدمشق زمن عبد الملك بن مروان ، فوجد فى جيبه لوح من ذهب فيه ثلاثة أسطر : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذ مات الاعتصام عاش الانتقام ، واذا ظهرت الخيانـــات استخفت البركـــات .

وذكر المدائنى أن مما وجد فى كتب الاولين من الخصال التى هـــى أعمدة السلطان هذه الاحرف : ما أزيل الملك بمثل الاهمال ، ولا جوهد بمثل الرأى ، ولا استنبط الرأى بمثل المشاورة ، ولا قل العدو بمثل العدل ، ولا استنزل النصر بمثل الكف ، ولا حصنت النعمة بمثل المواساة (٩٣/أ) ولا كوفىء الاحسان بمثل النية ، ولا حليت الاشراف بمثل التواضـــع ، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبـــر .

(٦٣) ورد النص عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابـــن هذيل بهامش غرر الخصائص الواضحة للوطواط ١٤٨ ، ١٤٩ وبنسبه صوابا الى الفضل بن سهـــل .

(٦٤) هو محمد بن عمر بن واقد السهمى الاسلمى ، يكنى ابا عبد الله الواقدى ، من اقدم المؤرخين فى الاسلام ، ومن أشهرهم ، ولد بالمدينـــة ١٣٠هـ وكان حناطا (تاجر حنطه بها) وضاعت ثروته فانتقل الى العراق ســـنة ١٨٠ هـ فى أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكى ، فافاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة ، فولى القضاء ، وله من الكتب «المغازى النبوية» و «فتح افريقية» وفتح مصر والاسكندرية ، وتفسير القرآن ، وينسب اليه كتاب فتوح الشام ومات سنة ٢٠٧ هـ . تاريخ بغداد ٣ : ٣ — ٢١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٤٧٠ ترجمة رقم ٦١٦ ، دول الاسلام ١ : ١٢٨ ، سير اعلام النبلاء ٩ : ٤٥٤ — ٤٦٩ ، النجوم الزاهره ٢ : ١٨٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٨ .

وقال عبد الله بن المقفع (٦٥) : ينبغى للسلطان العاقل أن يعلـم أن عليه أربع خصال هن أعمدة السلطان وأركانه التى بها تقوم وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخير ، والمبالغة فى التقدم ، والتعهـد الشديد ، والجـزاء العتيـــد •

أما الاجتهاد للتخير : فانه التخير للعمال والوزراء ، فانه نظام الامور ووضع مؤونة البعيد المنتشر ، فانه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا ، لانه من كان من العمال خيرا ، فيتخير كما اختير ، ولعل عمال العامل ، وعمال عماله يبلغون عددا كثيرا ، فمن سن التخير فقد أخذ بركن وثيق ، ومن أسس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قواما •

وأما التقدم والتوطيد : فانه ليس كل ذى لب وذى أصالة يعـرف وجوه الامر والاعمال ، ولو كان بذلك عارفا لم يكن صاحبه حقيقا أن يكل ذلك الى (عمله) (٦٦) دون توفيقه عليه ، وتنبيهه له ، والاحتجاج به عليه •

وأما التعهد الدائم : فان الوالى اذا فعل ذلك كان سميعا بصيرا ، فان العامل اذا فعل ذلك به كان متحصنا حريزا •

وأما الجزاء العتيد : فانه يثبت المحسن والراحة من المسىء •

(٦٥) عبد الله بن المقفع ، أصله من الفرس ، ولد فى العراق سنة ١٠٦ هـ ، وكان مجوسيا (مزدكيا) وأسلم عى يد عيسى بن على « عم السفاح » وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، وترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنـــة» وهو أشهر كتبه ، كما يعد كتابة الادب الكبير «ملخص لكتاب» الاوستـا وهـو الكتاب الدينى للزارادشتية ، ومات سنة ١٤٢ هـ . فهرست ابن النديم ١٧٨ ، الامالى للمرتضى ١ : ٩٤ ، الاعلام بمناقب الاسلام ٦٢ ، ١٦٠ ، الاعلام ٤ :٢٨٣

(٦٦) فى الاصل (علــه) ، ولا يستقيم بها المعنــى •

وقال : «لا تستطاع الاعمال الا بالوزراء والاعوان ، ولا بنفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ، ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأى والعفاف » (٦٧) .

قال : وكتب قيصر الى أنوشروان يسأله عما ضبط به ملكه فكتب اليه «لم أهزل فى أمر ولا نهى قط ، ولم أخلف وعدا ولا وعيدا ، ووليت للغناء لا للهوى ، وعاقبت للادب لا للغضب ، وأودعت الرعية الرهبة من غير صنيعة ، وأسكنت نفوسهم المحبة من غير جرأة ، وعممت بالقوت ،ومنعت الفضول (٦٨) .

وفى حكم الهند : لا ينبغى للسلطان اقصاء البعيد اذا نفع قربه ، فلا شىء ينفع أقرب من الجسد ، وربما دوى (٦٩) فكان برؤه بالدواء يؤتى من بعيد ، والجرذجار مدان فلما ضر نفى ، والبازى بعيد وحشى فلما نفع أدنى واقتنى (٧٠) .

وفى كليلة ودمنة : وليس لصاحب الدنيا مال ولا صديق لعمل صالح فهو حقيق أن يجعل سعيه فيما يبقى ويعود نفعه ، ويرفض ما سواه ، وبنزل المال بمنزلة المدر ، والنساء بمنزلة الافاعى والناس فيما يحب لهم

---

(٦٧) كليلة ودمنه ١٦٥ .

(٦٨) عيون الاخبار ١٠:١ ، العقد الفريد ١٧:١ ، نثر الدر للابى ٢٤١:٤، عين الادب والسياسة ٢٧٧ ، تذكرة ابن حمدون ٩٤ ، وبهجة المجالس ٣٣٧:١

(٦٩) دوى : مريض . مختار الصحاح ٢١٧ .

(٧٠) قارن العقد الفريد ٥٢:١ قال : ورد فى كتاب الهند : ان السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا ببعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ، فيقرب البعيد لنفعه ، ويبعد القريب لضره . وشبهوا ذلك بالجرذ الذى هو فى البيت مجاور ، فمن أجل ضره نفى ، والبازى الذى هو وحشى ، فمن اجل نفعه اقتنى .

من الخير (٩٣/ب) ويكره لهم من الشر منزلة نفسه [٧١] . قال : وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات فى الحكم بين الكلام فصارت أعمدة وحكما: فقال كسرى : أنا على ما لم أقل أقدر منى على رد ما قد قلت.وقال قيصر: لا أندم على مالم أقل ، ولكنى أندم على ما قلت وقال ملك الصيـــن : اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها . وقال صاحب الهند : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرته ، وان لم تذكر عنه لم تنفعه[٧٢] .

وكان يقال : خصال من طبائـــع الجهال : الغضب من غير شـــىء ، والاعطاء فى غير حق ، واتعاب البدن فى الباطل ، وقلة معرفـــة الرجـــل بصديقه من عدوه ، ووضعه السر فى غير موضعه ، وثقته بمن لم يجربه ، وحسن ظنه بمن لا عقل له ، ولا وفاء ، وكثرة الكلام من غير نفـــع [٧٣] قال : وسأل معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال من ترك الفضول وأقبل على الايجاز . قال : فمن أسخى الناس ؟ قال : من ترك دنياه فى صلاح آخرتـــــه .

(الاحنف بن قيس قال)[٧٤] : قال لى عمر بن الخطاب يا أحنف لا تضحك ، فان من كثر ضحكه ذهبت هيبته ، ومن كثر مزاحه استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه

---

(٧١) كليلة ودمنة ١٣٢ ، ١٣٣ ، والمدر : واحدته مدرة وهو قطع الطين اليابس والحجارة .

(٧٢) كليلة ودمنة ١٦ ، ١٧ مع اختلاف فى الترتيب ، وتذكرة ابن حمدون ص ٧٥ ، ٧٦ وينسبه ألى أبى بكر بن عياش .

(٧٣) الحكمـــة الخـــالدة ١٢ .

(٧٤) هكذا بالاصل ، والاصوب (وقال الاحنف بن قيس) .

قل ورعه ، ومن قل ورعه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه مات قلبه [٧٥] .

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قد يجب على الملك أن يكون كما أصف عظيم الهمة ، واسع الفكر ، جيد البحث ، مطلعا على العواقب رؤوفا رحيما اذا (غضب) [٧٦] لم ينفذ غضبه ، واذا تحركت الشهوة فيه ردها بعقله ، واذا وافق الصواب أنفذه ، غير لجوج [٧٧] ، وغير وقاح ، ولا بذخ ولا متهاون ، يعرف آثار من تقدمه ، وينزل الناس على أقدارهم واستحقاقهم ولا يضع مراتبهم ، ويتزين لهم بزينة محمودة ، وأخلاق جميلة ، ويكون متمسكا بالدين راغبا فى الخير والفضل .

وأجاب عن مسائل كتبها اليه الاسكندر يسأله عنها فقال : أى ملك تطاول على جنده وقواده لم يأمن الحيف . أى ملك ضيع الصغير من أمره لم يسلم عليه كبيره ، أى ملك نظر فى عواقب أموره عذب على ذلك حدبث الرعية بفضله وامتداحه بعقله .

وقال : أنظر لضعفاء (٩٤/أ) أهل مملكتك يشكرك عليه أقوياء أصحابك وضعفاؤهم ، وتثاب عليه فى العاقبة ، ونظرك الاقوياء وتضييعك للضعفاء أمر لا يحمدك عليه الضعفاء ولا يمدحك به أهل المعرفة بالسير ، بل حقا أقول انك تنال بالعقوبة ، ومثلك فى الدنيا مثل صاحب البستان الذى يضيع أن يسقى الشجر المحتاج الى الماء ، ويصرف الماء الى مالا حاجة به اليه .

---

(٧٥) البيان والتبيين ٢:١٨٨ ، نثر الدر للابى ٢:٥١ .
(٧٦) (غضب) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٧٧) اللجوج : هو المتمادى فى الخصومة . مختار الصحاح : ٥٩٢ .

وفى بعض سياسة الهند ، واعلم أنك لم تفصل القضاء على من جارت عليه الخصوم ونكبك اذ حولت خصومته عليك ، ودخلت بينه وبين خصمه الذى جرت عليه ، وان عدل الله بعد ذلك ، من ورائه وورائك حتى يستوفى له منك ، فلا تكتف بالعدل عليهم فيما بينهم دون أن تأخذهم من نفسك وتنصفهم منها ، وتعدل عليهم فيما ينوبهم من حقك وينوبك من حقهم قبلك فاذا أنت احرزت العدل باذن الله ، فاجمع الى عدلك على الرعية الرأفة بهم والمرحمة والعفو عن جاهلهم ، وبث الاموال فى مساكينهم : ولين الجانب بعادتهم فان « البد » قال لبعض ملوكنا حين سأله عن العدل : اذا انزلت كل طفل من الولد ان لك ولدا ، وكل كبير من الرجال لك أبا ، وكل كبيرة من النساء لك أما ، وكل قرن من الرجال لك أخا (٧٨) ، وكل مثل ذلك من النساء أختا ، ثم بررتهم بر ذلك ، وجدت عليهم جود ذلك ، فقد عدلت وفى فصل له من هذا الكتاب آخر : « ان الدينار ربما أصيبت بغير حزم من الرأى ولا فضل من الدين ، فان نات حاجتك منها أو أدبرت عنك وأنت مصيب فلا يستخفنك ذلك على معاودة الخطأ ومجانبة الصواب ، فان صاحب الدنيا منها على غرور ، وصاحب الاخرة منها على يقين ، فلا يدرى صاحب الدنيا أى رأييه أنجح له فى حاجته ، أرأيه الحازم أم رأيه العاجز ، فهو من أمره فى لبس ، ومن رأيه على شبهة . فلا أحد أروح قلبا ولا أقرب بأخذ رأى من أمرىء عرف رضوان الله من سخطه ، ثم عمل بمعرفته ، فما

---

(٧٨) استشار عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — سالم بن عبد الله . فقال له سالم : اجعل الناس ابا واخا وابنا . فبر اباك ، واحفظ اخاك وارحم ابنك . العقد الفريد ١ : ٣٠ ، ونهاية الارب ٦ : ٤١ .

أتاه من الدنيا وهو على ذلك أتاه والله عنه راض ، وما أدبر عنه منها أدبر وهو الى الله معذور ،وان كنت عالما برضوان الله من سخطه فامض رأيك وعامك بذلك فى نفسك وفيمن وليت أمره ، وان كنت غير عالم بذلك (٩٤/ب) فليكن أول أمرك ابتغاء علم ذلك . أن تقيس الناس بنفسك فلا تضن عليهم بما ترغب فيه من رأيك ، ولا تأت اليهم ما تكره أن يؤتى اليـك .

وفى بعض حكم العـرب :

حصن عقلك من العجب ، وحياءك من الرخاوة ، وحلمك من التهاون ومصابك من العجلة ، وعقوبتك من الافراط ، وعفوك من تعطيل الحدود ، وصمتك من العى [٧٩] ، واستماعك من سوء الفهم ، واستئناسك من البذاء وخلواتك من الاضاعة ، وتعاهدك من استفراغ القوة ، وعزماتك من اللجاجة ويأسك من القنوط ، ورضاك من الفوت ، وتأنيك من البلادة ، ومرحك مـن البطر ، وروغانك من الاستسلام ، وحذرك من الجبن [٨٠] .

وقرأنا فى سير ملوك العجم : أن الملك تطول مدته اذا كان فيه أربـع خصـال :

احداها : أن لا يرضى لرعيته بما لا يرضى لنفسه .

والاخرى : أن لا يسوف [٨١] ما يخاف عاقبتـه .

والثالثة : أن يجعل ولى عهده من يرضاه لا من يهواه .

---

(٧٩) العى : هو العجز عن اداء الامـر والحجة عليـه . المصبـاح المنـير ٢ : ٤٤١ .

(٨٠) لباب الاداب ٤٤ مع اختلاف لفظى يسير .

(٨١) يسوف : من التسويف.وهو المطل . مختار الصحاح : ٣٢٢ .

والرابعة : أن يفحص من أسرار الرعية فحص المرضعة عن منسام رضيعهما .

وقيل : لا يستغنى السلطان عن الكفاة . ولا الكفاة عن الافضال ، ولا الافضال عن المادة ، ولا المادة عن العدل ، فالسلطان بغير الكفاية عاجز ، والكفاة بغير الافضال مسلطون ، والافضال بغير المادة منقطع ، وأنمايقيم المواد ببسط العدل ، وفى العدل حياة الدين وبقاء الملك وصلاح العامة ، وصلاح العامة أعد من كثرة الجند .

وبلغنا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين بينما هو يطوف نيلا اذ سمع قائلا يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع رسول الامام فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى [٨٢] . فقال يا أمير المؤمنين أن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالامور من أصولها والا احتجزت منك واقتصرت على نفسى فتبها لى شاغل ، قال : فأنت آمن على نفسك . فقال : ان الذى داخله الطمع حتى حال بينه وبين صلاح ما ظهر من البغى والفساد لانت . فقال (٩٥/أ) : ويحك . وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى ،

---

(٨٢) أمضنى : أوجعنى وآلمنى وأحرقني . مختار الصحاح : ٢٥٧ ، والمصباح المنير ١ : ٢٣٨ .

والحلو والحامض عندى ؟ فقال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر ، وأبوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك منهم فيها ، وبعثت عمالك فى جباية الاموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر قد سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد الا وله من هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استصلحتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يحجبوا عنك ، تجبى الاموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه ، وقد سخر لنا نفسه ، فائتمروا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس شىء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا قصموه (٨٣) عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمهم الناس وهابوهم ، فكانوا أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقروهم على ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك ، وأنت غافل فاذا جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فاذا أراد رفع قصته اليك عند ظهورك (وجدوك) (٨٤) قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، فاذا جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك (سألوا) (٨٥) لصاحب

---

(٨٣) فى العقد الفريد ج١ ص٦٤ «خونوه» وفى عيون الاخبار ج٦ ص٣٤٤ قصبوه أى عابوه ، وفى تهذيب الرياسة ٣١٩ «أقصوه» .
وفى الاصل (قصموه) ، والاولى أن تكون (وصموه) .
(٨٤) هكذا فى الاصل ، والاصح أن تكون (وجدك) .
(٨٥) هكذا في الاصل ، والصحيح (قالوا) .

المظالم أن لا يرفع مظالمه اليك ، فان للمتظلم منه حرمة عندهم ، فأجابهم خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويتسكو ويلوذ ويستغيث ،وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أجهد وأحرج وظهرت ، صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره .. وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعة فبكى يوما بكاء شديـــدا ، فحثه (٨٦) جلساؤه على الصبر . فقـــال : أما أنى لا أبكى للبلية النازلة ، ولكنى ابكى لمظلوم بالباب (٩٥/ب) يصرخ فلا أسمع صوته ، ثم قال :ان ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه ﷺ لا يغلب بالمسلمين شح نفسك . فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبرة فى الطفل يسقط من بطن أمه ومالـــه فى الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولســـت بالذى تعطـــى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء ، وان قلت انما أجمع الامـــوال لتسديـــد السلطان فقد آراك الله عبرا فى بنى أميـــة ، ما أغنى عنهم ما جمعوا مـــن الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد ، وان قلت انما أجمع الاموال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى

---

(٨٦) فى الاصل : (فحـــداه) وهو تصحيف ، وانظر عيـــون الاخبار ٦:٢٣٥، والعقد الفريد ٦: ٣٢٥ .

أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بخلاف ما أنت عليه ، يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ فقال المنصور : لا . فقال : كيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الاليم . قد رأى ما عقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك ، هل يغنى عنك ما شححت عليه من طلب الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب ، على ما خولك ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أخلق ! ويحك كيف أحتال لنفسى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ان للناس أعلاما يفزعون اليهم فى دينك فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك . قال : قد بعثت اليهم فهربوا منى ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ، وأقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عليهم أن يأتوك ويساعدوك [٨٧] على صلاح الامـــة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه (٩٦/أ) وطلب الرجل فلم يوجد [٨٨] .

هذه موعظة جامعة تبين عن كثير من أصول فساد الممالك والاديان وصلاحها ، رأينا أن نختم به كتابتنا هذا الذى جمعنا فيه جمل ما أوجب الله على ملوك أهل الملة وامرائها وائمتها وخلفائها ، وامتحنهم بها فى أنفسهم قد اسرف فيها وتعدى حدودها وعدل عن طريقها وقد اشبعت [٨٩] لهم الموعظة ، وبذلت لهم النصيحة وأديت اليهم الامانة دينا ودنيا .

---

(٨٧) فى الاصل : ويسعـــدوك .

(٨٨) عيون الاخبار ٣ : ٣٣٣ — ٣٣٦ ، العقد الفريد ١ : ٣٦٤ — ٣٦٦ ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ١٣٤ — ١٣٦ ، وتهذيب الرياسة فى ترتيب السياسة ٣١٨ — ٣٢٠ .

(٨٩) هكذا بالاصل ، والاولى (اسبغت) .

وآخرة وأولى فلينظر ناظر وليتعظ متعظ ، وفقهم اللــه وايانا للســداد ، وهدانــا واياهــم ســبل الرشــاد .

تم كتاب نصيحة الملوك والحمد لله وحده والصلاة والســلام علــى مــن لا نبــى بعـــده .

ووافق الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الاحد المبــارك رابع شهــر صفر الخيــر ١٠٠٧ هـ (٩٠) .

تــم بحمــد اللــه

---

(٩٠) علقه بيده الفانية العبد الفقير الحقير المعترف بالذنــب والتقصير اسماعيل بن سليمان بن اسماعيل البيجورى خادم نعال السادة الخلوتيـــة ، غفر اللــه للجميع .

ثم اورد : ترجمــة المــاوردى .

هو الامام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيــب الماوردى البصرى الشافعى ، مصنف كتاب «الحاوى» فى الفقه فى نحو عشرين مجلدا ليس له نظير فى المذهب . وله كتاب فى الفقه سماه «الاقناع» فيه فوائد وغرائب ليست فى غــيره .

وله كتاب اسماه «أدب الدنيا والديــن» .

وله تفسير القرآن العظيم سمــاه «النكــت» .

وكان أماما فى الفقه (٩٦ / ب) والاصول والتفسير بصيرا بالعربيــة ، ولي قضاء بلاد كثيرة ثم سكن بغداد ، وعاش رحمه الله تعالى ستا وثمانين سنة

الفهــارس العامــة

* الفهارس قاصرة على المتن دون الحواشى

* فى فهرس الابات اذا كان الشاهد جزء من آية اقتصرنا عليه وقدمناه بنقط هكــذا (...)

* تكررت بعض الاحاديث ، مقتصرنا على تخريجها عند أول استدلال لها ، واحلنا اليه عند تكــراره .

* فى فهرس القوافى رتبنا القافية على حرف الاول من اللفظــة .

* فى فهرس الاعلام فى حالة ورود : أبو (أو) ابن وضع العلم بعد حذفهما فى مكانه من الحرف الهجائى ، فمثلا : أبو تمام وضعت فى حرف «التاء» وابــو جعفر المنصور فى حرف «الجيــم» وهكــذا .

١ — فهرس شواهد القرآن الكريم

ســـــــورة المـــــائدة (٥)

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٥	ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته	١٤٤
	سـورة التحريم (٦٦)	
٥	عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن	٢٠٩
٦	يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا	٢٠٦
	سـورة الملك (٦٧)	
٢	الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	١٣٥
	سـورة القـلم (٦٨)	
٤	وانك لعلى خلـق عظيم	٣٥٥،٢٠٥
٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين	١٤٠
٣٦	مالكم كيف تحكمون	١٤٠
	سـورة المعـارج (٧٠)	
٦	انهم يرونه بعيـدا	١٣٠
٧	ونراه قـريبـا	١٣٠
١١	... يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه	١٣٨
١٢	وصاحبته وأخيـه	١٣٨
١٣	وفصـيلته التى تؤيه	١٣٨
١٤	ومن فى الارض جميعـا ثم ينجيه	١٣٨
١٥	كـلا	١٣٨
	سـورة الجن (٧٢)	
٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـدا	١٧٦

٢ ـ فهـرس شواهد الحديث النبوى

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
	(أ)	
ـ اتقوا المظالم فان الظلم هى الظلمات يوم القيامة		٢٧٠
ـ أحب الاسماء الى الله عبد الله وأمثاله		٢١٢
ـ أحب الاسماء عبد الله وعبد الرحمن		٢١٢
ـ احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما		١٩٣
ـ أخوف ما أخاف على أمتى : الهوى وطول الامل		١٨٢،٥١
ـ ادرؤا الحـــدود بالشبهات		٣٣٢،٢٢٩
ـ اذا أتاكم كـــريم قـــوم فأكرموه		٢٦٦
ـ اذا أردت أمـــرا فتدبر عاقبته		١٩٥
ـ اذا بويع الاميرين فاقتلوا آخرهمـــا		٢٤٧
ـ اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب		١٩٨
ـ استعينوا على قضـــاء الحوائج بالكتمان		٣٥٢،١٧٧
ـ أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتـــديتم		٢٠١
ـ اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهـــله		٣١١
ـ أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم		٦٧
ـ اعقلهـــا وتوكـــل		١٨٩
ـ اعلمهم أن الله قـــد أوجب عليهم زكاة		٣١٧
ـ اقتـــدوا باللذين من بعـــدى أبى بكر وعمـــر		٢٠١
ـ اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم		٢٦٦

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة

٣ ــ فهرس القواف

٤ — فهـرس الأعـلام

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

٥ ــ فهرس مصادر التحقيق والتعليق

ــ القــرآن الكريـــم

ــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، اعداد : محمد فؤاد عبد الباقـــى

(أ)

ــ آثار الاول فى ترنيب الدول : للحسن بن عبد الله بن محمد ، من علماء القرن الثامن الهجرى ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .

ــ الاجماع : للامام ابن المنذر ، المتوفى ٣١٨هـ ، تحقيق الدكتــور فؤاد عبد المنعم ، تقديم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ، مطبوعــات رئاسه المحاكم السرعية ، دولة قطر ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

ــ أحكام القرآن : لابن العربى ، الفقيه المالكى ، المتوفــى ٥٤٣هـ ؛ تحقيق على البجاوى ، ٤ أجزاء ، مطبعة الحلبى ، القاهــره ، ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

ــ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ــ لابى الحسن الماوردى ؛ المتوفى ٤٥٠هـ ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦ م .

ــ الاحكام السلطانية : لابى يعلى الفراء ، الفقيه الحنبلى ، المتوفى ٤٥٨هـ ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد حامد الفقى ، مطبعة الحلبــى ، القاهرة ١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٩م .

ــ أخبار القضاة : لوكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، المتوفى ٣٠٦ هـ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغى ، مطبعــة السعــادة ، مصر ، ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧م .

ــ أدب الدنيا والدين : للماوردي المتوفي ٤٥٠هـ ، تحقيق مصطفي

السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

— أساس البلاغة : للزمخشرى ، محمود بن عمر ، المتوفى ٣٥٨ هـ من مطبوعات كتاب الشعب ، القاهـرة .

— الاستيعاب فى معرفة الاصحاب : لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله الاندلسى المالكى ، المتوفى ٤٦٣هـ . تحقيق على محمد البجاوى مطبعة نهضة مصر .

— أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعز الدين بن الاثير ، المتوفـى ٦٣٠هـ ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ، ومحمد أحمـد عاشـور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، كتاب الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ .

— الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء مـن العـرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى . المتوفـى ١٣٩٧هـ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

— الاغانى : لابى الفرج الاصبهانى ، على بن الحسين ، المتوفـى ٣٥٦هـ من مطبوعات تراثنا ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصريه .

— الافصاح عن المعانى الصحاح : للوزير ابن هبيره ، يحيى بن محمد المتوفى ٥٦٠هـ ، جزءان . مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

— أمالى المرتضى : الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى المتوفى ٤٣٦هـ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ .

— الامثال : لابى عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٢٢٤هـ ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، من مطبوعات مركز البحث العلمى واحيـاء التراث الاسلامى بمكة المكرمة ، دار المأمون للتراث ، دمشـق ، ١٤٠٠هـ

— ١٩٨٠ م ٠

— الامثال والحكم : للماوردى ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، مؤسسه شباب الجامعة ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م ٠

— الام . للامام الشافعى ، محمد بن ادريس ، المتوفى ٢٠٤ هـ ، المطبعه الاميرية . مصر ، ١٣٢٤هـ ٠

— الاموال : لابى عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٢٢٤هـ . تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م ٠

— الايجاز والاعجاز : للثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، المتوفى ٤٢٩هـ ، مكتبة دار البيان ، بيروت ، دون تاريخ ٠

(ب)

— البخلاء : للخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على ، المتوفى ٤٦٣هـ . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب مع الدكتورة خديجه الحديثى وأحمد ناجى القيسى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م ٠

— بدائع السلك فى طبائع الملك : لابى عبد الله بن الازرق ، المتوفى ٨٩٦هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور على سامى النشار ، مطبوعات وزارة الاعلام العراقيــة ، ١٩٧٧م ٠

— بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لابن رشـد ، محمد بن أحمد ، المتوفى ٥٩١هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م ٠

— بهجة المجالس ، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس : للامام ابن عبد البر ، المتوفى ٤٦٣هـ ، تحقيق الدكتور محمد مرسى الخولى وراجعه عبد القادر القط ، جزءان ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م ٠

ـ البيان والتبيين : للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

(ت)

ـ تاج العروس من جواهر القاموس : لعيسى السيد محمد المرتضى الزبيدى ، المتوفى ١٢٠٥ هـ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .

ـ التاج فى أخلاق الملوك : للجاحظ ـ المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

ـ تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبرى) : لابن جرير الطبـرى ـ المتوفى ٣١١هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر ، الطبعـة الرابعة ، ١٩٧٩م .

ـ تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للخطيب البغدادى ،المتوفى، ٤٦٣هـ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مصورة عن طبعة مطبعة السعـادة بالقاهرة ، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م .

ـ تاريخ الخلفاء : للسيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المتوفى ٩١١هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجاريـة بمصر الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء وعليهم الصلاة والسـلام : لحمزة بن حسين الاصفهانى ، المتوفى ٣٥١هـ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .

ـ تاريخ القضاء فى الاسلام : للشيخ محمود عرنوس ، المتوفـى ١٣٧٤هـ ، مصر ، ١٩٣٥ م .

ـ تاريخ ابن الوردى (تتمه المختصر فى أخبار البشر) : لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى ٧٤٩هـ ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، المطبعه المحمدية ، النجف ، العراق ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ التبر المسبوك فى نصيحة الملوك : للامام أبى حامد الغزالى ، المتوفى ٥٠٥هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨ م .

ـ تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام : للامام بدر الدين بن جماعة ، المتوفى ٧٣٣هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم وتقديم الشيخ عبد الله بن زيد ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية ، دولة قطر ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

ـ تحفة الادباء وسلوه الغرباء : للخيارى ، ابراهيم بن عبد الرحمن الخيارى ، المتوفى ١٠٨٣هـ تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائى ، الجزء الثالث ، وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٨٠م .

ـ تذكرة ابن حمدون (السياسة والآداب الملكية) : بهاء الدين محمد بن أبى سعد الحسن ، المتوفى ٥٦٢هـ ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م .

ـ التذكرة السعدية فى الاشعار العربية : لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدى (من رجال القرن الثامن الهجرى) ، تحقيق عبد الله الجبورى المكتبة الاهلية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٢م .

ـ الترغيب والترهيب : لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، المتوفى ، ٦٥٦هـ ، الطبعة المنيرية ، مصر .

ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر (فى أخلاق الملك وسياسة الملك) للماوردى ، على بن محمد ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق محيى هلال السرحان

ومراجعة وتقديم الدكتور حسن الساعاتي ، دار النهضة المصرية ، بيروت ١٩٨١ م ٠

— التعريفات : للجرجانى ، السيد الشريف على بن محمد بن على ، المتوفى ٨١٦هـ الحلبى ، القاهرة ، ١٩٣٨م ٠

— تفسير القرآن العظيم : لاسماعيل بن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ ، تحقيق عبد العزيز غنيم مع محمد أحمد عاشور ، ومحمد ابراهيم البنا ، طبعة كتاب الشعب ، مصر ، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م ٠

— تفسير الماوردى (النكت والعيون) للماوردى ، المتوفى ٤٥٠ هـ ، تحقيق خضر محمد خضر ، ومراجعة الدكتور عبد الستار أبو غدة مطبوعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، بالكويت ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م ٠

— التمثيل والمحاضرة : لابى منصور الثعالبى ، المتوفى ٤٢٩هـ ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨١هـ — ١٩٦١م ٠

— تهذيب الاسماء واللغات : للنووى ، أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى ، المتوفى ٦٧٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مصورة عن الطبعة المنيرية بمصر ٠

— تهذيب تاريخ ابن عساكر : لعبد القادر بن بدران ، المتوفى ١١٤٣هـ ، ٧ أجزاء ، طبع فى دمشق ، ١٣٢٩هـ — ١٣٥١هـ ٠

— تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : للقلعى ، محمد بن على ، المتوفى ٦٣٠هـ تحقيق ابراهيم يوسف مصطفى ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م ٠

— تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ١٢جزء مطبعة دائرة المعارف النظاميه ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٢٧هـ .

— جامع الاصول فى أحاديث الرسول : لابن الاثير ، المتوفى ٦٠٦هـ ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، مكتبات الحلوانى والملاح والبيان بدمشق ١١جزء ، ١٣٨٩ — ١٩٦٩ .

— الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذى) : لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى ٢٧٩هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر وآخرين طبعة دار احياء الكتب العربية ، الحلبى ، القاهرة ، ١٩٣٧ — ١٩٦٥م

— وأخرى ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، المطبعة الوطنية ، سوريا ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥م .

— الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطى ، المتوفى ٩١١هـ ، دار القلم ، مصر ، ١٩٦٦م

— الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبى) : لابى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى ، المتوفى ٦٧١هـ ، دار الكتاب (العربى) مصر ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .

— جمهرة أشعار العرب : لابى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى المتوفى فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، طبع فى مصر .

— جمهرة الامثال : لابى هلال العسكرى ، المتوفى ٣٩٥هـ ، على هامش مجمع الأمثال للميدانى ، المطبعة الخيريه ، مصر ، ١٣١٠هـ .

— الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع من حكم الامام الشافعى المنظومة والمنثورة ، لحسين بن عبد الله باسلامة ، المتوفى ١٣٥٦هـ ،مطبعة

كردستان العلمية ، مصر ، ١٣٢٦هـ .

(ح)

ـ أبو الحسن الماوردى (من أعلام الاسلام) : للدكتور فؤاد عبد المنعم مع الدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ الحسن البصرى : لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ ، طبعة الخانجى مصر ، ١٩٢٩ .

حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء : لابى محمد عبد الله بن محمد العبد لكانى الزوزنى ، المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٣ م

ـ حكم الاسلام فى القضاء الشعبى (بحث مقارن) للدكتور فؤاد عبد المنعم مطبعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ م .

ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : لابى نعيم الاصبهانى ، المتوفى ٤٣٠هـ ، ١٠ مجلدات ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ .

ـ الحيوان : للجاحظ ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق ونسرح عبد السلام هارون ، المجمع العلمى العربى الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨، هـ ـ ١٩٦٩م .

(خ)

ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى ١٠٩٣هـ ، أربع مجلدات ، طبع مصر ، ١٢٩٩هـ .

ونسخة أخرى محققة للاستاذ عبد السلام هارون ، ٩ أجـزاء ، دار الكاتب العربي والخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٣ — ١٩٨١ م •

(د)

ـ دستور معالم الحكم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب) لابى عبد الله محمد القضاعى . المتوفى ٤٥٤هـ ، طبع مصر •

ـ دول الاسلام للذهبى ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٤م •

ـ ديوان جرير بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠هـ ، طبع فى مصر . جـزءان •

ـ ديوان الحطيئة ، جرول بن أوس ، مات نحـو ٤٥هـ ، الحلبـى ، ١٩٥٨ م •

ـ ديوان حميد بن ثور الهلالى ، المتوفى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ — ١٩٥١ م •

ـ ديوان على بن أبى طالب (الامام) المتوفـى ٤٠هـ ، مصر ، دون تاريـخ •

ـ ديوان أبى العتاهية المتوفى ٢١٣هـ ، بيروت ، ١٩١٤م •

ـ ديوان عمرو بن قيمئه . المتوفى نحـو ٥٦٤م ، تحقيـق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفى ، مجلة معهد المخطوطات العربية — مصر ، ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م •

ـ ديوان أبى نواس ، المتوفى ١٩٩هـ ، دار بيـروت ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م •

(ذ)

— ذيل الامالى : لابى على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ، المتوفى ٣٥٦هـ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .

(ر)

— رسائل الجاحظ ، لابى عثمر عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥هـ ،تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، مصر ، ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م .

— روضة الطالبين : للنووى ، يحيى بن شرف ، المتوفى ٦٧٦هـ ، ١٢ جزءا المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٦هـ — ١٣٩٥هـ .

— روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : لابى حاتم محمد بن حيان البستى ، المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ٤ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م .

(ز)

— زاد المسير فى علم التفسير : لابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على ، المتوفى ٥٩٧هـ . ٩ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، دمشق ، ١٣٨٤هـ .

— الزهد : للامام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

— زهر الاداب وثمر الالباب : لابى اسحاق الحصرى القيروانى ، المتوفى ٤٥٣هـ : تحقيق الدكتور زكى مبارك ، المكتبة التجارية ، مصر . ١٩٢٥ م .

(س)

- سراج الملوك : لابى بكر الطرطوشى ، الفقيه المالكى ، المتوفى ٥٢٠هـ ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ ، وأخرى بالمطبعة المحمودية ، مصر ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .

- سفيان الثورى : للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الازهر ، طبعة دار المعارف ، مصر .

- سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : لمحمد ناصر الالبانى ، جزءان ، المكتب الاسلامى ، بيروت .

- سلسلة الاحاديث الضعيفة واثرها السيء فى الامة ، لمحمد ناصر الالبانى ، المجلد الاول والثانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت .

- سلوك المالك فى تدبير الممالك : لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الربيع . المتوفى ٢٧٢ هـ ، مصر ، ١٢٨٦ هـ .

- سنن الدارقطنى ، للحافظ على بن عمر الدارقطنى ، المتوفى ٣٨٥هـ ، ٤ أجزاء ، دار المحاسن ، مصر ، ١٣٨٦هـ .

- سنن أبى داود : للحافظ سليمان الاشعث السجستانى ، المتوفى ٢٧٥هـ ، تحقيق عزت الدعاس ، دار الحديث ، حمص ، سوريا ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

- سنن الدارمى : لابى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- سنن ابن ماجه : لابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، المتوفى

٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهرة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

- سنن النسائى : لابى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى ٣٠٣هـ بشرح جلال الدين السيوطى . وحاشية السندى ، المطبعة العصرية ، الازهرية ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، عيسى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٢م

- السياسة لابن سينا ، المتوفى ٤٢٨هـ ، (ضمن مجموع فى السياسة) تحقيقنا ، مؤسسة شباب الجامعة . الاسكندرية ، ١٤٠٢ هـ .

- سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧ هـ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، دون تاريخ .

- سيرة عمر بن عبد العزيز : لابى محمد عبد الله بن عبد الحكم ، المتوفى ٢١٤هـ ، تحقيق أحمد عبيد ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م .

- سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـ تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المؤيد . مصر ، ١٣٣١ هـ .

(ش)

- الشاهنامة : للفردوسى ، جزءان ، ترجمة البندارى وتحقيق عبد الوهاب عزام ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٣٢م .

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لابى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، المتوفى ١٠٨٩هـ . مطبعة المقدسى ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ .

- شرح ديوان ابى تمام : لابليا الحاوى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨١م .

- شرح السنة : للامام البغوى ، الحسين بن مسعود الفراء ،

المتوفى ٥١٠هـ ، تحقيق وتعليق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، ١٦ جزءا ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٩هـ — ١٤٠٣هـ .

— شرح القصائد التسع المشهورات : لابى جعفر النحاس ، المتوفى ٣٣٨هـ ، تحقيق أحمد خطاب ، العراق ، ١٩٧٣ .

— شرح المضنون به على غير أهله : الاصل : الابيات التى انتخبها عز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم الخزرجى ، والشرح لعبيد الله بن الكافى ، مكتبة دار البيان بغداد ، ودار صعب ، بيروت .

— شعر العطوى ، محمد بن عبد الرحمن (المتوفى نحو ٢٥٠هـ) جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الاول ، العدد الاول والثانى .

— شعر على بن جبلة (الملقب بالعكوك) ، المتوفى ٢١٣هـ ، جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ م .

— شعر النمر بن تولب : صنعه الدكتور نورى حمودى القيسى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩ م .

— الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦هـ جزءان ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م .

— شفاء الغليل (فيما فى كلام العرب من الدخيل) : لشهاب الدين أحمد الخفاجى ، من علماء القرن الحادى عشر ، صححه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ .

— الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ، لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ تحقيقنا ، دار الحرمين ، قطر ، ١٤٠٣هـ .

(ص)

— صحيح البخارى : للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى ٢٥٦هـ،طبعة دار الشعب،مصر ، دون تاريخ،مصورة عن طبعة ١٣١٠هـ — ١٨٩٧م — وأخرى بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار القلم ودار الامام البخارى ، دمشق ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١م •

— صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٩م •

— صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، المتوفى ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •

— صفة الصفوة : لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ ، تحقيق محمود فاخورى ، وخرج أحاديثه الدكتور محمد رواس قلعة جى ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م •

(ض)

— ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م •

(ط)

— طبقات الاطباء والحكماء : لابن جلجل ، أبى داود سليمان بن حسان الاندلسى ، المتوفى ٣٧٧هـ تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م •

— طبقات الامم : لصاعد بن أحمد الاندلسى ، المتوفى ٤٦٣هـ ، طبع مصر ، دون تاريخ •

— طبقات الشافعية الكبرى : للسبكى ، تاج الدين أبى النصر عبد الوهاب بن على . المتوفى ٧٧١هـ ، ١٠ أجزاء ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ، الحلبى . القاهرة من ١٩٦٤ — ١٩٧٦م .

— طبقات الشعراء : لابن المعتز ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم المقتول ٢٩٦هـ تحقيق عبد الستار أحمد فــراج ، دار المعــارف مصر ، ١٩٦٨ .

— طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلام الجمحى . المتوفى ٢٣١هـ تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

— الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعــد . المتوفى ٢٣٠هـ ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م

— الطبقات الكبرى : لعبد الوهاب الشعرانــى ، المتوفــى ٩٧٣ هـ مكتبة محمد صبيح ، القاهرة ، دون تاريــخ .

(ع)

— العبر فى خبر من غبر : للامام الذهبى ، المتوفى ٧٤٨هـ ، ٥ أجزاء الجزء الاول والرابع والخامس تحقيق صلاح الدين المنجـد ، والثانــى والثالث تحقيق فؤاد السيد ، مطبوعات التراث العــربى ، الكويت ١٩٦٠ الى ١٩٦٦م .

— العقد الفريد : لابى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى ، المتوفى ٣٢٨هـ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣م .

— العقد الفريد للملك السعيد : لابى سالم محمد بن طلحة (الوزير) المتوفى ٦٥٢هـ ، مطبعة الوطن ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .

— العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق القيروانى ، المتوفى ٣٦٣هـ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ — ١٩٠٧م .

— عمر بن عبد العزيز : للامام ابن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ تعليق أحمد الشرباصى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهـرة .

— عهد أردشير ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ببيروت ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .

— عيون الاخبار : لابى محمد عبد الله بن مسـلم ، المتوفى ٢٧٦هـ ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣م .

— عيون الانباء فى طبقات الاطبـاء : لابن أبى أصيبعة ، المتـوفى ٦٦٨هـ ، ٣ أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م

(ف)

— الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية : لان طباطبا . محمد بن على ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ١٣١٧هـ .

— فصل المقال شرح كتاب الامثال (أمثال أبى عبيد القاسم) لابـى عبيد البكرى ، المتوفى ٤٨٧هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتـور عبد المجيد عابدين ، دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، ١٣٩١هـ — ١٩٧١م .

— فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لابى القاسم البلخى (المتوفى ٣١٩هـ) ، والقاضي عبد الجبار (المتوفي ٤١٥هـ) والحاكـم الجشمـي

(المتوفى ٤٩٤هـ) تحقيق فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٤م .

— الفهرست : لابن النديم ، محمد بن اسحق ، المتوفى ٣٨٥هـ ، المكتبة التجارية ، مصر ، دون تاريخ .

— فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبى ، المتوفى ٧٦٤هـ ، تحقيق احسان عباس ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

(ق)

— قصص الانبياء : لابن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م .

— قوانين الوزارة : للماوردى ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم والدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

(ك)

— الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، لابى الحسن على بن محمد الكريم المتوفى ٦٣٠هـ ، المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٣هـ .

— كتاب سيبويه : لابى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المتوفى ١٨٠هـ تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٥ أجزاء ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

— كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس . للعجلونى ، اسماعيل بن محمد ، المتوفى ١١٦٢هـ ، تحقيق أحمد القلاش ، مكتبة التراث الاسلامى ، حلب ، بدون تاريخ .

— كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق : للمناوى ، محمد بن عبد الرؤوف ، المتوفى ١٠٣١ هـ ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ .

— كليلة ودمنة : لبيدبا الفيلسوف الهندى ، ترجمة عبد الله بن المقفع المتوفى ١٤٢هـ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٣٤٤هـ — ١٩٢٥م .

(ل)

— لباب الاداب : لابن منقذ ، الامير أسامة بن مرشد ، المتوفى ٥٨٤هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥م .

— لسان العرب المحيط : لابن منظور ، جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم المتوفى ٧١١هـ ، اعداد يوسف الخياط ، دار لسان العرب بيروت ، دون تاريخ . وأخرى بعنوان لسان العرب ، طبعة المعارف ، مصر، ١٩٧٧ م .

— لسان الميزان : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ٧ أجزاء مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م .

— اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : (تجميع) محمد فؤاد عبد الباقى ، راجعه الدكتور عبد الستار أبو غده ، وزارة الاوقاف الاسلامية ، الكويت ، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

(م)

— مبدأ المساواة فى الاسلام (بحث من الناحية الدستورية ، مع المقارنة بالديمقراطيات الحديثة) : للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، رسالة دكتوراة ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢م .

— المجرد للغة الحديث : للبغدادى ، موفق الدين عبد اللطيف ، المتوفى ٦٢٩هـ ، تحقيق فاطمة حمزة الراضى ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م •

— المحبر : لابى جعفر محمد بن حبيب ، المتوفى ٢٤٥هـ ، تحقيق د• ايلزة ليختن ، المكتب التجارى ، بيروت ، دون تاريخ •

— مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى ، نور الدين على بن أبى بكر ، المتوفى ٨٠٧هـ ، دار الكتاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م •

— المحاسن والمساوى : للبيهقى ، ابراهيم بن محمد ، المتوفى ٤٥٨ هـ صححه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ — ١٩٠٦م •

— محاضرات الادباء : للاصبهانى ، لابى القاسم حسين بن محمد ، المتوفى ٥٠٢هـ ، المطبعة العامرة الشرقية ، مصر •

— مختار الحكم ومحاسن الكلم : لابى الوفا مبشر بن فاتك المدعو بالامير ، المتوفى ٤٨٧هـ ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٣٧٧هـ — ١٩٥٨م •

— مختار الصحاح : للرازى ، محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٦٦هـ ، تحقيق السيد محمد خاطر ، الطبعة السابعة ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٣م •

— المختار من شعر بشار ، اختيار الخالدين وشرحه لابى الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبى المشهور بالبرقي ، المتوفى نحو

٤٤٥هـ ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوى ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٣٥٣هـ — ١٩٣٤م .

— مختصر صحيح مسلم : للمنذرى ، المتوفى ٦٥٦ هـ ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الالبانى وزارة الاوقاف الكويتية ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .

— مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع : لابن عبد الحـق ، صفى الدين بن عبد المؤمن ، المتوفى ٧٣٩ هـ ، ٣ اجزاء تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م .

— مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لليافعى ، عبد الله بن سعد اليمنى ، المتـوفى ٧٦٨هـ ، منشـورات الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

— مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودى ، أبو الحسن عن بن حسن ، المتوفى ٣٤٦هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبـد الحميـد ، كتاب التحرير ، مصر ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .

— المستدرك على الصحيحين : للحاكم النيسابورى ، المتوفى ٤٠٥هـ ، مطبعة النصر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

— المستطرف فى كل فن مستظرف : لشهاب الدين محمد الابشيهى ، المتوفى ٨٥٠هـ ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٣٠٠هـ .

— المسند : للامام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١هـ ، الاجزاء المحققة للشيخ أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، وأخرى دون تحقيـق ، المكتب الاسلامى ، ودار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

ـ مسند الشهاب : للقضاعى ، أبى عبد الله محمد بن سلامة ، المتوفى ٤٥٤هـ ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، جزءان ، مـؤسسة الرسـالة بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

ـ مشاهير علماء الامصار : لابن حبان البستى ، المتوفى ٣٥٤هـ ، لجنة التأليف والنشر ، مصر ، ١٩٥٩م .

ـ المصباح المضىء فى دولة المستضىء : للامام ابن الجوزى ، تحقيق ناجية ابراهيم ، جزءان ، وزارة الاوقاف العراقية ، بغـداد ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : للمقرى الفيومى ، أحمد بن محمد بن على ، المتوفى نحو ٧٧٠هـ ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى . طبعة المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م .

ـ المصنف : لابى بكر عبد الرازق بن همام الصنعانى المتوفى ٢١١هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، وزارة الاوقاف ، الكويت ، ١٣٩١هـ .

ـ المعارف : لابن قتية ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦هـ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م .

ـ معجم الادباء : لياقوت الحموى،المتوفى ٦٢٦هـ ، تحقيق مارجليوث، الطبعة الثانية ، المطبعة الهندية ، القاهرة ، ١٩٢٣م .

ـ معجم البلدان : لياقوت الحموى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

ـ المعجم الصغير : للطبرانى ، أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، المتوفى ٣٦٠هـ ، جزءان ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية، المـدينة المنورة ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م .

ـ المعجم الكبير : للطبرانى ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، ٨ أجزاء ، احياء التراث الاسلامى ، وزارة الاوقاف العراقية ، بغداد ، ١٣٩٧هـ الى ١٤٠١هـ .

ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بمصر (قام باخراجه ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار) ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م .

ـ المعرب من الكلام الاعجمى : لابى منصور الجواليقى ، المتـوفى ٥٤٠هـ ، تحقيق أحمـد شاكر ، الدار القومية ، مصر ، ١٩٦٩م .

ـ المغنى : لابن قدامة الحنبلى ، المتوفى ٦٢٠هـ ، دار الكتاب العربى، بيروت ، دون تاريخ .

ـ مفردات غريب القرآن : للراغب الاصفهانى ، المتوفى ٥٠٢هـ ، تحقيق سيد محمد كيلانى ، الحلبى ، مصر ، ١٣٨١هـ — ١٩٦١م .

ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم : لابى بكر الخوارزمى ، المتوفى ٣٨٣هـ، الشئون الدينية ، قطر ١٤٠٠هـ .

ـ مكارم الاخلاق : للطبرانى ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق الدكتور فاروق حماده ، طبعة المغرب ، ١٤٠٥ هـ .

ـ ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدكتور عماد الدين خليل ، الدار العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ — ١٩٧١م

ــ المنهج المسلوك فى سياسة الملوك : للشيرازى ، جمال الدين عبد الرحمن بن نصر ، المتوفى ٥٨٩هـ ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٣٢٦هـ ٠

(ن)

ــ نثر الدر : للوزير الكاتب أبى سعيد منصور بن الحسين الآبى ، المتوفى سنة ٤٢١هـ ، تحقيق محمد على قرنة ، ٤ أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ الى ١٩٨٥م ٠

ــ النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة : لابن تغرى بردى ، المتوفى ٨٧٤هـ . المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ٠

ــ نزهة الارواح وروضة الافراح فى تاريخ الحكماء : للشهرزودى ، شمس الدين محمد بن محمود ، المتوفى نحو ٦١٢هـ ، تحقيق السيد خورشيد أحمد ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ٠

ــ نزهة الالباء : للانبارى ، أبى البركات عبد الرحمن بن محمد ، المتوفى ٥٧٧هـ ، طبع فى مصر ، ١٢٩٤هـ ٠

ــ نهاية الارب فى فنون الادب : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، المتوفى ٧٣٣هـ ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣م ٠

ــ نهج البلاغة (الجامع لخطب ورسائل أمير المؤمنين بن أبى طالب رضى الله عنه) : جمعه الامام اللغوى محمد بن أحمد الحسينى الملقب بالشريف الرضى ، المتوفى ٤٠٦ هـ ، تحقيق محمد حسن نائل المرصفى ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ٠

(و)

ــ الوحشيات : لابى تمام ، حبيب بن أوس الطائى ، المتوفى ٢٣١هـ ،

تحقيق الميمنى ومحمود شـــاكر ، طبعه دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م .

ــ الوزراء والكتاب : للجهشيارى ، أبى عبد الله محمد بن عبد ، المتوفى ٣٣١هـ ، تحقبق مصطفى السقا وآخرين ، طبعة الحلبى . القاهرة ١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨ م .

ــ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ، لابى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٨١هـ ، تحقيق محمــد محيى الدين عبد الحميد ، ٦ أجزاء ، مكتبه النهضـــة المصرية ، ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .

ــ الولاة والقضاة : لابى عمر محمد بن يوســف الكندى ، المتــوفى ٣٥٠هـ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

(هـ)

ــ هداية البارى الى ترتيب أحاديث البخارى : للسيد عبــد الرحيم الطهطاوى ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٣هـ .

ــ هدية العارفين : لاسماعيل (باشا) البغدادى . ملحق بذيل كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة المثنى بغداد ، مصورة من طبعـــة استامبول ١٩٥١م .

٦ ــ فهـــــرس المضمون

البـــاب الســابع

البـــاب الثـامن

طبع بمطابع السعي